

قطوف من مذكرات

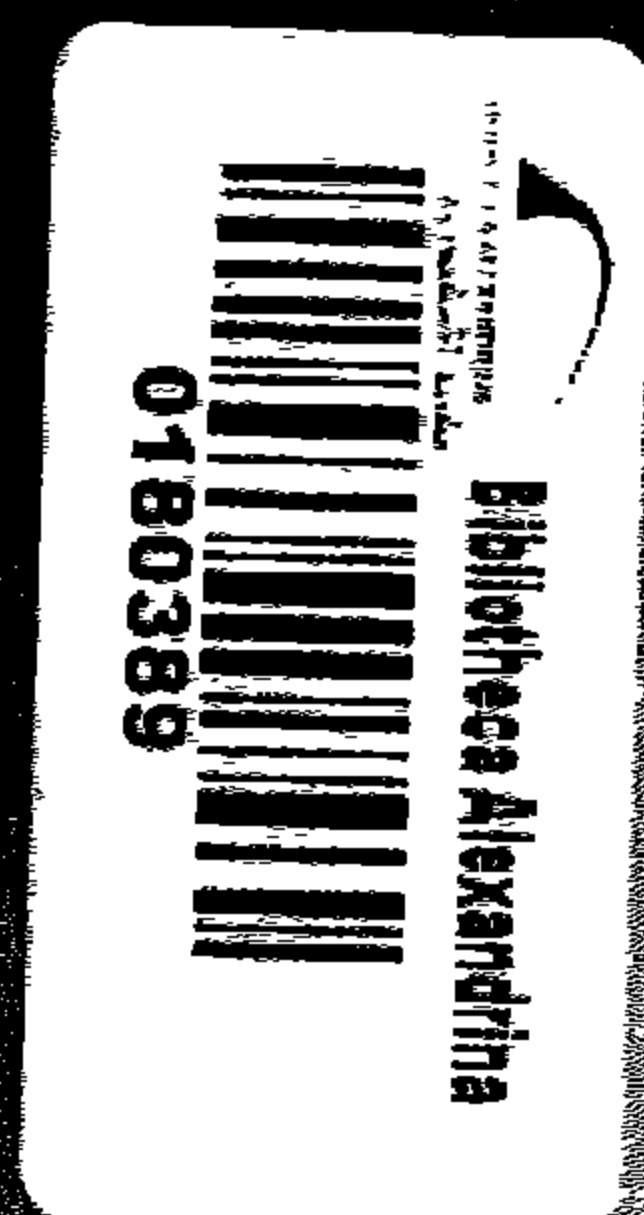
فكر في الفكر

وزير خارجية مصر الأسبق



سمير فراج

دار الفكر الحديث



سمير فرج

قطوف من مذكرات

دا محمد حسن الزيات

وزير خارجية مصر الأسبق

الطبعة الأولى

سبتمبر ١٩٩٣

دار الفكر الحديث

١٥ شارع شريف بالقاهرة



د/محمد حسن الزبيدي

الفهرست

إلى مسقط الفلكى الكرى "درباط" (الطريق التاريخية الفاضلة التي تشرق
بالإشعاع إليها وتعتبر وساماً على علمها في كل زمان ومكان، والتي تترى
إلى مصر والعراق والشام والهند والهند في كافة الساعات
والجبال والمياه، السكينة والهدوء والهدوء والهدوء والعلماء
والهدوء والفقه والفقه والنجباء .
الهدوء السكينة قطوف من حبيب الزمان من بساط النقاء والصفاء
والعطاء والهدوء والهدوء والهدوء .

ابنك المخلص البار

د/ محمد حسن الزيات

المؤلف

سمير فرج

كلمة الناشر

كان للدكتور محمد حسن الزيات حضوراً وكفاية لاينكران على ساحة العمل الدبلوماسي إقليمياً ودولياً .. فمنذ إستعانت به حكومة الثورة في عهدها الأول، إستمر الزيات نشطاً على مسرح الأحداث العالمي، ممثلاً لوطنه حيناً وممثلاً للجماعة الدولية حيناً آخر، وقد إستفادت به الأمم المتحدة في حل مشاكل القلاقل والإضطرابات في الصومال - قبيل إستقلاله - كما أنه بعد ذلك بمدة طويلة - عام ١٩٧٣ - مارس مساعيه الحميدة والناجحة لحل مشاكل الحدود التي كانت قد طفت على السطح بين الكويت والعراق .. ثم إن الزيات كان الرجل الذي إئتمنه ووثق بقدراته الرئيس الراحل أنور السادات عند الإعداد السياسي والدبلوماسي لحرب التحرير في أكتوبر ١٩٧٣ حيث نجح الزيات في مهمته بشكل باهر وملفت للأنظار.

وفي هذا الكتاب شهادة لرجل شارك وصنع وساهم في صياغة قرارات هامة أثرت على خريطة العالم المعاصر الذي نعيش فيه اليوم وهي شهادة دقيقة وأمينّة بكل ماتحمله هاتين الكلمتين من معان .. فتلك كانت طبيعة الرجل، والتي انعكست على فكره وعمله وآرائه، التي من بينها هذه القطوف من مذكراته التي صاغها بأمانة الكاتب الصحفي سمير فراج، والذي بذل مجهوداً ملموساً ومحموداً في ذات الوقت، في عصر قل فيه المجتهدون من الناس .

وان «دار الفكر الحديث» إذ تتشرف بتقديم هذا الكتاب، وثيقة تاريخية هامة للعالم العربى كله ، فإنها ترجو أن تتمخض الأيام عن ترجمته إلى العديد من لغات العالم(*) ليكون فى متناول غير الناطقين بالعربية، أيضا، وبينهم كثيرين يعرفون الزيات ويقدرّون له مواقفاً وأيادٍ..

إننا إذ نقدم هذا الكتاب، أول مانقدمه، إلى «دمياط» مسقط رأس كل من الدكتور الزيات والمؤلف سمير فراج، والتي حرص الإثنان برأ بها على الإسهاب فى الحديث عنها بكل التقدير وفاء وعرفاناً ..

فإلى شعب دمياط ..

وإلى الشعب المصرى ..

وإلى الشعب العربى كله من المحيط إلى الخليج ..

نقدم هذا الكتاب الموثق، عسى أن يلقى ثناء مشكوراً .

وبالله وحده التوفيق .

الناشر

(*) أبدى البعض من «الهند» أهمية ترجمة الكتاب إلى اللغة الأوردية.

وقد كان د. الزيات رئيساً لجمعية الصداقة المصرية الهندية، كما قضى

فترة من حياته الدبلوماسية سفيراً لمصر فى الهند ونيبال.

مقدمة الكتاب

✽ نشأت في حي واحد، جمعى والدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر الأسبق - الراحل - الحى هو قسم أول دمياط - في المدينة الفاضلة كما نحب أن نسميها « دمياط » .. وهذا الحى الراقى أخرج لمصر عباقرة يكفى أن أقول أن من بينهم عالم الذرة الشهير الدكتور « على مصطفى مشرفة » ، وكانت تقطنه الأسر العريقة في دمياط .. وفيه عشت العلاقة الوثيقة التى ربطت بين الأسرتين « فراج » و « الزيات » في هذا الزمان الجميل ، وعرفت عن الإخوة البالغة التى ربطت بين جدى العالم الجليل الأستاذ الشيخ محمد فراج والرجل الفاضل حسن الزيات « والد الدكتور الزيات » .. ثم تابعت عن قرب هذه الصداقة الحميمة التى ربطت بين والدى الراحل الأستاذ طاهر محمد فراج الصحفى القديم والمربى المفضل وصاحب المكانة الرفيعة في دمياط وبين الأستاذ المفضل المستشار « ابراهيم حسن الزيات » الشقيق الأكبر للدكتور الزيات ، الذى وصل إلى أعلى مراتب القضاء الرفيعة في محكمة النقض .. كنت طفلاً صغيراً أتعلم معنى الصداقة والوفاء والانتماء من هذا الذى كنت آراه بين والدى وصديقه المستشار ابراهيم الزيات ، ويمكننى القول أن راحلنا المستشار ابراهيم الزيات عندما ترك دمياط واستقر في القاهرة بحكم عمله القضائى ، كان عندما يحضر لدمياط في اجازة سريعة خاطفة يذهب أول ما يذهب للقاء والدى الذى يستقبله في شوق بالغ وبكل المشاعر الأخوية الصادقة التى لا يمكن أن نراها أو نحس بها اليوم .. وكنت استمتع بلحظات اقتراب فيها من جلسة الكبار .. جدى ووالدى والمستشار ابراهيم الزيات ووالده ، اختلس منها أيضاً معانى الخير والنبل والوفاء من هؤلاء العظام الذين لا يجود بهم الزمان .. عليهم جميعاً رجمة الله ..

وفي عام ١٩٦٣ كان والدى يعيش مأساة الرحيل المفاجيء المهيب لزوجته البارة الوفية « أمى » وهى فى ريعان شبابها .. وبرحيلها وضح أنها سحبت معها بساط الحياة من تحت أقدامه ، فتدهورت حالته النفسية وساعت معنوياته ولم يعد على الاطلاق فى حالته الطبيعية وكان رفيقه الدائم وبلسم الشفاء عنده هو المستشار ابراهيم الزيات — الذى كان حريصاً على زيارته أكثر من ذى قبل فى منزلنا بشارع سعيد الأول ويخفف عنه ويحاول أن يخرج به من الحال التى وصل إليها برحيل زوجته ويا سبحان الله يأتى يوم الأربعاء الذى يسبق يوم الأربعاء الموافق ١٥ مايو ١٩٦٣ ليطلع والدى فى « جريدة الأهرام » أسوأ نبأ تلقاه بعد رحيل « أمى » — لقد مات المستشار ابراهيم الزيات فجأة ، ورأيت والدى وهو يبكى للمرة الثانية حزناً على رحيل صديقه الحميم الوفى ، وكانت المرة الأولى وهو يبكى رحيل أمى .

أما المفاجأة الأخرى فتأتى فى يوم الأربعاء التالى الذى ذكرته وفى نفس الميعاد الذى قرأ فيه « نعى » صديقه الراحل المستشار ابراهيم الزيات لقد مات والدى هو الآخر بأزمة قلبية مفاجئة ليلحق بصديقه وبأمى .. بكل الوفاء لهما .. فقد مات الثلاثة فى مايو ٦٢ ، ٦٣ . أما المفاجأة الكبرى فكانت أمامى ذات مرة وأنا أزور قبر والدى أن وجدت الدكتور محمد حسن الزيات ومعه بعض سيدات أسرته بجوار القبر .. وتبادلت التحية معه فقد كان يعرفنى جيداً .. وأدركنا جميعاً أن الراحلين العزيزين والذى وشقيقه يرقدان أيضاً فى قبرين متجاورين يفصل بينهما البزرع الأخضر .. وقرأنا الفاتحة على الجميع وقلنا يا سبحان الله .

وبعد ذلك تابعت بإعجاب مشوار الدكتور محمد حسن الزيات نحو العالمية وكنت ولا زلت وسأظل اعتبره وساماً على صدرى وصدر دمياط وقد أحبها وعاش وهو يتغنى بها بكل الوفاء والصدق

والانتماء .. هو وابن عمه نائب رئيس الوزراء الأسبق الأستاذ محمد عبد السلام الزيات وقد جمعت بينهما ذات مرة وزارة الدكتور عزيز صدقي في يناير ١٩٧٢ عندما عين فيها د. الزيات وزيراً للإعلام وهو نفس المنصب الذي تولاه ابن عمه محمد عبد السلام الزيات عقب حركة السادات في ١٥ مايو ١٩٧٠ التي استولى فيها على الحكم وحده ! وشاعت الأقدار أن يختلف محمد عبد السلام الزيات بعد ذلك مع السادات ويعترض على سياسته ، وكذلك يختلف د. محمد حسن الزيات وزير خارجيته معترضاً أيضاً على سياسته كما نعرض في صفحات هذا الكتاب وهذا يبين قيمة الإنسان الدمياطي الواعي الذكي المتمسك بقيم لا يلين عنها .

و د. محمد حسن الزيات كرمته الجامعة في دمياط بصفته أحد أعلام دمياط القدامى ، ووقف يخطب في حفل التكريم بكلية التربية التي تولت التكريم — قائلاً جملة لا يمكن أن تنسى : « أن هذا التكريم لى فى بلدى دمياط .. هو أعلى تكريم حصلت عليه فى العالم كله » .. وهذا يوضح حب وانتماء وصدق هذا الانتماء لمسقط رأسه « دمياط » .. وهو الذى حصل على أرفع الدرجات العلمية والأدبية والأوسمة والنياشين فى مصر والعالم .

وفى العام قبل الماضى وفى مهرجان ومؤتمر أعلام دمياط عندما كرمته الجامعة وكلية التربية كأحد أبناء الجيل الجديد بعد د. الزيات كان الرجل حريصاً على أن يكون أول المهنيين لى بعكس الذين امتلأت قلوبهم بالحق .. وشد على يدى مشجعاً ومتمنيا لى المزيد وهذا هو معدن وأصالة وأخلاق الدكتور الوزير محمد حسن الزيات .

**** مذكرات د. محمد حسن الزيات بصوته عندي :**

كانت أمنيته أن أسجل مع د. الزيات مذكراته وذكرياته في حياته كلها من الطفولة في دمياط الى الوزارة في القاهرة .. وكنت كثيراً ما ألمح له بذلك على أساس أنني لست غريباً عنه .. وهو بالنسبة لي الوالد العزيز والأستاذ الكبير وكنت أتدلل عليه بأن أقول ذلك فيرد رحمه الله قائلاً : وأنت الابن العزيز ابن الرجل العزيز حفيد الرجل الغالى . وقد سبق أن شرحت طبيعة الصلة بين والدى وجدى بآل الزيات وأضيف على ذلك الآن هذه الصلة الوثيقة التي كانت أيضاً بين الاستاذين المفضالين عبده حسن الزيات المحامى رئيس تحرير كوكب الشرق والمهندس عباس حسن الزيات نائب وزير الصناعة الأسبق وبين والدى وأعمامى وجدى وقد ذكرنى بذلك أخيراً والدنا المهندس عباس حسن الزيات شقيق د. الزيات .. بارك الله عمره ، أثناء حضوره مهرجان الوفاء والانتماء الذى دعوت إليه في عيد دمياط القومى ، لتكريم اسم راحلنا د. محمد حسن الزيات بكل الوفاء والعرفان وشرفه الأستاذ المستشار محافظ دمياط محمد عبد الرحيم نافع .

وأعود لذكر كيف استطعت الحصول على مذكرات د. الزيات من الطفولة في دمياط الى الوزارة في القاهرة ؟ وقد حرصت على ذلك وكان الرجل لطيفاً معى وهو يعلم أن كبار الكتاب والصحفيين في العالم لا شك يودون الدخول في سباق من أجل الحصول عليها وقد قلت ذلك بنفسى للدكتور الزيات .. ولكنى أكدت له وأنا أذاعب أبوته أنني سأحصل عليها لأن دمياط هى العامل المشترك ثم أضفت أقول له : وأيضاً والدى الكبير الراحل الأستاذ المستشار ابراهيم الزيات .. أعتقد لو كان على قيد الحياة لطلب منكم أن تكون المذكرات بقلمى أنا .. خاصة وأنى سوف أكون

أميناً عليها أكثر من غيرى .. » وكان الدكتور الزيات شديد
الوفاء والحب لشقيقه المستشار إبراهيم الزيات يرحمه الله ..
فقال لى على الفور : غدا تأتينى فى الزمالك ونبدأ التسجيل ..
ولمـح السعادة فى وجهى والفرحة فى عيى فقال : مبسوط ! قلت :
شاكر فضل سيادتك *

خمس دقائق كادت تفقدنى مذكرات د. الزيات :

الطريف أن هذه المذكرات كدت أفقدها قبل أن أستجلها مع
د. الزيات والسبب أنه فى الوقت الذى كنت فيه أكاد أطيـر من
السعادة لأننى سأحصل عليها .. كنت أفكر كثيراً فى ذلك وأنا فى
الطريق الى منزل د. الزيات بالزمالك — وكنت فى نفس الوقت
ارتجف من الخوف — إبنى سأجلس أمام وزير خارجية مصر فى
أحرج لحظات تاريخها انطويل *

وتأخرت عن موعد لقائى بالدكتور الزيات خمس دقائق
بالتمام والكمال وحينما وضعت إصبعى أضغط على جرس الباب
وجدت د. الزيات بنفسه هو الذى يفتح الباب ووجهه يوضح
شيئاً ما متضايق بشأنه ! ودلفت الى داخل شفته الوقور. وعلامات
الاستفهام تتراقص أمامى لماذا د. الزيات متضايق بهذا الشكل ؟
هل أنا السبب — لكن كيف ؟

وكان د. الزيات قد تركنى لدقائق ثم عاد وقطع صمتى
وتفكيرى قائلاً فى حزم : الساعة كام فى يدك !

قلت وأنا أنظر فى ساعتى : السابعة والنصف وخمس دقائق *
قال : وما هو الموعد الذى اتفقنا عليه للحضور فى ليلة الأمس ؟
قلت : السابعة والنصف !

قال : لكن الساعة الآن بالضبط الثامنة إلا ثلثا — تحدثنا الآن لمدة دقيقة ! وتركتك لمدة دقيقتين أو أكثر قليلا ، لقد جئت هنا متأخرا خمس دقائق .. أتعلم كم تكلف العالم الدقيقة الواحدة وتؤثر فيه ؟ هل تدرك أن الدقيقة الواحدة يمكن أن تلعب دوراً في انتصار أمة وهزيمة أخرى !

وأحس الدكتور الزيات بأننى أرتجف خوفاً وأدبا منه .. فإذا بابتسامته الحنون تعود إليه وهو يحذرنى فى لطف بأنه إذا تكرر التأخير ، فلن يكون هناك أى تسجيل لمذكراته واستعدت توازننى ..

ثم جلسنا معاً وكانت البداية الأولى فى الحوار الذى امتد بعد ذلك إلى بيته الموقور البسيط فى نفس الوقت فى قرية « الناصيرية » بدمياط — وسط الحقول الخضراء .. حيث كان الزيات يحب الحياة .

كان له شرط واحد لنشر هذه المذكرات أن يقرأ كل كلمة ويراجعها بنفسه قبل النشر .. وأكدت له ذلك — وبالفعل سلمته بعض الأوراق بعد تفريغ أشربة التسجيل ليراجعها بنفسه كطلبه وكان سعيداً من طريقة الحوار ومن الخلفية السياسية غدى والحمد لله على ذلك .. لكن لم أكن أدرك أننى سوف أتحمل مسؤولية نشر هذه المذكرات وحدى ، وبكل الألم والحزن — بعد أن رحل عن الحياة وتركتنى لضميرى .. وهذه مسؤولية كبرى .

وفى الفترة الأخيرة نشرت قطوفاً من هذه المذكرات فى جريدة الأنباء الكويتية ، التى كان يحبها ويحترمها ، وأفردت لها صفحات نالت تقدير واهتمام الأوساط السياسية والدبلوماسية والأدبية والثقافية فى مصر والعالم العربى ، بل والعالم كله ..

وقد حرصت في هذه المذكرات أن أعرض لجوانب متعددة في شخصية د. الزيات — والصلة المباشرة التي كانت موجودة بين آل الزيات وعميد الأدب العربي طه حسين ، واحترامه لتلميذه النجيب محمد حسن الزيات ، وتقدير إبنته « أمينة » لثقافة وخلق زميلها في كلية الآداب محمد حسن الزيات وعرضت بقدر المستطاع لتفاصيل الحياة العائلية والحوارات التي كانت تتم في بيت طه حسين والأسرة التي أصبحت تضم محمد حسن الزيات وتعمدته اللقاء الضوء على قطع الأدب والفكر والثقافة ، والسياسة واللغة العربية الفصحى والتأريخ ، والمناخ الذي كان يعيش د. محمد حسن الزيات مع طه حسين — وكيف شرفت دمياط بذلك التي جاء ذكرها كثيراً على لسان د. الزيات هو وأفراد أسرته ..

وأوردت كافة المواقف السياسية والدبلوماسية للدكتور الزيات في أصعب فترة في تاريخها المعاصر .. وهو يتولى منصب الوزير للخارجية المصرية والتمهيد لحرب أكتوبر — وهو الرجل الذي بكى يوم النكسة في عام ١٩٦٧ ، وأوضحت أسرار استقالته بعد حرب أكتوبر ، وأوردت كيف استطاع أن يكشف دهاء وخبث « كيسنجر » اليهودي الأمريكي — من أجل أن تتحطم الآمال العربية في حل عادل شامل لأزمة الشرق الأوسط .

ولم أنس دفاع د. الزيات عن صهره عميد الأدب العربي طه حسين بكل الوفاء والصدق والموضوعية — في وجه الذين هاجموه !

وعرضت إلى العديد من أفكاره وجملته وسطور من مؤلفاته وكتابه الرشيق الشائق « ما بعد الأيام » وأوردت قطوفا كافية منه تضيف الى مذكراته ما يجعلها حلقات متصلة شديدة الالتصاق

وكان د. الزييات هو هذا المثقف والأديب والمفكر العربى على أعلى مستوى لا ينكر ذلك إلا الحاقد أو الجاحد أو الجاهل !

وفي الفترة الأخيرة رأيت أقزاما يتناولون على العمالقة من كبار رجالات الثقافة والمعرفة والأدب والفكر .. ولأن هؤلاء الأقزام الذين يحبون السير بطريقة « خالف تعرف » فإننى لن أذكر سوى مقولة حاسمة حازمة في وجه هؤلاء هي : « فإذا أنتك مذمتى من ناقص ، فهي الشهادة لى بأنى كامل » • ولعل هذا يريح د. الزييات العزيز الغالى في قبره الطاهر .

لقد كان د. الزييات هو واحد من ألمع الأدباء والمفكرين والمثقفين في الفترة الأخيرة من نهاية القرن العشرين •

وزراء الخارجية المصرية بعد الثورة — قبل د. الزييات هم :

* الدكتور أحمد محمد فراج طابع والدكتور محمود فوزى ومحمود رياض والدكتور مراد غالب ثم الدكتور محمد حسن الزييات • عام ١٩٧٣ الذى تعرض فى هذا الكتاب لقطوف من رحيق ذكرياته وأرجو أن أكون قد وفقت إن شاء الله فى تحقيق المعنى الذى قصدته وأنا أدعو إلى مهرجان الوفاء والانتماء فى دمياط ولتكريم اسم راحلنا الكبير د. الزييات الإنسان والأديب • والمفكر • والمثقف • والوزير • والأصالة والطهارة • والنعاء • والصفاء • وبرحمه الله رحمة واسعة •

ولد الدكتور محمد حسن الزييات يوم ١٤ فبراير عام ١٩١٥ بمدينة دمياط ، وحصل على الشهادة الابتدائية من مدرسة دمياط الابتدائية • ثم التحق بالمدرسة الخديوية وانتقل منها الى مدرسة حلوان الثانوية ثم مدرسة القبة الثانوية التى حصل منها على شهادة إتمام المرحلة الثانوية • ثم درس الآداب بعد ذلك وحصل على

الليسانس من كلية الآداب ، جامعة القاهرة •• عام ١٩٣٩ ، وواصل دراسته وحصل على الماجستير في الآداب مع مرتبة الشرف الأولى عام ١٩٤٢ ، وفي نفس العام حصل على دبلوم معهد الدراسات الشرقية من كلية آداب القاهرة •• والتحق بعد ذلك بكلية أوريل بجامعة اكسفورد ونال منها درجة الدكتوراه عام ١٩٤٧ وكان موضوعها عن التأثيرات الايرانية على الأدب السياسى « أدب القصر » في القرون الثلاثة الأولى في الاسلام • شارك الدكتور محمد حسن الزيات في العمل السياسى والاجتماعى منذ كان طالبا في المرحلة الثانوية •• وتعرض للسجن والفصل من الدراسة مرات عديدة بسبب معاداته للاحتلال البريطانى • عمل الدكتور محمد حسن الزيات في بداية حياته بمكتبة جامعة القاهرة ، ثم عمل سكرتيرا فنيا لأستاذه الدكتور طه حسين ، ثم التحق بعد ذلك بالسلك الجامعى وعمل بالتدريس في جامعة الاسكندرية من عام ١٩٤٢ وحتى ديسمبر عام ١٩٥٠ حيث انتدب للعمل ملحقا ثقافيا في سفارة مصر في واشنطن •• ثم عاد بعد ذلك للعمل بجامعة الاسكندرية ورقى فيها عام ١٩٥٤ الى درجة استاذ مساعد ، ثم نقل بعد ذلك الى وزارة الخارجية ، وعاد مرة ثانية إلى سفارة مصر في واشنطن وعمل فيها سكرتيرا أول ومستشارا • وفي عام ١٩٥٥ نقل الدكتور محمد حسن الزيات الى سفارتنا في إيران •• حيث تسلم مقاليد إدارتها كمستشار وقائم بالأعمال حتى عام ١٩٥٧ حيث عين وزيرا مفوضا وممثلا لمصر في المجلس الاستشارى للأمم المتحدة في الصومال •• وبهذه الصفة مثل المجلس — كما مثل بلاده — في مجلس الوصاية الدولى التابع للأمم المتحدة في نيويورك • وقد واصل عمله في العاصمة الصومالية مقديشيو حتى أعلن بنفسه — بوصفه رئيسا للمجلس الاستشارى — استقلال الصومال في منتصف ليلة الأول من يوليو عام ١٩٦٠ •

وعند عودته الى مصر في نفس العام عين مديرا للإدارة العربية بوزارة الخارجية وممثلا لمصر لدى مجلس الجامعة العربية وذلك حتى

عام ١٩٦٢ حيث أختير مندوبا دائما مثابا « سفيرا » لمصر لدى الأمم المتحدة ، وشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٦٤ شارك خلالها في اجتماعات مجلس الأمن والجمعية العامة عند نظر قضايا فلسطين واليمن وعمان وغيرها ، وانتخب نائبا لرئيس لجنة التعاون الدولي التي أنشئت بمناسبة مرور عشرين عاما على انشاء الامم المتحدة .. كما انتدب لرياسة الوفد المصرى فى لجنة الثمانى عشرة دولة لنزع السلاح فى جنيف وشارك فى جهود الدول غير المنحازة فى اللجنة التى انتهت باتفاقية الحد من التجارب النووية . فى عام ١٩٦٤ تم تعيين الدكتور محمد حسن الزيات سفيرا لمصر فى الهند ونيبال وبقي فى هذا المنصب حتى اختير فى فبراير ٦٥ وكيلا لوزارة الخارجية المصرية للشئون العربية والافريقية وشئون فلسطين ، وفى يونية ١٩٦٧ أختير الزيات ليكون أول رئيس للهيئة العامة للاستعلامات التى أنشئت فى ذات العام لتحل محل مصلحة الاستعلامات .. كما عمل متحدثا رسميا باسم الدولة ، واستمر فى هذين العاملين حتى عام ١٩٦٩ حيث عين سفيرا ومندوبا دائما لمصر لدى الأمم المتحدة ، وظل فى هذا المنصب حتى عام ٧٢ . وفى عام ١٩٧٢ أختير الدكتور محمد حسن الزيات وزيرا للدولة للاعلام ، وبعد شهور قليلة أختير وزيرا للخارجية ، وكانت الوزارتين برئاسة الدكتور عزيز صدقى وعندما استقالت الوزارة ليؤلف الرئيس السادات وزارة الاعداد لمعركة أكتوبر ١٩٧٣ أختير الدكتور الزيات مرة أخرى وزيرا للخارجية ، وتولى خلال هذه الآونة مهام الاعداد السياسى لحرب التحرير .. وعندما اندلعت الحرب فى السادس من أكتوبر ٧٣ كان الزيات يرأس وفد مصر لدى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نيويورك وقد اشترك مع كل وزراء الخارجية العرب فى الدفاع عن تحرك مصر والعرب ، وعملهم لاستثمار الحرب للتوصل الى التسوية العادلة التى تمحو آثار الاحتلال الاسرائيلى لسيناء والجولان والضفة الغربية وغزة والقدس ، وتحقيق للشعب الفلسطينى حقه فى تقرير مصيره واقامة دولة مستقلة على أرضه . وفى أواخر أكتوبر ١٩٧٣ عين الدكتور محمد

حسن الزييات مستشارا لرئيس الجمهورية ، وبقي في هذا المنصب حتى بلغ سن المعاش في فبراير ١٩٧٥ • الى جانب المناصب السياسية الهامة التي تقلدها الدكتور محمد حسن الزييات ، فقد شغل العديد من المناصب العلمية • ومنها أستاذ زائر للدراسات العليا عن الشرق الأوسط في جامعة كولومبيا بنيويورك ، وأيضا أستاذ زائر بجامعة كاليفورنيا ببلوس انجلوس وذلك خلال الفترات التي قضاها في أمريكا • كما عمل أستاذا زائرا في جامعة الاسكندرية ، وفي كلية التربية بدمياط وبحكم عمله السياسي وشغله للعديد من المناصب البارزة ، شغل الدكتور الزييات عضوية العديد من المجالس واللجان الدولية ، واشترك في العديد من المؤتمرات الهامة ، وسافر إلى مختلف دول العالم ممثلا لبلاده • نضيف الى ذلك عضويته في المجمع العلمي المصري ، وجمعية الاقتصاد والعلوم السياسية ، وأيضا عضويته في أكاديمية الملكة المغربية • وقد اختير الدكتور الزييات عضواً بالهيئة العالمية للتحكيم في جائزة أديرا غاندي للسلام والتنمية ونزع السلاح • والدكتور الزييات أيضا كان عضوا في النادي الدبلوماسي المصري ، ونادي المعادي ، ونادي الجزيرة ، والمجلس الأعلى للصحافة •

من دمياط واصل الدكتور محمد حسن الزييات نشاطاته السياسية • فشغل منصب الأمين العام للحزب الوطني للمحافظة ، وانتخب في عام ١٩٨٤ عضوا في مجلس الشعب عن دمياط ، وأعيد انتخابه عام ٨٧ وفي المجلس أختير رئيسا للجنة الثقافة والسياحة والاعلام عام ٨٤ ، ورئيسا للجنة الشؤون العربية عام ١٩٨٧ ، وفي دمياط أيضا أنهى الدكتور محمد حسن الزييات مسيرته السياسية • فعندما أخفق في تمثيل دمياط في انتخابات مجلس الشعب عام ١٩٩٠ فضل الابتعاد نهائيا عن ساحة العمل السياسي • وقدم استقالته من أمانة الحزب الوطني • إلا أن السلطات العليا أرجأت قبول الاستقالة • والاستمرار في العمل كأمين للحزب الوطني لمحافظة

دمياط .. وأمام الحاجة في الاستقالة والابتعاد نهائيا عن ساحة العمل السياسى لم تجد الحكومة مناصا من قبولها وكان ذلك في مايو ١٩٩٢ وقد دأب الدكتور محمد حسن الزيات على كتابة المقالات ، ونشرها في الصحف المصرية والعربية منذ كان طالبا وحتى وفاته .. كما ألف خمسة كتب هى : ملخص وثائق فلسطين « جزآن » ، ما بعد الأيام ، الهند ومصر .. علاقة حديثة بين دولتين قديمتين ، الاسلام والحضارة الغربية ، الصلات بين الهند ومصر والثلاثة كتب الأخيرة مؤلفة باللغة الانجليزية . لقي الدكتور محمد حسن الزيات العديد من أوجه التكريم داخل مصر وخارجها .. فقد نال وسام الاستحقاق من الطبقة الثانية ، ووسام الجمهورية من الدرجة الأولى ، وحصل على وسام وشاح النيل وهو الوسام الذى يمنح عادة لرؤساء الوزراء .. وكان الزيات أول من حصل على وسام نجمة الصومال « الجديد » تقديرا من الصوماليين لما بذله من جهد لتحقيق استقلال البلاد . وحصل الزيات على أوسمة من موريتانيا وتونس ولبنان واليمن الشمالية وتشاد والبرازيل والنمسا وبلجيكا وهولندا وإيطاليا وتايلاند وإيران . كما كرمته دمياط باختياره شخصية عام ١٩٨٨ وكرمته المحافظة في احتفال كلية التربية .. وفي الفترة الأخيرة ترأس جمعية الصداقة المصرية الهندية بالقاهرة .

علاقة آل الزيات بطه حسين

* عام ١٩٣٣ *

يخصص الأستاذ أحمد حافظ عوض صاحب جريدة « كوكب الشرق » صفحتها الأولى بالكامل — مساء ٥ مارس ١٩٣٣ لمقال يعلن فيه للشعب « حدثا خطيرا » بالغ الأثر هو مشاركة طه حسين بقلمه الفياض — في الصحافة المصرية وفي السياسة المصرية — كما تنشر الجريدة في نفس العدد رسالة واردة لها من رئيس الوفد المصري مصطفى النحاس باشا يقول فيها :

« أنا مغتبط باشتراك التابغة الكبير د. طه حسين في تحرير جريدة « كوكب الشرق » ويظهر أول مقال لطله حسين « في كوكب الشرق » في التاسع من مارس ١٩٣٣ بعنوان « عهد » يقول فيه : « ان خير ما يستطيع المصري أن يقدمه لوطنه في هذه الأيام انما هو الاخلاص في القول والعمل ، والصدق في الرأي ، والمضاء في العزم ، والقوة على المقاومة ، والاستعداد لاحتمال المكروه ، ثم يعاهد الذين سيقرعونه على أنه سيكون من هذا كله بحيث يحبون » .

وقد أحاط بطه حسين في عمله الصحفي الجديد عدد من تلاميذه الشباب مصممين على بذل أقصى الجهد في معاونته . . وتظهر في جريدة « كوكب الشرق » توقيعات عدد من الشباب المثقف بعضهم يكتب في الصحف لأول مرة منهم عبده حسن الزيات(*) المحامي ، الذي يرأس تحرير « كوكب الشرق » بعد ذلك بوقت قليل ، وتراقب صحيفة كوكب الشرق تصرفات الحكم ولا تتردد في الكشف عما تراه في أعماله من تقصير وفساد ، تراها تنشر مقالا خطيرا بغير

(*) شقيق الدكتور محمد حسن الزيات .

امضاء تتهم فيه وزير الداخلية محمود فهمى القيسى باشا بتضليل مجلس النواب وتزوير محضر جلسة المجلس . .

فستدعى النيابة رئيس التحرير « عبده حسن الزيات » تسأله عن كاتب المقال فيقرر أنه هو كاتبه ، ولكن طه حسين يتقدم الى النيابة ليقرر أن عبده حسن الزيات تلميذه ، وأنه إنما يريد أن يحميه ويتحمل عنه مسئولة كتابة المقال ، ويستشهد بسكرتيه الأستاذ فريد شحاتة على أنه هو الذى أملاه ، كما يستشهد بأسلوبه الذى يقول أنه لا يحتاج الى إمضاء .

وتنتهى النيابة العامة الى تقديم طه حسين وعبده حسن الزيات ، الى القضاء ، فيحكم على كل منهما بغرامة تم دفعها .

* ما بعد الأيام . . محمد حسن الزيات

أردت من ذكر هذه القصة أن أبين كيف كانت العلاقة والصلة بين طه حسين وآل الزيات قائمة منذ وقت طويل ، وأن جذوراً ضاربة على أرض الحياة ربطت بين الأسرتين .

فالصلة قديمة بين آل الزيات وطه حسين خاصة وهذا الحدث فى عام ١٩٣٣ بينما زواج د. محمد حسن الزيات من أمينة طه حسين تم فى عام ١٩٤٨ كما سنعرف بعد ذلك من الأحداث . خاصة وأن د. الزيات قال أن تعرفه على عميد الأدب العربى طه حسين كان فى عام ١٩٣٤ .

* * ويستطيع القارئ العزيز . . أن يتعرف وببساطة على الصلة التى ربطت بين إبنة عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين « أمينة » وبين زميلها فى كلية الآداب « محمد حسن الزيات » وقد كان أساسها الأدب والفكر والثقافة والتاريخ . . واللغة . .

والاحترام والتقدير المتبادل .. وكانت مناسبة عيد ميلاد طه حسين السادس والخمسين في الرابع عشر من نوفمبر ١٩٤٥ وبحضور الشيخ الجليل مصطفى عبد الرازق والذي كان مرشحاً لشيخ الأزهر في ذلك الوقت ، الفرصة لتمهد إبنة العميد لزميلها النقيب محمد حسن الزيات في طلب يدها من الوالد طه حسين .. عن طريق مخطوط ثمين اختاره الزيات « لأمنية » لتقدمه له في يوم عيد ميلاده .. وكانت الخطوة الأولى على طريق زواج د. محمد حسن الزيات وأمنية طه حسين وإعجاب العميد د. طه حسين بالشباب الديمقراطي الوسيم المثقف المحترم .

في يوم أول مايو ١٩٤٥ ، يعلن الألمان مصرع هتلر ، وتقول وسائل الإعلام أنه انتحر ، ومن قبل ذلك بيومين قتل الغوغاء موسوليني في إيطاليا — جيوش الحلفاء تدخل برلين • تستسلم ألمانيا • وفي يوم ٨ مايو ١٩٤٥ يعلن الحلفاء انتهاء الحرب في أوروبا •

— ونقول (أمنية) لأبيها — بعد إغلاق الراديو — الحمد لله — لكن هذا النصر لم يتحقق إلا بمصرع آله ، الشباب ووقوع آلاف الكوارث ، ما أعظم جريمة الطغاة ، كيف نحمل الحرية والكرامة البشرية في نفس الوقت الذي نحمل فيه الأجيال القادمة من أمثال هذه المجازر ؟

ويرد طه حسين : هذا يا ابنتي هو السؤال كما يقال : كيف يحيا الناس حياة فاضلة ، كيف يحققون دتيا الحرية والعدل ، وكيف يعيشون بها وكيف السبيل الى صيانتها دون أن تضطر الشعوب المسالمة الى أن تقابل بالعنف عنف المعتدين •

ويتوقف طه حسين برهة ثم يقول : ستعود الآن المواصلات

مع أوروبا ويتمكن أخوك مؤنس من السفر لباريس للدراسة لدرجة
الاجريجاسيون •

وتسأل أمينة : ولماذا لا يدرس للدكتوراه ؟

ويرد طه حسين : أريده أن يحصل على الاجريجاسيون أولاً
رغم أنها أصعب • أننى لم أرد لك أنت أيضاً أن تختارى الطريق
السهل ، لم تكن الدراسات اليونانية واللاتينية — التى اخترتها
لك — أسهل الدراسات ! وعلى فكرة أين بلغت فى بحثك للماجستير ؟
هل أنتهى من قراءة ما كتبه الشاعر الألمانى جوته عن موضوعك ،
عن قصة أفيجينيه ؟ ••

— وترد أمينة : نعم ولكن الموضوع كما تعلم صعب
بشكل يرضيك ! وعلى فكرة مطلوب منى محاضرة عامة حول هذا
الموضوع وقد قبلت متورطة ولكنى أموت خجلاً وخوفاً من مواجهة
الجمهور ••

— ويقول طه حسين : هذا الآنك تحترمين سامعيك ، هل
تظنين أنى لا أحس الرهبة حتى الآن عندما أواجه جمهوراً احترامه ؟ •

— أمينة : أنت ؟ طه حسين ؟ ••

ويرد : بكل تأكيد ، وعلى فكرة ألا تريدان استكمال دراستك
فى الخارج بعد أن يفتح الطريق لأوروبا ؟

وترد أمينة : بل أبقى هنا فى بلدنا الى جوارك ، وأين فى
الخارج أستاذ مثلك ؟

• • • • •
• • • • •

تقول أمينة لوالدها : أنا أقرأ لأبى العلاء .. أنا أقرأ
في اللزوميات ، في نسخة مخطوطة من اللزوميات •

— طه حسين : نسخة مخطوطة من اللزوميات ؟ ليس لدينا
نسخة مخطوطة ! واللزوميات ، أنت قطعاً لا تستطيعين أن تفهميها
وحدك — لا أنت ولا كثير غيرك من الشباب اليوم ، يجب أن
نترجمها لكم ، الى العربية !

وتتساءل أمينة : الى العربية ، وفي أى لغة هي إذن ؟

ويرد طه حسين : هي في لغة أبى العلاء ، سأترجمها الى
العربية التى يفهمها أمثالك ، وسأسمى الترجمة « صوت أبى العلاء » •

وتتهض أمينة وهى تقول : نترك هذا الآن ، هذا أوان
« الطورطة » ! وتتصرف وتعود بكعكة عليها شموع وتقول :
عليك يا أبى أن تطفىء هذه الشموع •

[كان اليوم هو يوم عيد ميلاد طه حسين السادس والخمسين
في الرابع عشر من نوفمبر ١٩٤٥ وكان يزوره غيه الشيخ مصطفى
عبد الرازق المرشح شيخاً للأزهر الشريف ، فيستبقيه للعشاء
ويجلس الثلاثة الى مائدة زينتها (أمينة) في مناسبة عيد
ميلاد أبيها] •

ويقول الشيخ مصطفى : أبوك يا ابنتى لا يجيد إلا إيقاد
الشموع •

وبعد تجاذب الأطراف الحديث بين العميد وابنته أمينة وشيخ
الأزهر « القادم » •

تقول أمينة : الآن نطفئ الشموع ، وعندى بعد ذلك رسائل
للاستاذ العميد الأولى والثانية من ماما وأخى مؤنس .. والثالثة
منى أنا — وقبلت والدها قائلة لك قلبى كله وهديتى هذا المخطوط ..

فيرد طه حسين .. ما هذا المخطوط ؟

أمينة : مخطوط مؤلف من أصدقائك .

الشيخ مصطفى : يتناوله وينظر فيه ويقول : هذه لزوميات
أبى العلاء ، هذا مخطوط مغربى ، هذا مخطوط ثمين (يسلمه لـطه
حسين) أحسنت الاختيار يا ابنتى .

— ثم يقول طه حسين : أولا من أين لك المال ؟ ثم من ذلك
على هذا المخطوط ؟

وترد أمينة : نعم أنت تسأل وأنا أجيب . عن السؤال الأول
فإنك تذكر أسهم شركة الجوت المصرية التى اشتريتها لى عند
حصولى على درجة الليسانس — أليس كتاب أبى العلاء أحسن
من الجوت ؟ والمخطوط جميل ولكنه ليس قديما جدا ولا ثمينا جدا !
نسخ فى مدينة فاس سنة ألف ومائة للهجرة حسب ما هو مكتوب فيه ،
وعن السؤال الثانى فقد ساعدنى فى البحث عن هذه الهدية أحد
تلاميذك النجباء :

إنه محمد حسن الزيات ، لقد أقسم لى أن هذا المخطوط ،
هو كتاب اللزوميات .

— ويقول طه حسين : ولكن — محمد فى انجلترا — فى اكسفورد .

وترد أمينة : ساعدنى قبل سفره ا وعلى فكرة هديته لك
علبة سجائر حفر عليها اسمك باللغة العربية .

ويقول طه حسين : وأنت أخفيت المخطوط كل هذه المدة ..
تعالى هنا لأقبلك يا ابنتي ، أخفيته كل هذه المدة .. !

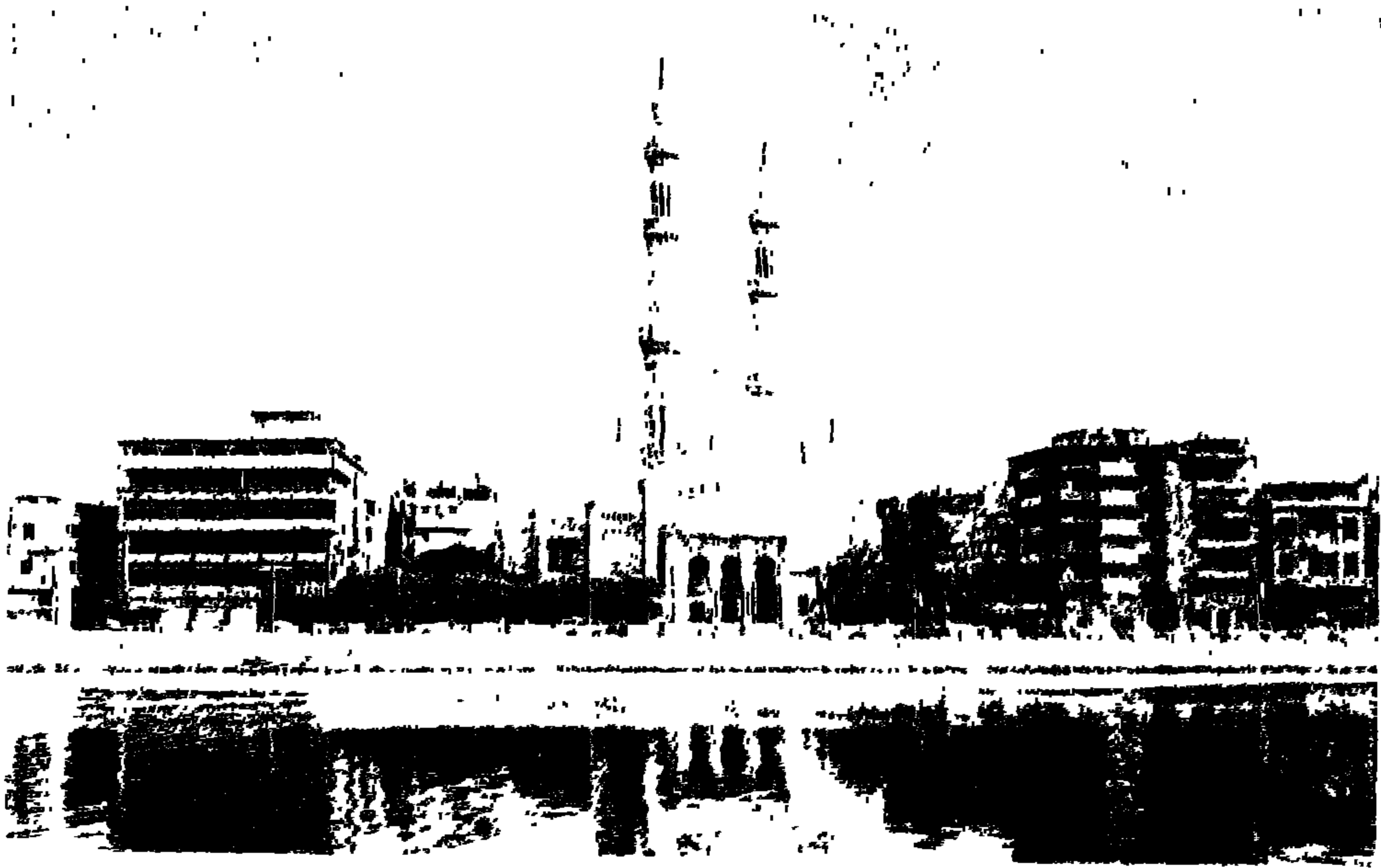
ماذا أخفيت أيضا ؟ وعلى فكرة في مجلة الكاتب المصري
سيكون عليك أنت أن تقدمي للقراء أهم مباحث الدوريات الغربية •

وتسأل أمينة : تعنى الفرنسية ؟

— ويرد طه حسين : لا — أعنى الغربية •

* * *

الباب الأول



دمياط ..
مسقط رأس د. الزيّات

دمياط في سطور :

* تقع محافظة دميّاط على فرع النيل الشرقى وبينها وبين البحر الأبيض المتوسط حوالى ١٢ كم ويمكن أن تعتبرها شبه جزيرة إذ يحفها النيل غربا والبحر شمالا وبحيرة المنزلة شرقا .

ودميّاط مدينة عريقة في القدم ، وكان اسمها في العصر الفرعونى دميّ آت [أى مدينة الأرز] وذكرت في التوراة باسم (كفتور) وفي العصر اليونانى Tamiat وفي العصر القبطى Tamiat ويقال أن معناها بالمصرية القديمة الأرض الشمالية التى تنبت الكتان — أما المقرئزى فيقول أنها كانت تسمى (دماط) .

دمياط في العصر العربى :

* لا تظهر صورة دميّاط التاريخية واضحة إلا من أوائل العصر الإسلامى حينما فتحها المقدام ابن الأسود من قبل جيوش عمرو ابن العاص فى القرن السابع الميلادى .

حاول الرومان غزوها مرارا لاستردادها ثلاثة قرون متوالية ، ولذلك بدىء فى تحصينها ببناء سورها وحصونها يوم ٥ فبراير سنة ٨٥٤ وانشئت بها العمار البحرية فى العصر الأيوبى .

استعان صلاح الدين بأساطيلها فى حرب الصليبيين وفى عهد الملك الكامل نزل الصليبيون بقيادة (جان دى برين) ببرها الغربى وعملوا على الاستيلاء عليها ، وكانت دميّاط تقاوم حوالى ١٦ شهرا ذاقت فيها الجوع والمرض حتى سلمت .

فقام الصليبيون بالنهب والسلب والقتل ، وما كاد المسلمون يستردونها حتى وقعت مرة أخرى فى يد الفرنجة بقيادة لويس

التاسع الذى هزمه « توران شاه » وأسره ، وهكذا استولى عليها الصليبيون مرتين فى العصر المملوكى .

وقد قام ملك مصر الظاهر بيبرس سنة ١٢٥١ بتخريبها عمداً ولم يبق فيها سوى مسجد أبى المعاطى وذلك ليأمن غزو الفرنج كما سد بوزار دمياط ليمنعهم من دخول المدينة فما كان من البعض إلا أن نزلوا بأرض على ساحلها وبنوا مساكن موجودة حتى الآن وتسمى المنشية ، وقصدها العلماء ومنهم الشيخ فاتح الأسمر الذى ينسب إليه جامع الفتح حيث دفن أبو المعاطى الذى كان الدمياطيون يحتفلون بمولده فى منتصف شعبان من كل عام ، وقد بنى بها المدرسة المتبولية تقرباً إلى ولى الله الشيخ ابراهيم المتبولى ومسجده كائن حتى اليوم فى الطرف الشمالى من دمياط .

فى عهد الحملة الفرنسية :

* كانت دمياط ثانى مدن القطر بعد القاهرة فى كثافة السكان وعنى بها الفرنسيون وعينوا بها أحد الجنرالات حاكماً . وقاوم الدمايطة الحامية الفرنسية وفتكوا بها وكان الفرنسيون يقيمون فى حى الأروام ولا يؤمنون على أنفسهم إذا دخلوا حى الوطنيين ، وبعد أن أخضع الغزاة الثورات أنشأوا قلعة عزبة البرج وقلعتين عند مدخل البوغاز شرقاً وغرباً .

فى العصر الحديث :

* فى أوائل القرن الماضى كانت دمياط ميناء مصر الأول وأنشئ منار دمياط الذى يقع عند مدخل البوغاز وهو فريد من نوعه إذ يدور دورة كاملة كل دقيقة فى جميع الاتجاهات .

وفى أواخر القرن الماضى وقفت دمياط موقفاً مشرفاً بقيادة البطل عبد العال حلمى أحد زملاء « عرابى » وقد أبعد الى دمياط

ولم يسلم للانجليز الذين احتلوا مصر إلا بعد أن هدموا ثكناتها وأسرؤا قائدها ونفوه .

•• هذا وقد كان لدمياط دورها الكبير فى ايواء المهاجرين بعد الاعتداء الثلاثى الغاشم على بورسعيد فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ وفى أعقاب مأساة ١٩٦٧ • وتعتبر دمياط من ثغور مصر القديمة وتحتفل كل عام يوم ٨ مايو بعيدها القومى ففى مثل هذا اليوم منذ أكثر من ٧٠٠ عام دقت طبول النصر فى كل بلد عربى واتجهت أنظار العالم الى دمياط فقد صنع أجدادنا المعجزة وارتدت جحافل الغزاة عن الشرق العربى بعد أن هزموا فى معارك المنصورة وفارسكور التى تتبع دمياط — وضربت دمياط مثلاً للبطولة والفداء فما كاد العدو يظاً أرض دمياط حتى أحرق أجدادنا المتاجر والمنقولات وكل ما يمكن أن ينتفع به العدو ، ثم انسحبوا الى المستشفيات والأحواش التى كانت حول دمياط ومنها بدأوا يشنون حرب المقاومة التى أوقفت الغزاة وحرمت عليهم الراحة وعجل بهزيمتهم ، وأسلمتهم الى البحر فى اليوم الثامن من مايو سنة ١٢٥٠ م •

* وىدمياط مصيف رأس البر الذى يعتبر جنة المصايف بحق ، ليس بسبب ما يتميز به من كثرة الحدائق وأماكن التشجير التى تكسبه رونقا وجمالا فحسب بل أن الطبيعة قد أغدقت على رأس البر السحر والجمال ومقومات السياحة الناجحة • ويمتاز بموقعه الفريد عند التقاء نهر النيل (فرع دمياط) بالبحر الأبيض المتوسط على شكل مثلث ضلعه الشرقى نهر النيل وضلعه الغربى البحر الأبيض المتوسط ، وهو فضلا عن ذلك يتمتع بجو جاف وهواء نقى على الدوام وهدوء مرغوب •

حديث د. الزيات عن مدينته دمياط

قبيل الرحيل

رغم تطوافه في العديد من دول العالم ، وزياراته لأحلى الأماكن التاريخية والأثرية والسياحية .. إلا أن أحلى أوقات د. محمد حسن الزيات كانت هي تلك التي يقضيها في مسقط رأسه بأقصى شمال دلتا مصر .. مدينته الصغيرة دمياط التي يدين لها بالفضل العظيم وتدين هي له بالفضل الأعظم ..

وقد ظل الدكتور الزيات على صلة حميمة بهذه المدينة الصغيرة وبريقها حيث أقام لنفسه منتجعا عبارة عن فيلا صغيرة في قطعة أرض زراعية حيث توجد جذور عائلية هناك في قرية شرباص التي سميت بعد ذلك بالناصرية حيث استطاع الأهالي بمعاونة د. الزيات استصدار قرار جمهوري بهذه التسمية الجديدة لقريتهم .

قلت له : هل هذا التحول من شرباص الى الناصرية يعكس انتماء للناصرية كفكر واتجاه سياسى ؟

— وقال الدكتور الزيات : لا شك أن هذه التسمية تؤكد حب أهالى بلدتى للرئيس الراحل جمال عبد الناصر كما تمثل انتماء له .

هذا وتعتبر الفيلا التي أقمتها في هذه القرية هي كوخى الدبلوماسى والسياسى والبرلمانى ذلك الكوخ الهادىء الذى كنت ألوذ به دائما هربا من عناء العمل ومشاكل المناصب السياسية العديدة .. فلقد عملت رئيسا للجنة الشئون العربية ولجنة الثقافة والفكر والاعلام بمجلس الشعب المصرى حيث كنت أمثل شعب دمياط بالمجلس .. وفى نفس الوقت الذى كنت أشغل فيه منصب الأمين العام للحزب الوطنى بالدائرة أيضا لسنوات طويلة .

ثم يقول د. محمد حسن الزيات : هذا بالإضافة الى أنني بطبعي أميل الى الهدوء والى الانتماء الى الأرض سواء كان ذلك في حدود انتماي لمصر أو للعالم العربي .

ولقد بقيت طوال عمري أفضل أن أكون أحد دبلوماسي العالم العربي وممثلاً له في المحافل الدولية على أن أكون ممثلاً لمصر فقط أو ممثلاً لبلدي دون ارتباطها بانتمايها العربي والاسلامي أيضا .

وقد كنت وأنا أعمل بالأمم المتحدة أرى العرب كشعب متحد وكأمة واحدة أكبر وأجمل منا في صورة بلاد متعددة وأقطار متفرقة وأحزاب متنازعة .. هذا رغم أنني لا أنتمي الى أي مذهب سياسي مصري أو عربي معين لأنني كنت وما زلت أعتقد أننا في مرحلة الجهاد لقيام الأمة العربية المستقلة ذات السيادة ..

وهذا يحتاج الى أن يكون لنا واجهة خارجية على الأقل متحدة وواحدة .. ولا شك إنه مما يسيء الى العالم العربي كثيراً أن يعلم خصومه وحتى أصدقائه أنه متفرق موزع في هيئة أقاليم بينها نزاعات قبلية ونزاعات حزبية .

ثم يعود د. الزيات الى ذكريات الطفولة ويقول :

لم تكن لي طفولة في الناصرية أو شرباص القديمة .. ومسقط رأسي والمكان الذي اعتز به دائماً هو مدينة دمياط .

ومدينة دمياط مدينة قديمة عريقة موجودة حتى في مقامات (الحريرى) وما قبل ذلك واعتزازي بها اعتزاز الرجل بأسرته وعائلته وأهله .. إنها مدينة قدمت لمصر وللعالم العربي الكثير من التضحيات .. مدينة دمياط تنازلت عن مكانها على ساحل البحر الأبيض المتوسط لكي تقى مصر والعالم العربي هجوم الصليبيين ودمرت تدميراً بمعرفة حاكم مصر .. وتراجعت عن مكانها الى داخل البلاد ..

وقد تمت دمياط تضحية أخرى عندما أقيمت مدينة بورسعيد
فتركت ميناءها وتراجعت لكي تقدم الى مصر والعالم كله قنساء
السويس .. كجهة اتصال بين الشرق والغرب ..

وبعد بناء السد العالى فقدت دمياط الكثير من مصايدها والكثير
من مكانتها كميناء وكمصدر للأسماك البحرية نظرا لحجز الطمى خلف
بحيرة السد العالى وهو الذى كان بمثابة مزرعة جيدة وصالحة لتكاثر
أنواع البورى وغيره من الأسماك المحببة .. ولكن دمياط رغم
فقرها فى الأرض الزراعية تعيش على كد أبنائها وعملهم الدعوب فى
الصناعة اليدوية مثل صناعة الموبيليا والحلويات والأنسجة .. وكذلك
العمل بالتجارة حيث ذاع صيتها فى كل بلاد حوض البحر الأبيض
المتوسط ..

ودمياط كما نعلم أقامت المدارس الحرة التى اضطلع بها رواد
من أبنائها جعلوا من سياسة التعليم فى بلادهم سياسة متميزة عما هو
شائع فى كل البلاد الأخرى .. فالتعليم فى دمياط كان وما يزال يوائم
بين حاجات المدينة وبين قدرات الخريجين .

وجريدة « أخبار دمياط » من أوليات الصحف الاقليمية التى
ظلت تعبر عن الواقع الدمياطى بصورة جادة ومتميزة ..

والواقع أن بدمياط أشياء كثيرة جدا .. مما أريد أن أراه فى
مصر كلها مثل الاعتماد على النفس والعمل البناء والاعتزاز
بالاقليمية .. وأنا لا أرى أن الوظيفة الاقليمية تتضارب مع الوظيفة
العامة فالاعتزاز بدمياطيتى لا يمنع أن أكون معتزا جدا بمصريتى
ولا يمنع هذا أن أكون معتزا بأننى من العالم العربى وأننى من
العالم الاسلامى .

وحبى لبلدى دميّاط قديم وبق رغبم انى لم أعمل كثيرا بها
وربما كان بعدى عنها لظروف عملى قد أظهر محاسنها فى شعورى
وأخفى عنى أية مساوىء ولا غرو فهى المكان الذى ولدت فيه والمكان
الذى سوف أدفن فيه(*) .

وبمناسبة « الانصارية » قرىتى فقد يعطى هذا الايحاء بالانتماء
إلى مذهب معين أو اتجاه معين .. لكن أنا لم أنتم قبل المرحلة
الراهنة الى أى حزب سياسى بعد حزب الوفد القديم ثم حزب
السعديين عندما انشق أحمد ماهر والنفراشى على النحاس
باشا .. وهذا الانتماء كان عبارة عن الانتماء العائلى فقط .. بمعنى
اننى كنت منتميا الى عائلتى وعائلتى بدورها تنتمى الى الحزبية ..
هذه حقيقة قديمة .

ولا أذكر أننى دخلت أى انتخابات أو تقدمت لأى منصب
انتخابى فيما عدا مرة واحدة عندما انتخبت عضوا فى المؤتمر القومى
فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر ونجحت بتفوق وحصلت على
المركز الأول .

كان ذلك بسبب المحافظ الذى كان يترأس الاقليم فى ذلك الوقت
فقد كان ماكرا جدا وكان مرشحا هو الآخر فأراد أن يعطى صورة
أن الانتخابات حرة فجعل نفسه يأتى فى الترتيب بعدى ، فى المركز
الثانى .. أو قد تكون الانتخابات صحيحة .. على كل حال أنا فى
الواقع لم أكن منتميا الى أى حزب أو مذهب سياسى مصرى أو عربى
قبل المرحلة الراهنة ..

كيف لا يكون لك انتماء حزبى أو سياسى وأنا أعرف انك قارىء
جيد ومطلع على كافة المذاهب الفكرية والسياسية ؟ .

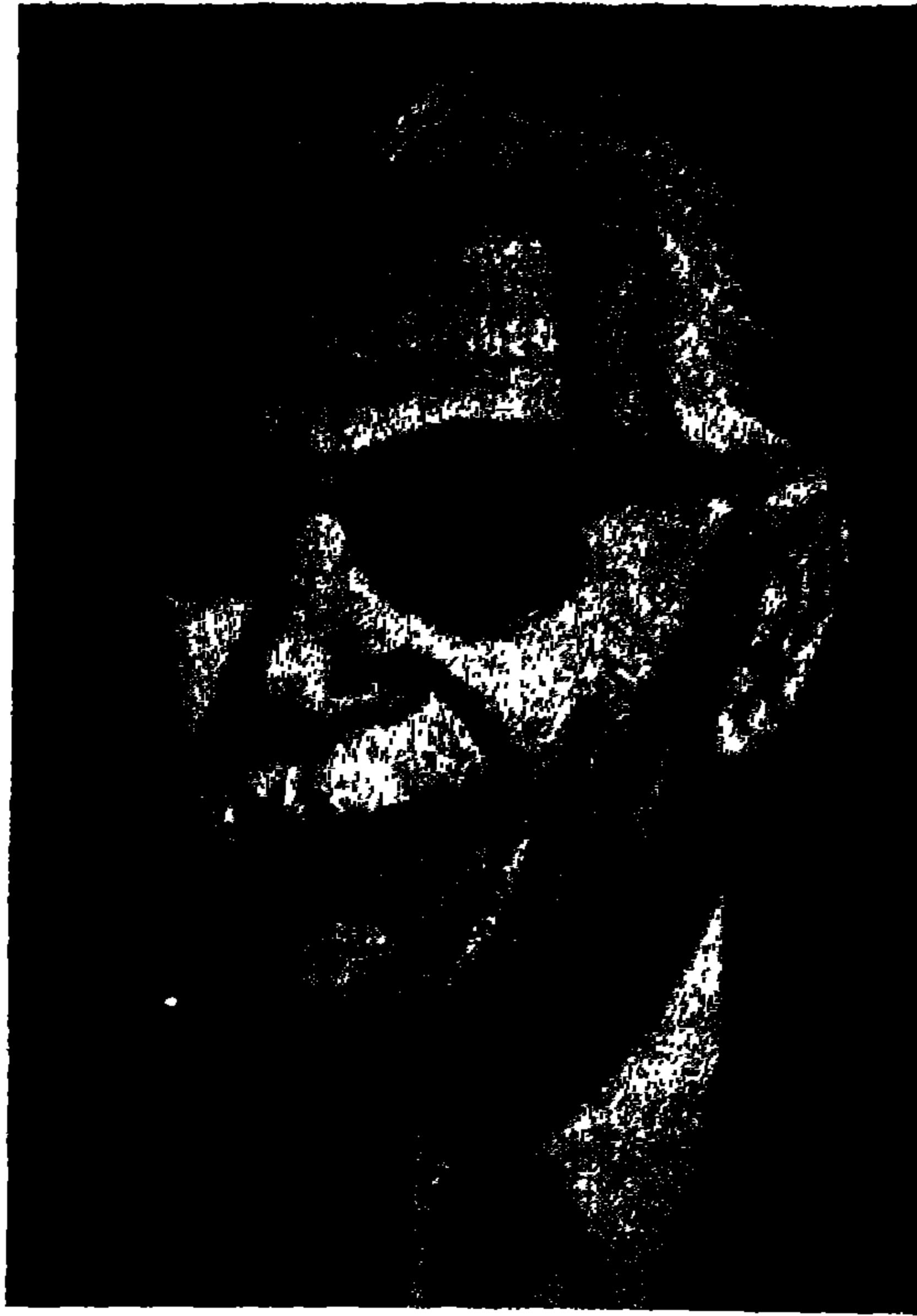
(*) لم تتحقق له رحمه الله — هذه الرغبة ودفن فى القاهرة .

— فى المرحلة الأولى من حياتى .. فى طفولتى وصباى كنت عاشقا للقراءة وقد لازمنى ذلك طوال حياتى وسيظل الى النهاية ..

ولكن الكتابة والأدب فى الماضى أشياء كانت تستهوينى ولكن لم تكن تشكل عند أسرتى هذا المعنى الذى يؤكد أنها يمكن أن تصبح مهنة يتقاضى صاحبها مالا عنها .. ولابد أن تكون الكتابة والأدب إضافة الى العمل نفسه .. وسيأتى وقت أشرح فيه ذكرياتى مع الشيخ على القاضى فى دمياط وحكايتنا معه ومع الكتب التى كنا نأخذها منه بالايجار لمدة أسبوع ..

* * *

الباب الثاني



الزيّات وُطّه حسين

في عام ١٩٣٤ تعرفت على الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي وكان عميدا لكلية الآداب جامعة فؤاد في ذلك الوقت فقد لقيت رغبتي في دخول الآداب معارضة اسرتي حيث كان الشائع أيامها انها أقل من كليات الطب أو الهندسة أو الزراعة ..

وكانت رغبة والدي — رحمه الله — أن التحق بكلية الزراعة لأنه ينتمي كثيرا الى الريف ، ولكنني فضلت أن التحق بكلية الآداب وبتأييد وتشجيع من الاستاذ الدكتور العميد طه حسين استطعت التغلب على ترددى والتحق بكلية الآداب رغم رغبة والدي المعاكسة لذلك .. ومن هنا ارتبطت بهذا الرجل وأحببته جدا لأننى رأيت فيه النموذج للمثابرة والكفاح والاصرار والشجاعة وظلت علاقتنا تتوطد حتى تزوجت ابنته فيما بعد .. وبعدما كنت قد شهدت دوره في اثراء اللغة العربية والتي كان يشجعنى — رحمه الله — على الاستمرار في التزود بأداب هذه اللغة الجميلة وبما فيها من كنوز *

زواج د. محمد حسن الزيات وأمينة طه حسين (*)

في خريف سنة ١٩٤٧ ، تتهدد الكوليرا مصر ، الخطر يتزايد ، أمينة تريد أن تتطوع للعمل مع سيدات الهلال الأحمر في مكافحة الوباء ، طه حسين يتذكر الوباء القديم الذى أودى بحياة أخيه محمود ، وكان محمود قد تطوع كذلك لمقاومة الوباء ، ولكنه لا يحاول اقناع ابنته بعدم التطوع *

أمينة تعمل مع سيدات الهلال الأحمر في قسم الدرب الأحمر بالقاهرة * وفي آخر أكتوبر ١٩٤٧ كان معدل الوفيات المعلنه أربعمئة

(*) ما بعد الأيام .. د. محمد حسن الزيات .

شخص يوميا غير المتوفيين الذين كان أهلهم يخفونهم خوفا من اجراءات الحكومة • الوباء يستشرى في الريف • تسافر بعض سيدات الهلال الأحمر الى الصعيد وتسافر أمينة معهن • البعثة تدخل الطمأنينة على نفوس نساء الصعيد فيقبلن التعاون مع سيداتها وفي آخر نوفمبر يهبط عدد ضحايا الكوليرا من أربعمئة شخص الى عشرين شخصا ، وتعود أمينة مع بعثة الهلال الأحمر الى القاهرة بعد أداء المهمة التي سافرت لادائها •

* * *

وفي بيت الاسرة بالزمالك تقرأ أمينة لوالدها صحف الصباح :
لقد نشرت أسماء الوفد الذي ألفتة الحكومة المصرية ليشارك في مؤتمر اليونسكو الذي سوف يعقد في بيروت • واسم طه حسين لم يرد بين أسماء أعضاء هذا الوفد •

وتقول أمينة لوالدها : أنت كما ترى لا تصلح الآن لتمثل مصر في مؤتمر لليونسكو ، وان كانت دول العالم قد سبق أن انتخبك رئيسا للجنة الأدبية في عصبة الامم منذ سنين •

ويرد طه حسين ، وهو يبتسم ابتسامة خفيفة : اذا كانت مصر هي الملك ، فأننى لا أمثل مصر طبعاً — المهم هو عشاء الليلة ، قد دعوت الدكتور الزيات للعشاء •

على مائدة العشاء في منزل طه حسين — أفراد الاسرة ومعهم محمد حسن الزيات • يقول الدكتور الزيات في آخر العشاء : « والدى واخوای ابراهيم وعبدہ يحضرون من دمياط غدا ويرجون زيارتكم في نفس اليوم ان أمكن » ...

وفي اليوم التالي ، بعد ساعة يلتقى فيها الوالدان لقاء طويلا وسعيدا يهنئ طه حسين ابنته وصهره بخطبتهما ، وتهنئها أمها ،

ويدور حديث حول موعد الزواج ، والعروسان يريدان زواجا بسيطا وعاجلا .

وفي أثناء الحديث تصل برقية من الحكومة اللبنانية تقدم الدعوة لطله حسين بصفته الشخصية ليشارك في مؤتمر اليونسكو ضيفا على لبنان ، وتقر لحظات لا يعلق فيها طه حسين على الدعوة . ان بلاده عزيزة عليه دائما وأهله كرام لديه في كل الأوقات ، ولكنه يرى الآن أن بلاده هي كل البلاد العربية وأن أهله هم العرب أجمعون ، وتلح عليه أمينة وخطيبها في أن يرد بالقبول .

* * *

ويصل طه حسين الى لبنان في نوفمبر عام ١٩٤٧ ضيفا على حكومة لبنان .

وفي الصالة التي شيدتها لبنان خصيصا لانهقاد « مؤتمر اليونسكو » ، يجلس طه حسين على المنصة العالية ، وحيدا بغير مذكرات أو أوراق أو سكرتير ، مطلا على الجمهور الذي ملأ القاعة على اتساعها وفاض عنها الى الطريق .

طله حسين ينتهي من خطابه عن « أثر الحضارة العربية في الحضارة الغربية » . القاعة تضج بالتصفيق الحاد ، ومدير عام هيئة اليونسكو مسيو « تورييز بوديه » يتقدم الى المنصة لينزل مع طه حسين الى القاعة ويقبل على المحاضر ، للتحية والتهنئة ، كثيرون ، منهم « جوليان هكسلي » العالم البريطاني ، وأعضاء الحكومة اللبنانية ، وأعضاء الوفد المصري والوفود العربية . الجميع يهنئون ويتحدثون فيما بينهم باعجاب كبير . . . وزوجته تنتظر لتخرج معه وتقول له : لقد تأملت وفي صمت عندما عرفت أنك لن تكون من بين ممثلي الثقافة المصرية في مؤتمر اليونسكو ، والآن أدرك أنك قد

تجاوزت ذلك الى تمثيل الثقافة العربية كلها ، والمشاركة المشرفة
في الحياة الثقافية في العالم كله .

ويقول طه حسين لزوجته : لبنان جميلة ، كنا نحب أن نبقى
مدة أطول ، ولكن لابد من العودة للاعداد لزواج أمينة .

* * *

في منزل طه حسين بالزمالك ١٢ يونيو ١٩٤٨ يحتفل بزواج
أمينة .

الشيخ عبد المجيد سليم يعقد العقد والشاهدان هما مصطفى
النحاس باشا وأحمد لطفى السيد باشا ويشهده كذلك المستشار
ابراهيم الزيات وعبد حسن الزيات المحامى ، ويخرج العروسان
من الحفل بسرعة الى المستشفى القبطى في القاهرة ليزورا والد
العريس الذى كان قد وصل مع زوجته الى القاهرة لحضور حفل
الزفاف ولكنه أحس في محطة القاهرة بتعب مفاجئ فنقل الى
المستشفى القبطى ، وذهبت زوجته معه ، وأجريت له جراحة
عاجلة هناك ، وقد ألح على ولده وعلى الدكتور طه حسين عندما
زاره في المستشفى كى يتم عقد القران في موعده ، وهو يبدو الآن
في حالة معنوية طيبة ، يقبلهما وتباركهما وتقبلهما الأم ، وهما يريدان
أن يرجئا السفر لقضاء شهر العسل في الخارج حسبما كان متفقاً
عليه حتى يغادر الوالد المستشفى ، ولكنه يطلب منهما في الحاح عدم
تغيير برنامجهما ، ويرجو لهما سفرا طيبا وعودة سريعة ليسعده
استقبالهما في منزل الاسرة في دمياط .

في ميناء الاسكندرية وفوق ظهر السفينة « اسبريا » ، يصل
رسول الى السفينة يبلغ العروسين بما حدث : انتكس الوالد فجأة
ونادى في الليل زوجته وطلب منها كوب ماء وشرب منها جرعة وابتسم

ونام وتخيلت زوجته أنه قد نام ، ولكن قضاء الله كان قد وقع •
استعاد الله وديعته • أمينة تخلع ملابس العرس وتلبس ملابس
الحداد ، ينزل العروسان من الباخرة ، ليسافرا الى بيت الاسرة في
دمياط •

* * *

ويقبل يناير من عام ١٩٤٩ ويقراً فريد سكرتير طه حسين
عليه الصحف ثم الخطابات • ان أهم الأخبار هو أن رالف بانثس
وسيط الأمم المتحدة قد نجح في وقف إطلاق النار في فلسطين •

وأهم الخطابات خطابان : الأول اخطار بأن الحكومة المصرية
قد منعت نشر كتاب « المذبذبون في الأرض » وقررت مصادرته ،
والثاني بأن « الكوليج دي فرانس » ، التي كانت قد دعت طه
حسين للمحاضرة فيها خلال عام ١٩٤٩ ، قد قررت سحب دعوتها له •

ويقول طه حسين في سخرية هادئة : ومع ذلك فان الكوليج
دي فرانس انما يميزها تاريخها الطويل في مقاومة اضطهاد الحكومات
للعلماء • العلماء الفرنسيين ! •

* * *

وفي الشهر التالي ، فبراير ١٩٤٩ يصبح ابراهيم عبد الهادي
باشا رئيسا للوزارة ، بعد سلسلة حوادث خطيرة بدأت باغتيال
رجل البوليس سليم زكي ومقتل النقراشي باشا ثم تولى ابراهيم
عبد الهادي رئاسة حزب السعديين •

* * *

وفي مستشفى الدكتور على ابراهيم « الابن » في جاردن سيتي ،
في ابريل ١٩٤٩ أصبح طه حسين جدا • رزقت أمينة بولدها « حسن
الزيات » في التاسع والعشرين من الشهر في الساعة السادسة مساء •

وتتقضى أمينة بعد خروجها من المستشفى أربعين يوما — حسب التقاليد التي يصر طه حسين على احترامها — في بيت أبيها بالزمالك ، وطه حسين في هذه المدة مشغول بحمل حفيده وتهديته — عندما ييكنى — بقراءة أبيات من الشعر الجاهلى ، يقول ان هذا الجيل الجديد لابد أن يسلح نفسه بالثقافة العميقة من أول الأمر !

وفي صيف ١٩٤٩ ينتهى طه حسين من املاء مقال للاهرام عن ثلاثة عظماء هم الجاحظ وشكسبير وجوته ، عربى وانجليزى وألمانى — فهو لا ينفك يتحدث عن فضل العرب كلما تحدث عن أمم الحضارة !

ويقول لزوجته بعد أن ينتهى من الاملاء : لم يعد لدينا ما يبقينا في مصر • أمينة عادت الى زوجها وبيتها ومعهما ابنتهما ، مؤنس متغيب في الخارج للدراسة • وكتبى تصادرا في مصر • وليس لى عمل منتظم وأنا لا أطيق هذا الجو الحار •

وترد السيدة سوزان : الجو الحار نعم ، أما كتبك فانها لا يمكن أن تصدر الى الأبد ، وسنجد مؤنس في استقبالنا في باريس ، وسنجد أمينة وزوجها في استقبالنا في مصر عندما نعود •

ويقول طه في شئ من المرارة : نعم والآن سيكونان هما وحدهما اللذين يستقبلانا •

وترد سوزان : بل سيكون معهما تلاميذك الأوفياء وهؤلاء سوف يكونون معك دائما •• الى الأبد •

وفي سبتمبر عام ١٩٤٩ نرى طه حسين في مكتبه وقد عاد من رحلة الصيف ، يتحدث مع الجراح الدكتور محمد كامل حسين الذى حضر للتهنئة •

الدكتور كامل حسين يقول له أن وزارة ابراهيم عبد الهادي باشا قد استقالت بعد خمسة أشهر من تأليفها ، وحسين باشا سري سوف يجرى الانتخابات وينتظر طبعاً أن تسفر عن فوز الوفد .

وأجريت الانتخابات ، وفاز الوفد ، ودعى النحاس باشا لتأليف الوزارة ويحضر النحاس باشا الى منزل طه حسين دون موعد فيجده مع عدد من الشباب من بينهم الاستاذ محمد سعيد العريان والاستاذ محمد فتحي . . فيسلم النحاس باشا عليهم ويخرج مع طه حسين الى الحديقة ، فيفاجئه بأن يطلب منه أن يتولى منصب وزير المعارف في وزارته التي يجرى تأليفها .

وطه حسين يشكره ، ولكنه يرجو معاودة التفكير الأسباب : الأول أنه ليس عضواً في الوفد وأعضاء الوفد الذين شاركوا رئسهم جهاده أحق بالاشتراك معه في الحكم ، والثاني أن السراي غاضبة عليه منذ زمن بعيد ولا ينتظر أن توافق على تعيينه والثالث أنه ملتزم أمام نفسه وأمام الشباب ببرنامج للتعليم سبق أن شرحه عام ١٩٣٧ في كتابه « مستقبل الثقافة في مصر » الذي كان يعده في الأصل ليقدمه تقريراً الى النحاس باشا نفسه ، وهو لا يعرف رأى وزارة الوفد عندما تتولى الحكم في تطبيق هذا البرنامج الذي

يؤكد ضرورة اعلان مجانية التعليم الابتدائي والثانوي ، وهناك سبب رابع لا يحتاج الى تبين .

النحاس باشا يفند هذه الأسباب الأربعة . . ويبدأ من الرابع ، السبب الرابع كلام فارغ ، ان سمح الدكتور بهذا التعبير ، فقد قام طه حسين بواجباته في ادارة كلية الآداب وفي مراقبة الثقافة وأدى عمله مستشاراً لوزارة المعارف ومديراً لجامعة الاسكندرية بكفاية ودقة لا تعرف عن المبصرين ، والسبب الثالث، هو سبب يزكيه وليس العكس فان الوزارة تتطلع الى اصلاح التعليم وتيسيره للشعب ،

والسبب الثانى الرد عليه بسيط : ان السراى مخيرة بين النحاس باشا ومعه طه حسين وبين رفض تعيين طه حسين وزيرا للمعارف ورفض تعيين النحاس رئيسا لمجلس الوزراء • أما السبب الأول فان النحاس يقول أن الذى يهمنى هو مصلحة الأمة وليس مصلحة الحزب ولا مصلحة الافراد ، وأعضاء الوفد سوف يسرهم جميعا قبولك مشاركتنا فى تحمل أعباء الوزارة •

وطه حسين يقول : فى اعتقادى أن التعليم العام يجب أن يكون مجانيا كى لا يحرم واحد من أبناء الوطن ، كى تتاح لجميع المواطنين فرصة متكافئة •

ويرد النحاس باشا ، عارف ، وأنت لابد متذكر أننا التقينا مرة فى قطار من قطارات الصعيد وتحدثنا فى هذا الموضوع •

ويقول طه حسين : واذا أصبحت أنا وزيرا للمعارف فان رفعتكم ستحبون قطعاً اعلان مجانية التعليم فى أول خطاب للعرش تلقونه أمام البرلمان •

ويسأل النحاس باشا : هذا شرط ؟

ويرد طه حسين : لا ، معاذ الله ، ليس شرطاً ولكنه توقع ، اتنى أتوقع أن دولتكم ستعلنون مجانية التعليم فى أول خطاب للعرش •

ويقول النحاس باشا وهو يتأهب للانصراف : يعنى شرط — على كل حال شرط مقبول •• اتفقنا ، مبروك •

* * *

الوزير

* في قاعة مجلس النواب صباح يوم ١٦ يناير ١٩٥٠ ،
رئيس الوزراء مصطفى النحاس باشا يلقي خطاب العرش ويصل الى
الفقرة الخاصة بالتعليم ، وقد أعدها طه حسين ، فيعلن باسم الملك
أن حكومته ترى « أن خير الوسائل لرفع مستوى الشعب وتمكينه
من الحياة الخصبة المنتجة التي تنفعه وتنفع الناس ، وتحفظ على
المواطن مكانته بين الامم المتحضرة الراقية ، انما هو تعليم أبنائه ،
وتثقيف نفوسهم ، وتركية عقولهم ، وتهذيب أخلاقهم ، وتزويدهم
بكل الوسائل التي تتيح لهم الجهاد المنتج في سبيل الرقي والتقدم ،
ولذلك فهي لن تبخل بأى جهد لنشر التعليم وتيسيره ، والتوسع
في مجانية التعليم حتى تصل به الى المجانية الشاملة ، تحقيقا لتكافؤ
الفرص لجميع المواطنين دون تفریق ، وقد قررت فعلا مجانية التعليم
الابتدائي والثانوي والفنى منذ اليوم » .

وفي مقهى بحى السيدة زينب بالقاهرة يستمع رواد المقهى في
سكون الى خطاب العرش فيعلو ضجيجهم وهتافهم عند سماع هذه
الفقرة .

يقول عامل لزميله : لا أنسى أبدا يوم كنت أقف مع زملائي
في المدرسة الابتدائية في طابور الصباح ، ونزل الناظر الى حوش
المدرسة ، وبعد التعظيم والتفتيش ، قرأ ضابط المدرسة كشفا
فيه أسماء عشرين تلميذا ، أنا واحد منهم ، وأعلن الناظر أن آباءنا
لم يدفعوا المصروفات ، وصرخ بالبواب ففتح البوابة على مضراعيها ،
وصرخ فينا نحن العشرين فخرجنا الى الطريق وتفرقنا غارقين في
الخجل الى بيوتنا ، وكنت بعد ذلك أتجنب المرور أمام المدرسة ،
ولم أفتح من يومها كتابا ، ونسيت كل ما كنت تعلمته وأصبحت من
الاميين .

ويرد زميله بعد صمت قصير : الحمد لله ، الآن أولادنا لن تفتح
لهم البوابات للخروج الى الشوارع .. ولن ينضموا الى جيش
الاميين !

وفي مبنى وزارة المعارف يزدحم الفناء بوفود تتوالى ، تحضر
لتهنئة الوزير ، والوزير قد انتدب موظفا جهير الصوت ، ليشكرهم
عنه يرجوهم الانصراف ، ويصل وفد الاتحاد العام للتعليم الحر ،
الذى كان قد أقام حفلا لتكريم طه حسين وهو خارج الوزارة في
صيف العام الماضى ، فيأذن الوزير بدخول بعض مندوبيهم ، بعد
الحاحهم في طلب مقابلته ويقول لهم :

أنا شخصيا تعلمت في معهد حر كريم هو الازهر الشريف ،
وتخرجت في معهد حر آخر وهو الجامعة المصرية القديمة ، وقمت
بالتدريس متطوعا في مدارس حرة وهى مدارس الجمعية الخيرية
الاسلامية والمدارس الاعدادية التى كان المرحوم الشيخ عبد العزيز
جاويش ينشئها ، ثم اننى قمت بالتعليم في الجامعة المصرية حين كانت
حرة لا تخضع للحكومة ولا تتصل بها ، وأنا أنظر الى المدارس الحرة
في مصر ، فأرى الذين يعملون فيها مصريين ، والذين يتعلمون فيها
مصريين ، ويجب ألا يكون هناك فرق بينهم وبين زملائهم في التعليم
الاميرى في الحق وفي الواجب أيضا ، هذه هى نظرتى فأرجو أن
يطمئنكم ذلك وأن تنصرفوا لأقوم أنا أيضا بما على من الواجبات » (*) .

وينصرف المندوبون وتعلو عند خروجهم الهتافات للوزير .

الوزير يقول لمدير مكتبه : أريد مذكرة عن حالة مدارس التعليم
الحر في كل البلاد ، لا أريد أن تكون لدينا طبقات مختلفة من
المدارس ، بعضها يصلح وبعضها لا يصلح .

(*) من بين هؤلاء كان والد المؤلف الراحل الاستاذ طاهر محمد فراج .

واريد مذكرة عن انشاء نقابة للمعلمين تضمهم جميعا وترعى شئونهم جميعا وتحمل عنهم الأعباء لينصرفوا الى اتقان مهنتهم فإن أساس التعليم الصالح هو الاستاذ الصالح •

ومدير المكتب يرد : طلبتم وكلاء الوزارة لتبحثوا معهم الاستعدادات التي يجب اتخاذها بعد اعلان مجانية التعليم • ويأذن الوزير لهم في الدخول •

* * *

تنتقل الوزارة الى بولكى في رمل الاسكندرية لانتقال الملك الى الاسكندرية للاصطياف •

وطه حسين يترك دار الوزارة في الاسكندرية ويتجه الى مستشفى كوتسيكا حيث رزقت ابنته أمينة بمولودها الثاني : بنت سميتها « سوسن » (*) •

يدخل غرفة ابنته بالمستشفى فيفاجيء طبييها الدكتور حسين طبوزاده وهو يغنى « اه سوزانا » وهي أغنية أمريكية أخطرها على باله الاسم الذي سميت به المولودة • يرحب الطبيب بالوزير والوزير يرجو أن يكون فن الطبيب خيرا من صوته ! ويستأذن الدكتور طبوزاده في الانصراف ويخرج معه الدكتور الزيات ليودعه ••

ويجلس طه حسين الى جانب ابنته ويقبلها ويسألها : أين هي ؟ أين « سوسن » وتقدم أمينة المولودة « سوسن » اليه فيحملها بين ذراعيه في حنان بالغ •

وتقول أمينة معذرة عن ابنتها : انها لا تجيد الشعر الجاهلي حتى الآن !

(*) المولود الثاني للدكتور محمد حسن الزيات من زوجته أمينة ابنة الدكتور طه حسين •

* في منزله بالزمالك عام ١٩٥١ يدخل طه حسين « باشا » الصالون وهو يحمل صندوقا متوسط الحجم • وزوجته تستمع الى اسطوانة موسيقية تدور على « الفونوغراف » الذي اشتريته عام ١٩٣٤ •

يقول طه : الدنيا تطورت — هذا الفونوغراف استهلك •

وترد سوزان : لا ، انه يؤدي المطلوب منه ، ما هذا ؟

ويقول طه : هذا « ماجنتفون » أو ما يسميه الانجليز « ريكوردر » • خليفة الفونوغراف الذي توفي الى رحمة الله •

وتقول سوزان : أنت تعرف اننى لا أفهم كثيرا في هذه الآلات فشرح طه حسين لها بالتفصيل ماذا يجب أن تفعل ، وهى تعمل ما يطلبه ، والريكوردر يشتغل ، وتسمع ألحانا من أوبرا حلاق اشبيلية •

وتقول سوزان : حلاق اشبيلية ! هذا تسجيل للفرقة الايطالية التى كانت هنا في الشتاء الماضى ! تذكر — عندما ذهبنا • • وتسكت وهى تتخيل دار الاوبرا وبنوار الوزير وهو يسمع بانتباه وتستعيد المنظر على مسرح الاوبرا وطه حسين يتابع الموسيقى ووقع خطوات الراقصين •

وتقول سوزان : هل تذكر الخطاب الذى وصلنا فى اليوم القالى •

ويرد طه حسين : نعم الشاب المسكين الذى قال انه كان يعانى من مصاعب وشدائد فى حياته •

وتقول سوزان : لقد كتب لك انه عندما رآك فى الاوبرا ، اقسم انك لم تكن تتابع الموسيقى فقط بل كنت تتابع الرقص التوقيعى

أيضا ، وأنه بعد أن رأى ذلك ، وأدرك كيف واجهت انت بنجاح كل صعب وتحملت بنبل كل حزن ، اتضح له أن مشاكله هو وأحزانه لا وزن لها — وأحس ، وهو يراك ، انه يتخفف تماما مما كان يثقله من المشاكل ، وانه ينتصر هو أيضا على أحزانه •

ويقول طه : نعم اذكر الخطاب ولا أعرف من صاحبه حتى الآن ، اذكر أنه قال انه كان زميلا لاولادنا في المدرسة — الانتصار على المشاكل ممكن — أما الحزن فانه لا يعلن للناس ، والناس لا تعرف ان كانت أحزاننا قد هزمت أم لم تهزم •• كيف لهم أن يعرفوا ؟

ويقطع الحديث خادم يقول أن أحد إخوة الدكتور يتحدث من مدينة المنيا بالتليفون • ويتناول طه حسين التليفون فيسأل : « كيف كان ذلك ؟ — متى » ؟ ثم يقول « في أول قطار » •

وتسأل سوزان : أول قطار ؟ هل تسافر ؟ خير ؟

ويقول طه : أمي ، كانت في أحسن ما تكون من الصحة والنشاط ، ثم نامت وفي نومها أسلمت الروح •

وترد سوزان في حنان قائلة : خفف عنك — وأترك دموعك تنزل — لا تبك بغير دموع • متى نسافر ؟ تنام قليلا ؟

طه حسين : « يحدث نفسه » : اذا كان الصباح ووصل القطار الى المنيا ، ووصلت أنا الى البيت وصعدت السلم ، وأردت أن آخذك بين ذراعي ، فلن أجذك ، لن أراك بعد الآن •

سوزان : ماذا تقول ؟

طه حسين : سيكون البيت خاليا منها هذه المرة ، كما خلا من قبل من والدي • هي المرأة الأولى في حياتي وأثرها باق عظيم •

البرلمان المصرى يقرر الغاء المعاهدة البريطانية المصرية المعقودة
عام ١٩٣٦ :

رئيس الوزراء مصطفى النحاس يقول فى البرلمان يوم ٨ أكتوبر
١٩٥١ : « باسم مصر أمضيت المعاهدة وباسم مصر ألغيتها » •

الانجليز يرفضون هذا الالغاء ، وتتصاعد الأحداث ، ويهاجم
جيش الاحتلال البريطانى مركز البوليس فى الاسماعيلية ، فتدافع
عنه القوة الموجودة فيه دفاع الأبطال •

وفى ٢٦ يناير ١٩٥٢ يقع حريق القاهرة وفى اليوم التالى تسقط
وزارة مصطفى النحاس •

وفى منزل طه حسين يحضر عدد كبير من الأساتذة والصحفيين
للزيارة بعد اعلان سقوط وزارة النحاس باشا منهم الاستاذ ابراهيم
مصطفى والاستاذ مصطفى عبد الرازق والدكتور محمد كامل حسين ،
ويحضر عدد من الزائرين من بينهم بعض أفراد أسرة رفاعة
الطهطاوى ومعهم هدية الدكتور طه حسين وهى صورة لجدهم وعليها
اهداء هو :

« •• الى طه حسين الذى أحيا فى النصف الثانى من القرن
العشرين مدرسة الالسن التى أنشأها جدنا رفاعة الطهطاوى فى عهد
محمد على باشا عام ١٨٣٦ » •

ويقول طه حسين : أنا متأثر حقيقة لتقديمكم هذه الهدية —
ان صراع مصر الثقافى طويل ، نعم محمد على باشا أنشأ المدرسة ،
كانوا يدرسون فيها الانجليزى والىاليانى والتركى والفارسى ، ولكن
خلفاء محمد على أغلقوها •

وبعد انصراف أكثر الزوار يقول الدكتور محمد كامل حسين
للوزير السابق : مبروك ، تعود اذن للانتاج ، لا أقول تأخذ شيئاً
من الراحة !

ويقول طه حسين : نعم سأجد وقتا أكثر للمجمع ولجانه ، وكذلك لاملأ الجزء الثانى من كتاب الفتنة الكبرى .. خطتى أن يصدر الكتاب فى أربعة أجزاء لم يصدر منها حتى الآن سوى الجزء الأول عن سيدنا عثمان ، الآن أبدأ الجزء الثانى وقد اخترت عنوانه وسيكون « على وبنوه » .

لابد من الدراسة العميقة لكل هذه الأحداث الخطيرة التى أدت الى مصرع الخليفة عثمان ، والتى انتهت بانقسام العالم الاسلامى ، وقد كان من بين هذه الاسباب سخط المصريين لما نزل بهم من المظالم .

ويقول ابراهيم مصطفى : يظهر أن المظالم مكتوبة على المصريين منذ زمان بعيد .. وان سخطهم لا يتأخر أيضا ، لو سمعت تعليقات الناس هذه الأيام على تصرفات السراى ..



وفى دار المجمع اللغوى طه حسين يقول الأمين سر المجمع « الدكتور ابراهيم بيومى مذكور » : فى هذا المبنى ، ومع أعضاء اللجان ، أتذوق لذة العمل المخلص ،الذى يتحاشى الأضواء ، فى خدمة اللغة التى هى أساس القومية العربية ، لا أجد هنا الفائدة فحسب بل أجد الراحة أيضا . صديقنا الاستاذ محمود عزمى أطال الله بقاءه يستعمل تعبير « بلاد العربية » لأن الحقيقة أن الرابطة بين هذه الملايين هى أساسا اللغة الفصيحة — التى يصونها هذا المجمع الذى يتصدى لهجمات المطالبين باستعمال اللهجات العامية ، وهذه مطالبة شديدة الخطر لا على لغتنا فقط بل على تراثنا الفكرى وعلى قوميتنا العربية .

ويقول الدكتور مذكور : ان زميلنا عبد العزيز باشا فهمى يرى — كما تعلم — أن نكتب العربية بالحروف اللاتينية .

ويرد طه حسين : عبد العزيز باشا فهمي ، عقله من أكبر العقول في مصر ، ولغته العربية فصيحة بليغة ، وهو كما تعلم صديق من أعز الاصدقاء ، ولكنى أرفض رأيه هذا وأحاربه حربا لا تتوقف حتى نقضى تماما على هذه الفكرة . اللغة التركية يمكن أن يكتبها أهلها باللاتينية ، أما اللغة العربية فلا . اللغة التركية ليست لها حروف خاصة بها أصلا .

* * *

* ما يو عام ١٩٥٢ ، طه حسين في مكتبه بالمنزل يملئ على سكرتيه ، الجزء الثانى من كتاب « الفتنة الكبرى » . يقول :

« .. وكان شديد الحرص على أن يحقق المساواة بين الناس في قوله وعمله وفي وجهه ، وفي قسمته لما كان يقسم فيهم من المال ، بل كان يحرص على هذه المساواة حين يعطى الناس اذا سألوه ... جاءته امرأتان ذات يوم تسألانه ، وتبينان فقرهما ، فصرف لهما حقهما ، وأمر من اشترى لهما ثيابا وطعاما واعطاهما مالا ، ولكن احداهما سألته أن يفضلها على صاحبتهما لأنها امرأة من العرب ، وصاحبتهما من الموالي ، فأخذ شيئا من تراب فنظر فيه ثم قال ، ما أعلم أن الله فضل أحدا من الناس على أحد الا بالطاعة والتقوى » ..

ويتوقف الاملاء للرد على التليفون .

ويسمع طه حسين حديث محدثه ثم يضع السماعه .

ويقول طه حسين : وزارة جديدة ! ان الوزارة السابقة لم تكمل شريها واحدا ! مسكينة مصر — كيف يمكن العمل في هذا الجو !

ويقول السكرتير : لن ننتهى اذن من هذا الكتاب قبل السفر .

ويرد طه : لا بأس ، نكملة في ايطاليا .. قبل أو بعد مؤتمر
اليونسكو في البندقية في سبتمبر القادم ان شاء الله ، لا تنس أن
نأخذ معنا كتاب « بحار الأنوار » وكتاب « فرق الشيعة » .

ويقول السكرتير : جاهزين ، وهل نأخذ أيضا الكتاب الذي
كنا نقرأ فيه أمس ؟ .

ويقول طه حسين : « الاصول المهمة في معرفة الأئمة » لابن
الصباغ ، نعم ، أرجو أن يكون لدينا الوقت في الصيف لمراجعة هذا
كله ثم لاتمام الكتاب .

ويقول السكرتير : وهناك كذلك البحث الذي يجب القاؤه في
مؤتمر البندقية .

ويرد طه حسين : ربنا يهون .. اظن أن عندنا بعض الخطابات ؟

ويقول السكرتير : هذا خطاب بشأن وصول السيدة هيلين كيلر
الى مصر وطلبها مقابلتكم .

ويقول طه حسين : هذه هي السيدة الامريكية التي لا تبصر
ولا تسمع ولا تتكلم والتي تغلبت بعزيمتها الحديدية على كل هذه
المعوقات ، لا ، أنا الذي اذهب الى زيارتها في الفندق ، أظنه فندق
« سمير اميس » ، واظن أن زوجتي وولدي يحبان أن يذهبا معي ،
ولكن كيف يكون الحديث معها ؟

ويقول السكرتير : الخطاب يقول أن معها سكرتيرة اسمها
« مس طومسون » تعرف كيف تتحدث اليها ، وتتنقل ردودها .

ويقول طه حسين كأنه يخاطب نفسه ، انها لا ترى ولا تسمع ..
ولا تتكلم .. انها لا تتكلم !

الثورة

* في فندق في قرية « كولى ايزاركو » في شمال ايطاليا على حدود النمسا، يجلس طه حسين مع سكرتيه وهو مستمر في املاء كتاب « على وبنوه » يتوقف ويسأل : « أظن نأت موعد وصول البريد ؟ انظر هل هناك خطابات وجرائد من مصر — مفروض أن الاستاذ عبد العزيز أحمد يرسلها بنظام » •

ويعود السكرتير ليقول : لا يوجد بريد من مصر ، يوجد خطاب من اليونسكو بشأن مؤتمر الفنانين والأدباء في سبتمبر ، في ظرف يحوى أوراقا كثيرة — هل أبدأ قراءتها ؟

ويقول طه حسين : لا — ليس الآن ، كفت أرجو أن تصل خطابات من مصر •

ويدخل مدير الفندق مسرعا يقول : — تليفون من روما — من السفارة المصرية لمعالى الدكتور • ويحضر التليفون ويضعه أمامه ليتحدث فيه يقول :

« نعم أنا طه حسين ، أهلا سيادة السفير ، ثورة ؟ في مصر ، سمعتم اذاعة القاهرة بأنفسكم • • والملك ؟ والانجليز ؟ شكرا سيادة السفير سأنتظر بجوار التليفون » • ويضع السماعة وينادى منفعلا :

سوزان ! سوزان قامت الثورة في مصر • ثورة ضد الملك •

وتسأل سوزان : الثورة ؟ كيف علمت ؟ بالتليفون ؟ تليفون من السفارة ؟

ويرد طه : نعم • • أظن نعود الى مصر •

وتقول سوزان : نسمع الاذاعة أولا ، هذا خبر ستذيعه قطعاً
كل اذاعات العالم •

ويقول طه : طبعاً كما انى طلبت أن يوالونى بالاخبار من
روما •

وتقول سوزان : نسمع الاذاعة أولاً ، نعود الى مصر ؟ ومؤتمر
البندقية الذى لم يبق على موعد انعقاده سوى أسابيع قليلة ، وأنت ،
أنت مقرر لجنة الأدب فى المؤتمر !

ويقول طه حسين : نعم ، وقد وصل هذا الصباح خطاب آخر
من اليونسكو وداخله وثائق جديدة لم أقرأها بعد • اليونسكو يكتب
بانتظام لابلاغى كل التطورات •• ان المشرف على المؤتمر يرسل لى
كل الوثائق ، ويلخص لى كل الأوراق ، ولا ينسى حتى أن يصف لى
الملوحات والتماثيل التى سيرها أعضاء المؤتمر فى البندقية وصفاً
دقيقاً وجميلاً •

وتقول سوزان : هذا جميل ومؤثر ، ويدل على مدى اهتمامهم
بك وتقديرهم لك • خطابك فى اليونسكو فى سبتمبر سيكون أول
خطاب يلقي باسم مصر بعد الثورة ، خطاب مصر الجديدة ، مصر
التي لم تتجاوز الشهر الثانى من عمرها ، اظن من الضرورى حضور
المؤتمر ، ثم نساfer فوراً الى مصر •

* * *

فى مدينة البندقية فى القاعة التى ينعقد فيها مؤتمر اليونسكو ،
فى الاسبوع الاخير من سبتمبر ٥٢ ، طه حسين يلقي خطابه :

« فى هذه الحقبة المضطربة فى حياة الانسان ، لا من الناحية
السياسية والاجتماعية والاقتصادية فقط ، بل من الناحية النفسية

أيضا ، في هذه الحقبة التي يتساعل فيها الانسان عن مصيره ، يجدر بالكاتب أن يلقي ضوءاً على موقفه من نفسه ومن قرائه ومن مجتمعه ..

نحن في عصر تتقدم فيه الصناعات ، وتتعدد فيه وسائل التسلية واللهو ، ويتضاءل فيه لذلك دور الكاتب في تكوين الثقافات ، وهتاك من الكتاب من يتبسط ليجتذب القراء ، فيفرط فيما يفرضه الضمير من ضرورة الالتزام بقواعد الفن وحدها^(١) ..

* * *

وفي الصباح التالي يجلس طه حسين مع زوجته في غرفتهما بالفندق يتناولان طعام الافطار •

تقول سوزان : خذ قطعة من التوست والا فاني لن أقرأ لك ما نشر عنك في الجرائد الايطالية في هذا الصباح •

ويقول طه : هل تعرفين أنى أهتم ؟

وتقول سوزان : يجب أن تهتم ، عندما أردت أن تعود الى مصر بعد الثورة مباشرة تتذكر أنني عارضت وقلت لك أن خطابك في اليونسكو سيكون أول خطاب دولي لمصر الجديدة ، التي ستكون قد بلغت الشهر الثاني من عمرها يوم إلقاءك الخطاب •

ويقول طه : اقرئي اذن •

وتقول سوزان : خذ التوست •

ويأخذ طه حسين قطعة الخبز •

(١) نشر الخطاب كاملا بالفرنسية في كتاب « الفنان في المجتمع المعاصر » مطبوعات اليونسكو ، باريس ١٩٥٤ وظهرت له ترجمة عربية للاستاذ فؤاد دواره في مجلة عالم الفكر ، الكويت خريف ١٩٨٠ .

وتقول سوزان : المقال للسنيور فرارى وقد جاء فيه :

« يعقد الآن مؤتمر اليونسكو دورته في مدينة البندقية ، ومقرر اللجنة الأدبية هو الكاتب المصرى طه حسين ، ملهم الثورة الاجتماعية والاقتصادية القائمة في مصر » .

ويقول طه حسين : أستغفر الله .

وتقول سوزان وعى تتابع القراءة « وطه حسين عضو في الاكاديمية الايطالية بروما وعضو مراسل لأكاديمية الآداب الرفيعة في باريس ، والمهمة .. » .

ويقول طه حسين ضاحكا : مصيبتهم سودة .. نسوا مجمع اللغة العربية في مصر ، لطفى باشا لن يغفر لهم هذا ..

وتستمر سوزان في القراءة فتقول : « والمهمة الخطيرة التى عهد بها اليه في المؤتمر الدولى المنعقد الآن في البندقية توطد دعائم صيته الذائع في أرجاء العالم » .

الجمهورية

* في فندق صغير في الطريق من روما الى فلورنسة في صباح
التاسع عشر من يونيو عام ١٩٥٣ •

يجلس طه حسين وزوجته يتناولان الافطار مبكرا ، وامتعتهما
تنزل الى سيارة صغيرة يسافران فيها من روما التي غادراها مساء
أمس الى مدينة فلورنسة ، وكان طه حسين قد طلب أن تقدم له
صحيفة الصباح مع هذا الافطار المبكر •

والسيدة سوزان تلقى نظرة على الصحيفة فتقول : « لقد
أعلنت الجمهورية في مصر • أعلنت الجمهورية أمس ، الثامن عشر
من يونيو ١٩٥٣ » •

ويقول طه حسين : « أعلنت الجمهورية ! » •

وترد سوزان : هذا هو الخبر : القاهرة — في الثامن عشر من
يونيو ••

وطه حسين لم يعد يسمعها ، انه يفكر فيما بيئه وبين نفسه
« ما أعظم الفرق بين حياتنا التي نحياها منذ اليوم وحياتنا التي كنا
نحياها من قبل والتي كان آباؤنا وأجدادنا يحيونها منذ الآلاف
المؤلفة من السنين • المصريون القدماء كانوا يعبدون ملوكهم
ويتخذونهم آلهة مقدسين ، يرفعون اليهم الصلوات والقرايين ،
المصريون القدماء كانوا يخضعون للولاة والملوك الأجانب الذين
كانوا يأتونهم من أقطار الأرض المختلفة ، كانوا يعبدون قياصرة
روما •

المصريون القدماء كانوا يشترون ملوكهم بالمال ، يجلبونهم من
بلاد الشركس والقوقاز رقيقا أطفالا يخطفهم التخاسون •

المصريون تقطع الصلة بينهم وبين العالم الخارجى بغزو الترك
العثمانيين تستيقظ أوربا وهم نيام • يستيقظون فى القرن الماضى
يقظة مقيدة بسلطان الترك العثمانيين الذى يأتيهم من الخارج ،
وبهذه الولاية المتوارثة التى استقرت فيهم ، ثم بهذا الملك المتوارث
الذى فرضته عليهم حماية الانجليز ، وها هم يتخلصون من هذا
كله ، وسيرفعون الى رئاسة الدولة المصرية رجلا لا يمتاز عن سائر
المصريين بمولد ، ولا بثروة ، ولا بقوة أجنبية تسنده • • »

وتسأل سوزان : « أين أنت ؟ اننى أقرأ وأتحدث إليك وأنت
غائب • • غائب عنى وعن كل ما حولك » •

فيرد : أذكر فى مصر • • ما احتملت وقاست من الخطوب ضروبا
وألوانا ، دون أن تفقد شخصيتها ودون أن تنسى كرامتها ، ودون
أن تفتر لحظة واحدة عن الجهاد فى سبيل تلك الشخصية وهذه
الكرامة ، ودون أن تقصر لحظة عن المشاركة فى ترقية الحضارة
الانسانية ، فاستيقنت أثناء هذا التفكير أن مصر هى المثل الرائع
للوطن الأصيل الذى لم يخلق ليفنى فى غيره ، والذى لم يخلق
ليذعن لغيره ، وانما خلق ليفرض نفسه على الدهور ولتعيش أمته
خالدة كما أنه هو خالد ، كريمة كما أنه هو كريم ، عزيزة كما أنه هو
عزيز ، القاهرة للأحداث والخطوب كما أنه قاهر للأحداث والخطوب ،
قادرة على أن تنفذ من المشكلات مهما تكن ، وتقهر المصاعب مهما
تعظم ! • • »

وتسأل سوزان : فكرت أنت فى هذا كله ، وأنا أقرأ لك خبرا فى
صحيفة • على عامود ، فى عدة سطور ؟ أبهرت بعيدا عنى وأنا أحاول
أن أقرأ لك الأخبار ؟ أنت ترى اننى لا أستحق أن تستمع الى • •

ويأخذ طه حسين يديها فى يديه ويقول : لا ، كنت استمع إليك ،
كان صوتك العذب يساعدنى — كم هذه دائما — على التفكير !

وتقول سوزان : المهم ، اتركك الآن ، سأعود لنسمع معا
نشرة الاخبار التالية ، ثم يجب أن نغادر هذا الفندق سريعا لنذهب
الى فلورنسة ، ومبارك عليك جمهورية مصر !

* * *

وفي فلورنسة ينعقد اجتماع مؤتمر الحضارة والسلام :

وبين المدعوين قناصل الدول ، ومنهم قنصل « جمهورية » مصر
العام مصطفى السعدنى ، وبين الأعضاء طه حسين يمثل مصر في
المؤتمر. والى يمينه زوجته .

ويقول رئيس المؤتمر وهو على المنصة : « والآن يسرنى أن
أدعو الكاتب المصرى الدكتور طه حسين للكلام » .

ويقول طه حسين لزوجته : لقد كنت فهمت أننى أشارك في المؤتمر
مستمعا . لم أعد شيئا لهذا المؤتمر . طوال هذا الاسبوع الذى
قضىناه هنا لم أقرأ شيئا غير القرآن .

وتقول سوزان : انهم يصفقون لك .. الكلام الذى كنت تقوله
لى فى طريق حلوان ، وكلمة شكر ، هذا يكفى ثم تعود للاستماع .
ويسير مؤنس مع والده الى المنصة ، فيجلس عليها ويبدأ حديثه
بالفرنسية يقول :

« أحب — أيها السيدات والسادة — أن أتحدث اليكم حديثا
قصيرا عن الصلة بين السلام وبين ديننا الاسلام .. ان اسم
الاسلام اشتق من السلم وأن المسلم فى القرآن هو الذى يسلم
التأني من لسانه ويده ، وأن ابراهيم أبا الأديان السماوية قد جاء
ربه بقلب سليم ، وقد أسلم وجهه حنييفا فالمسلمون أهل السلام » .

بين. أعضاء المؤتمر استاذ فرنسي تجلس الى جانبه سيدة من شيلي تقول السيدة : هذا حديث بديع ، بغير أوراق ولا مذكرات .. ويقول لها جارها الفرنسي : وكيف تريدان أن يستعمل الأوراق والمذكرات .. وتقول السيدة : « لقد انتقل الآن الى الحديث عن « الصلاة » يظهر أن معنى الكلمة الاصلى في اللغة العربية « هو الدعاء » انه يقول أن هناك نصا تاريخيا ادعاء كان النبي يدعو به .

ويتابع طه حسين الحديث قائلا :

« كان الرسول ﷺ يدعو بهذا الدعاء اذا تهجد في الليل ، وهذه ترجمتى ! الدعاء ، وهى لا تصور الا قليلا بلاغة وجمال الأصل العربى ، الدعاء هو :

« اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد ، أنت قيوم السموات والأرض ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، والموت حق ، والساعة حق » .

وتقول السيدة لجارها ، اريد أن أكتب هذا لأسجله .

ويستمر طه حسين فى محاضرتة قائلا : « ويستمر الدعاء أيها السادة والسيدات فيتضمن فقرة كانت دائما أمام ناظرى » .

وتقول السيدة لجارها : أمام ناظرية ؟ !

ويقول طه حسين مستمرا فى حديثه : تضىء لى الطريق فى حياتى كلها ..

وتقول السيدة : تضىء له الطريق ؟ !

ويقول طه حسين مستمرا : تضىء لى الطريق فى حياتى كلها وهى :

اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ،
وبك خاصمت ، وإليك حاكمت •

فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أعلنت وما أسررت ، انت
الهى لا اله الا أنت » •

وتدوى القاعة بالتصفيق ويتقدم مؤنس لينزل معه والده من
فوق المنصة •

وتجرى مندوبة دولة شيلى نحو ظه حسين تقول له :

« سيدى الدكتور •• سيدى الدكتور •• أرجو أن تعطينى
نسخة من هذا الدعاء ، دعاء رسول الاسلام ، الأئنى أريد أن أعيش
به ، أن أعيش بهذا الدعاء ، أدعو به كل ليلة ، وأريد أن تحمل أنت
الى دينكم الاسلام ، الذى حبيبتنى فيه منذ اليوم ، أن تحمل
اليه حبنى ودموعى » •

ويرد الدكتور طه : حبك كفاية يا سيدتى •• لا داعى للدموع ••
سأطلب الى مؤنس أن يعطيك نسخة من الدعاء • وشكرا جزيلا •

ما زال التصفيق يدوى والمهنتون الآخرون يتراحمون •

ويقول قنصل مصر العام لظه حسين : رفعت رأس مضر
يا سيدى ورأس العرب ورأس المسلمين ، سأكتب لمصر فوراً
وسيسعد مصر الجديدة ان تعرف ما جرى اليوم •

ويقبل سينيور لابيلا ، رئيس المؤتمر ، على ظه حسين ويقول
للقنصل المصرى : معذرة يا سيدى القنصل ، طه حسين عندكم فى
مصر طوال أيام السنة ، اترك لى هذه اللحظة • لأقول لظه حسين
إنك جعلت هذا اليوم خالداً فى تاريخ مدينتى فلورنسه ، لقد بشرت
فيها بالعدالة أساسا للسلام وللتعاون ، بشرت بها لشعوب البحر

الأبيض ، لجميع شعوب العالم ، اليوم يدرك الجميع أنك ، وشعب مصر ، وشعوب العرب جميعا تتشدون العدالة أساسا للسلام ، وتستحقون الوصول الى العدالة للوصول الى السلام •

وعندما يحين موعد الانصراف تقول السيدة سوزان لزوجها وهما يخرجان : هذا أنت تتفوق على نفسك •

ويقول مؤنس : وأنت •• أنت كنت تقول لنا أنك لم تكن تدري ماذا تقول !

ويقول طه حسين : حقيقة لم أكن أدري — لم أعد نفسي للكلام طوال الاسبوع كما قلت لكم ، كنت أقرأ القرآن ، ومع ذلك فأننى فى الواقع راض عن نفسي وراض عن حديثي اليوم ، وما تعودت أن أَرْضَى عن نفسي أبدا ، وما رضيت من قبل عن حديث البقيته فى أى وقت من الأوقات ، ولكن كيف كانت اللغة — كيف كانت لغتي الفرنسية ؟

ويقول مؤنس مداعبا : شنيعة ••

وتقول سوزان : ألا تكف عن هذه الأسئلة فى هذه اللحظة المفعمة بالعزة والفخر ؟ ألن ترضى عن نفسك أبدا ؟ كانت لغتك طبعاً كالعادة رائعة •

ويقول طه حسين : لقد قلت لك اننى راض عن نفسي اليوم ، وهذا الدعاء •• لقد تلوته لنفسى قبل أن أنام أمس •• ولكن تلاوتنى لترجمته اليوم علنا كان لها تأثير غريب فى نفسي • لقد حرك فيها شوقاً قويا الى زيارة أرض الحجاز ، ومدينة الرسول •

وتقول السيدة سوزان : أما أنا فقد كنت أفكر فى والدك •• كنت أريد أن يسمعك أبوك •• وكنت أريد أن تسمعك والدتك •• كما كنت أريد أن تكون ببتك جاضرة ••

طه حسين : أمينة في أمريكا مع زوجها ، طال غيابها عنا ، بنتهم الثانية ولدت هناك ولم نرها حتى الآن .. ترى ما هو شكل هذه المولودة الأمريكية ، لقد سموها « منى » (*) ، ومحمد أخبرني أنهم في المستشفى طلبوا اليه اسما ثانيا على عادة الأمريكان فسموها باسم والدته : بديعة وكنت أنا أفضل اسم « آمنة » والددة الرسول ﷺ على اسم « منى » .

سوزان : سافرها ونراهم أخيرا ، كتبت الى أمينة أنهم سيحضرون لزيارتنا في الجبل في إيطاليا ، في الصيف القادم في طريقهم لقضاء الاجازة بمصر .

* * *

في صيف العام التالي ، يلتقى طه حسين وزوجه بابنتهما أمينة وزوجها وأولادهما الثلاثة في قرية من قرى شمال إيطاليا اسمها « كولى ايزاركو » وطه حسين يجلس في حديقة الفندق في الصباح عندما تقبل عليه حفيده .

« سوسن » بنت ابنته المولودة في الاسكندرية ، وعمرها الآن ثلاث سنوات تلقى بنفسها بين ذراعيه . وتقول له : « أنا اللمبة .. اللمبة جاءت لك » .

ويعانقها طه حسين ويقول لها : تعالى اذن يا نور حياتي .. ويجلسها على حجره ..

وتحضر أمينة ابنته — ومعها طفلتها الثانية « منى » وعمرها سنتان .

فيقول طه حسين : تعالى يا منى .

(*) آخر العنقود في ذرية د. محمد حسن الزيات وأمينة طه حسين .

وترد منى قائلة : لا ..

ويسأل طه حسين : ليه لا ..

وتقول منى : بابا بيقولى انك علمته يقول لا ..

ويقول طه حسين : لم أعلمه يقول لا ، عمال على بطل ، يقول
لا لما يلزم يقول لا .. تعالى ..

وتقول منى : وتحكى لى حكاية ؟

ويرد طه حسين : تعالى .. احك لك حكاية أمير المؤمنين عمر ..

فتقول منى : أنا لا أحب الأمراء ..

ويقول طه حسين : سيدنا عمر لم يكن أميرا من الامراء الذين
لا تحبينهم ، لقد كان أميرا للمؤمنين • يعنى رئيسا للمسلمين ، كان
رجلا بسيطا يلبس ملابس بسيطة ويخرج بالليل ويمشى ليطمئن على
أحوال الناس وذات ليلة ..

وتقطع حديث طه حسين لحفيدته سيدة ايطالية تقبل ملوحة
بمجلة فى يدها ، وتقول فى إنفعال : اكسلاتس • هل تسمح لى أن
أتحدث اليك دون سابق معرفة .. هذه المجلة صدرت اليوم وفيها
صورتك .. مع تسع وتسعين صورة أخرى ، انهم المائة رجل الذين
تقول المجلة فى مقال بامضاء « دونالد روينسون » أنهم أعظم رجال
الدنيا المعاصرين • عرفتكم من الصورة ، وقلت اذن معنا — فى هذا
الفندق — فى هذه القرية الايطالية واحد من أعظم مائة رجل من
الأحياء الذين يؤثرون فى العالم — معذرة لتطفلى — ولكنى قد اشتريت
المجلة اليوم — واطلعت عليها الآن — ورأيتكم تجلس فى الحديقة ..
استأذن ..

ويقول طه حسين : شكرا يا سيدتى .. ثم يلتفت لأميئة ابنته
ويسألها : أين حسن وأبوه(*) ؟

وترد أميئة : حسن مع أبيه ، يسيران فى الجبل منذ الصباح ..
وعلى فكرة الاولاد فضحونا .. مساء أمس تجولوا فى الجبل وقطفوا
ثمار التفاح من فوق الاشجار .. لم يتصورا أن تكون الجبال ملكا
للأحد ، حتى جاء الفلاح غاضبا فطاروا أمامه الى الفندق ..

وتدخل السيدة سوزان فى خطوات نشطة تطلب الى زوجها
أن ينهض للسير للنزهة .

ويقول طه حسين : لم أكمل القصة لئنى .

وتقول سوزان : هذا وقت النزهة ، نكمل القصة لا نرجع ..
ثم اننى أريد أن اشترى مجلة معينة يقولون ان فيها شيئا يهمنى .

ويقول طه حسين : كلام فارغ .. دونالد روبنسون .. الكاتب
الامريكى الذى زار مصر أيام حريق القاهرة ، اخرج كتابا عن مائة
رجل من رجال العالم ويظهر انه ذكرنى .

وتتساءل سوزان : وكيف علمت ذلك ، من أخبرك ؟ فريد لم يكن
معك هذا الصباح ، أنه ذهب الى البنك والبوستة .. وأميئة لم تنزل
من الغرفة الا الآن ، ومحمد فى الجبل مع ابنته حسن .. وسوسن
ومنى لا تستطيعان القراءة بعد .. من أخبرك ؟

ويرد طه حسين مبتسما ابتسامة مأكرة : وهل تعتقدين انك
المرأة الجميلة الوحيدة فى هذا الفندق التى تقرأ الصحف والمجلات ؟

(*) يستفسر عن د. محمد حسن الزيات زوج ابنته أميئة وحسن
ابنتها .

ويصل فريد السكرتير حاملا الصحف المصرية والخطابات «
يقول : مجلة روز اليوسف نشرت بشكل بارز تصريحك الذى تقول
فيه أن أساس التعليم الصالح هو اختيار الطالب الدراسة التى يرغب
فيها — يوجد كذلك خطاب من لجنة وضع الدستور الجديد الذى
اخترتم عضوا فيها وخطاب من ...»

وتقاطعه السيدة سوزان بقولها : سنقرأ هذا كله بعد الفزعة ،
والجرائد والرسائل تستطيع أن تنتظر عودتنا •

ويتساءل طه حسين : منى — أين منى •• كنت أحكى لها ••
وأين حسن ، وأبوه وسوسن ؟ الا ألقى نظرة على الصحف وأنا فى
انتظارهم ؟

وترد سوزان : كلهم سيلحقون بنا ، ومن جهة الصحف والرسائل
فاننا سنكون فى مصر بعد وقت قريب جدا •• وسنجد هناك يوميا
كل الصحف وكل الرسائل وكل التليفونات وكل المكاتب وكل الزيارات
وكل الاستقبالات •• الآن نمشى تحت هذه السماء الجميلة •• وفى
ظل هذه الأشجار الشامخة التى لن تحضر معنا الى مصر •

* * *

وتعطى الجرائد والرسائل للسكرتير وتقول : احتفظ بها حتى
نعود •

* فى مصر ، فى منزل طه حسين بالزمالك فى غرفة المكتب وقد
عادت أسرة طه حسين الى مصر وعاد طه حسين الى برنامجهِ اليومى
يقول السكرتير : وصلنا خطاب باليد بامضاء « سير كلود ماكنزى »
يطلب موعدا للزيارة •

ويسأل طه حسين : ومن هو السير كلود ماكنزى ؟

ويقول السكرتير : هذه نبذة مرفقة بخطابه عن تاريخ حياته :
انه خبير عالمي في شئون المكفوفين ، وقد فقد هو نفسه بصره في الحرب
العالمية الأولى ، حرب سنة ١٩١٤ ، وهو الآن يزور عدة بلاد في
أرجاء العالم ، ويتوقف بمصر يومين فقط ، ويسأل ان كان الوقت
يتسع لزيارته •

ويقول طه حسين : يومين •• اذن يحضر غدا الساعة الحادية
عشرة ، ان كان هذا الموعد يوافقه •

وفي اليوم التالي يخرج سير كلود ماكنزى من منزل العميد بعد
انتهاء زيارته له وسيارته تنتظره وصحفيون ينتظرونه •

يقول سير كلود للصحفيين : اعتقد أن مصر يجب أن تفخر
بالدكتور طه حسين •• فهو عبقرية فذة قل ان يجود الزمان بمثلها ••
إننى أغبطكم لأنكم تعيشون على الأرض التى أنجبت طه حسين ••
كما أغبط نفسى لأننى تعرفت اليه ، وجلست معه هذا الوقت الطويل •

ويقول له صحفى : هل تخبرنا عن طبيعة عملك وعما تريد
تحقيقه والوصول اليه ؟ •

ويرد سير كلود : كل أملى فى الدنيا هو أن يتمتع المكفوفون
فى العالم بحقوقهم كآدميين ، فيجب أن يكون حب المجتمع لهم وعطفه
عليهم هو التور الذى يهديهم سواء السبيل • من يدري ؟ قد يكون
بين هؤلاء المكفوفين هلين كيلر أخرى أو طه حسين آخر •

ويسأل صحفى آخر : هل تحدثت مع الدكتور طه حسين ، عن
عمله خارج ميدان التعليم والثقافة ، فهو كما تعلم عضو فى لجنة
وضع الدستور الجديد •

ويرد سير كلود : عرفت بالصدفة انه معنى بوضع المواد الخاصة

بحقوق الانسان في مشروع الدستور الجديد ، دستور الثورة ، وانه
يتعاون على صياغتها مع أحد أساتذة كلية الحقوق •

وهذا موضوع لا يهم العلماء ولا يهم المصريين فقط لكنه يهم
العالم كله ، الناس جميعا في كل مكان يريدون أن تصان حقوق
الانسان • وأنا سعيد باهتمام طه حسين الشديد بهذا الموضوع •

* في القاهرة بعد عودته من المملكة العربية السعودية وفي منزل
طه حسين بالزمالك يجلس الاستاذ كامل الشناوى مع العميد في
مكتبه • وهو يسأل : هل زرتم الأماكن المقدسة مرتين ؟

الدكتور طه حسين يقول : لا •• مرة واحدة •• وكنت في هذه
المرة الواحدة مع الناس ومع نفسى في وقت واحد • •

ويقول كامل الشناوى : هذا كلام يحتاج الى ايضاح •

ويرد طه حسين : اليك الايضاح : لقد جرت العادة عندما يصل
المرء الى الكعبة أو المسجد الحرام أن تتسلمه طائفة من أناس يسمون
في مكة بالمطوفين أى الذين يقومون باجراءات الطواف بالكعبة
ويسمون في المدينة بالمزورين أى الذين يقومون باجراءات الزيارة
لقبر الرسول عليه الصلاة والسلام •

ويقول كامل الشناوى « مقاطعا » : علمت انكم سافرتم للمدينة
المنورة في طائرة صغيرة خطرة مع أنكم لا تركبون الطائرات أبدا
وسبق أن رفضتم دعوات هامة جدا لأمريكا ولروسيا والهند ••
الآن تلبيتها كانت تستلزم ركوب الطائرة ؟ ولم تلبوا حتى دعوات
ابنتكم وصهركم لزيارتهما وهما في أى منصب في السلك الدبلوماسى
في أى بلد لهذا السبب •

ويقول له طه حسين : لم يكن من الممكن أن أتخلف عن هذه
الزيارة ، ولم تكن هناك طريقة أخرى غير الطائرة ، كنت أحس انه

لا بد لى من زيارتها لولا خوف الغرور لقلت أنها كانت دعوة من خارج نفسى •• دعوة أمرة ••

ويستفهم كامل الشناوى : دعوة أمرة ؟ •

ويقول طه حسين : دعوة أمرة لابد أن تلبى •

ويقول كامل الشناوى بعد سكوت : نعود الى المطوفين والمزورين •

ويقول طه حسين : حاولت جهدى أن أتخلص من المطوفين والمزورين ولكن محاولاتي ذهبت هباء ، ووجدتني بين أيديهم أردد بلا وعى ما يقولونه ، ووجدتني في الوقت نفسه وحدى وان كنت في صحبتهم ، كنت شخصية واعية بلا كلام ، وشخصية متكلمة بلا وعى • كائنات الشخصية المتكلمة تردد كلام المطوفين والمزورين ، وكانت الشخصية الواعية بلا كلام تتاجى ربها في صدق وصمت وخشوع •

ويسأل كامل الشناوى : وبماذا ناجيت ربك في صمت وصدق وخشوع ؟ •

ويقول طه حسين : بدعاء سبق أن ألقيته في فلورنسا ، فأثار الدموع في عيون السامعين من غير المسلمين — وأثار الشوق في قلبي أنا — لزيارة مدينة الرسول •

أوله « اللهم لك الحمد »

وآخره : « أنت الهى لا اله الا أنت •

أنت نور السموات والأرض •• » •

بعد خروج الاستاذ كامل الشناوى دخلت السيدة سوزان تسأل زوجها : طال الحديث ، اثقل عليك ؟

ورد طه حسين : لا ، لم احس بطول الحديث ، كنت أتحدث عن رحلة الحجاز — أجد في نفسى راحة كبيرة عندما أتحدث عنها فلا أحس بأن الوقت قد طال — تذكرون ما كتبتك اليك وأنا هناك لقد كتبت اليك .. « أن الاسلام هو دين الصفاء » .

وتقول السيدة سوزان : نعم .. أنت سعيد برحلتك الى السعودية وأنا سعيدة بسعادتك ، ولكن الآن أريد أن أحدثك في موضوعات أرضية : أولا موضوع البيت الذى نبنيه فى طريق الهرم ومشاكل المبانى المتعبة — الحلم ببناء المنزل كان حلما كله سعادة — تحقيق الحلم أو خطوات تحقيق الحلم كلها متاعب ، وأخشى انك لابد أن تشاركنى فى البحث عن الحلول .. ثانيا أريد أن تملى على رد خطاب الدعوة لحضور مؤتمر البندقية .. وهناك أيضا دعوة لمؤتمر فى بيروت عن « مهمة الجامعة فى العالم العربى » .

ويقول طه حسين — نعم هذه دعوة قديمة ومهمة الجامعة فى العالم العربى موضوع حيوى ، وقد سبق أن قبلت الدعوة لأهمية هذا الموضوع .

* * *

يخرج الدكتور طه من قاعة الاجتماع فى بيروت ، ويلتف حوله عدد من الشباب اللبنانيين يسألونه عن اللغة العامية والأدب العامى ..

وطه حسين يكسو وجهه الجد عند سماع السؤال ، وكان قبل ذلك يبتسم مرحبا بالشباب ، ويقول لهم جادا : « فلنحذر من أن نشجع الكتابة باللهجات العامية ، فيمعن كل قطر فى لهجته ، وتمعن هذه

اللهجات في التباعد والتنافر ويأتى يوم يحتاج فيه المصرى الى أن يترجم لهجته الى كتب السوريين واللبنانيين والعراقيين ويحتاج أهل سوريا ولبنان والعراق الى مثل ما يحتاج اليه المصريون ، كما يترجم الفرنسيون عن الايطاليين والاسبانيين •

ويسأل شاب لبنانى : وأى بأس فى أن نكون مثل فرنسا أو ايطاليا أو اسبانيا ؟

ويرد طه حسين : أيهما خير ؟ أن يكون العالم العربى كله لغة واحدة هى الفصحى يفهمها أهل مراكش كما يفهمها أهل العراق ، أم أن تكون له لغات بعدد الأقطار التى يتألف منها ؟ أما أنا فأؤثر وحدة الفكر ، واثق الثقة كلها بأن لها النصر آخر الأمر ، وأرى أن وحدة اللغة خليفة بأن يجاهد فى سبيلها المجاهدون • • » •

* * *

وعلى الباخرة اسبيريا يقول طه حسين لزوجته — وقد ركبا الباخرة من بيروت : لقد أوشكنا على الوصول • • هذه هى الاسكندرية •

وترد سوزان : ما أشد شوقك اليها •

ويقول طه • وأنت ، ألا ترين منذ الآن وجوه المصريين تبتسم لك •

وترد سوزان : نعم أرض مصر كلها تبتسم • • وهذه المرة ستجد كثيرا من المستقبلين ، تذكر عندما عدنا عام ١٩٤٩ •

ويقول طه : فى عام ١٩٤٩ كان الملك موجودا ، وكان الملك غاضبا على ، ولم يكن من الحكمة استقبال رجل قد غضب عليه الملك •

وتقول سوزان : والآن لحسن الحظ لا غضب ولا ملك ، — ولكن
لسوء الحظ لا أمينة ولا زوجها أيضا ، ولا الاولاد — حسن الزيات
الآن في السادسة من عمره ، وسوسن في الخامسة ومنى في الرابعة ،
وكلهم في طهران •

ويقول طه : محمد(*) يقوم بعمل ممتاز هناك فيما اسمع ، انه قائم
بأعمال السفارة كما تعرفين ، وقد كتب يلح علينا في أن نزورهم •

وتسأل سوزان : ألا نستطيع ؟

ويقول طه حسين : « لا سبيل للوصول اليهم الا بالطيارة !
ولولا ذلك لاسرعت بالسفر ، لأننى أريد أن أزورهم ، وأننى أريد
أن أزور ايران أيضا — الحضارة الاسلامية والعربية ملأى بأسماء
من ايران ، وكل اسم من اسماء هذه المدن يثير في النفس الذكريات ،
تذكرين الأبيات التى كنت أغنيها لحسن ؟

ألا يا أيها الساقى أدر كاسا وناولها
كه عشق أسان نمود أول ، ولى أفتاد مشكلها

وتسأل سوزان : هذا شعر شاعر فارسى ؟

ويقول طه : نعم ، شعر حافظ الشيرازى ، وشعراؤنا العرب
زاروا ايران أيضا وتغنوا بجمالها ، المتنبى ركب حصانه هناك وسار
في واد اسمه « شعب جوان » فتن بالأرض الخضراء حوله ترتفع
جبالا ، والماء يسيل منها الى الوادى ، فدفعه ذلك الى مخاطبة
حصانه •

وتتسأل سوزان : الى مخاطبة حصانه ؟

ويقول طه : نعم ، والمهم أن حصانه قد رد عليه •

(*) يقصد زوج ابنته محمد حسن الزيات •

وتسأل سوزان : رد عليه بالعربى ؟ ولكن ألم يكن الحصان قارسيا ؟

ويقول طه حسين : تذكرين عندما أخذنا أمينة وهي صغيرة الى فرنسا الأول مرة ؟

وتتذكر سوزان : نعم وسألتنى عن الخيل التى رأيناها فى فرنسا هل جنسيتها فرنسية ! لكن قل لى ماذا قال الحصان فى ايران ؟
ويقول طه : المتنبى هو الذى نقل ألينا ما قاله ، قال :

يقول بشعب بوان حصانى
أعن هذا يسار الى الطعان
أبوكم آدم خالق المعاصى
وعلمكم مفارقة الجنان

لكن قولى لى يا سوزان هل آدم هو الذى خلق المعاصى ؟ أم حواء ؟

وتقول سوزان : لا أرد على هذا الكلام .. اذا لم نذهب قريبا الى ايران فأرجو أن يحضروا هم الى مصر ، عملت ترتيب اقامتهم فى بيتنا الجديد .

ويقول طه حسين : بيتنا الجديد !

وترد سوزان : حديقة المنزل ستكون متسعة .. يلعب فيها الأطفال الثلاثة ، لكن المهم أن تنتهى الأعمال المرهقة التى يسمونها « التشطيب » وأن ينتهى ليلى ومؤنس من اعداد سكنهما .

ويعود طه حسين للتأمل ويقول : بيت لنا ، وحديقة — وأمينة وزوجها ، وأطفال لهما يلعبون فى الحديقة ، ومؤنس وزوجته فى مسكنهما الهادئ معنا فى « رامتان » ! اللهم لك الحمد .. أنت نور السموات والأرض .

« رامتان ! »

* في المنزل بالزمالك : طه حسين وزوجته يتناولان القهوة ، وقد خلا المنزل من أثاثه الذي تم نقله الى المنزل الجديد في طريق الهرم •

تسأل سوزان : هل سيكون لمنزلنا الجديد اسم ؟

ويرد طه حسين : نعم ان أردت •

وتقول سوزان : أريد ، ماذا نسميه ؟

ويقول طه حسين : — بعد تفكير — رامتان !

وتسأل سوزان — رامتان ؟ كلمة عربية ؟

ويقول طه حسين : نعم •• الرامة موضع بالبادية يستريح لديه المسافر ، وتثنى الكلمة فتصبح رامتان ، مادام البيت الجديد سيقون من سكتين ، سكتنا وسكن مؤنس وليلاه •

سوزان : الاسم جميل ، والمثنى جميل •• رامتان ، سيكون في البيت سكان ، أرجو ألا نفترق عن مؤنس كما افترقنا عن أمينة •• لكن رامتان •• هل سيفهم الناس وخاصة الأصدقاء العرب معنى هذه الكلمة ؟ •

ويقول طه حسين : في المثل العربى القديم « تسألنى برامتين سلجما » •

يعنى تطلب منه أن يحضر لها السلجم ، والسلجم هو « اللفت » وهما في رامتين ومن أين يأتى لها باللفت في البادية !

وتقول سوزان : من يريد « اللفت » في رامتان ؟ رامتان لن يوجد فيها لفت • سيوجد فيها بساط أخضر تمشى عليه في هدوء كما تحب — وستزرع فيها أشجار الفتنة التى تحب عطر زهورها ، وقد استيقيت

في الأرض أشجارها القديمة الطويلة ، لتدعو اليها الطيور وليغنى
في سمائها الكروان •

* * *

الاسم « رامتان » مكتوب على باب الفيلا الخارجى •
في الحديقة طه حسين مع ولده مؤنس يسيران عائدين الى المنزل
بعد جولة فيها ••

يدخل الوالد وولده الى غرفة الطعام وفيها السيدة سوزان
وليلى • ويدخل الطباخ « محمد » الذى كان يعمل فى سكن الدكتور
طه فى الزمالك والذى انتقل مع الاسرة الى المسكن الجديد ، فيجيبه
مؤنس ويدخل « السفرجى » الذى انتقل أيضا مع الاسرة من
الزمالك ، يقدم القهوة ، ثم تنسحب ليلى للراحة ويتناول الثلاثة
القهوة ، ويتحدثون عن خطاب وصل من أمينة من طهران تصف فيه
زيارتين قامت بهما مع زوجها وأولادهما الثلاثة الى ساحل بحر
قزوين وتقول ان ابنهما « حسن » يذهب الى المدرسة
الامريكية و « سوسن » وأختها الى مدرسة الليسيه وهم جميعا
موفقون فى دراستهم والحمد لله •

بعد القهوة ، يصعد طه حسين الى غرفته للراحة والى جانب
السرير جهاز راديو ، يفتحه ليستمع الى القرآن الكريم وفى الساعة
الثالثة تصل مدام غنيم لتقرأ عليه كتابا من الكتب الفرنسية الحديثة
الوصول الى القاهرة ، وفى المساء ينزل الى مكتبه ويحضر سكرتيه
فريد ليقرأ له ما يريد ، وقد يحضر الاستاذ ابراهيم الابيارى أو
الاستاذ محمد الدسوقي من رجال المجمع لقراءة بعض النصوص
العربية القديمة وقد يحضر بعض الاصدقاء مثل الدكتور سليمان
حزين ، والدكتور كامل حسين والشيخ أبو رية ، والاستاذ عبده حسن

الزيات(*) والمهندس عبد المجيد حسين شقيق الدكتور الأصغر والدكتور محمد عوض محمد والدكتورة سهير القلماوى ، والدكتور يحيى الخشاب ، والاستاذ ثروت أباطة والاستاذ كمال الملاخ والاستاذ يوسف السباعى الذى يحدثه فى شئون نادى القصة واتحاد الكتاب والمجلس الأعلى للفنون والآداب ويحضر أحيانا الاستاذ لطفى السيد الذى لم ينقطع عن زيارته مع بعد المسافة بين منزليهما الآن ، بين مصر الجديدة والهرم • كل من يدخل المنزل لأول مرة يهنئ العميد بأول دار يملكها •

وبعد العشاء يجلس مع زوجته فى الصالون يسمعان بعض الموسيقى ثم تقرأ له زوجته فى كتاب •

المقطوعة الموسيقية هذا المساء هى موسيقى موزارت المسماة « القيثاره السحرية » • أما الكتاب فأحد مؤلفات الكاتب الايطالى انجاريتى فلقد « طلبت احدى الصحف الايطالية من الدكتور طه حسين مقالا عن الكاتب « انجاريتى » لنشره فى العدد الخاص الذى تصدره عنه ، وطه حسين يقرأ الكتاب تمهيدا لكتابة كلمته وارسالها للمجلة ، زوجته تذكره بالفصل الجميل الذى كتبه عام ١٩٤٩ فى الكتاب الذى أصدرته منظمة اليونسكو عن الشاعر الالماني « جيته » فبين فيه أثر الحضارة الاسلامية فى مؤلفات الشاعر الالماني •

* * *

فى نفس الصالون يسمع طه حسين اعلان الرئيس جمال عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس من الاسكندرية بعد سحب العرض الامريكى لمشروع السد العالى فى أسوان •

ويقع العدوان الثلاثى على مصر وتشترك إنجلترا وفرنسا مع
اسرائيل فى العدوان •

طه حسين شديد الغضب على العدوان ، يتحدث بالتليفون مع
الاستاذ عبد القادر حاتم مدير ادارة الاستعلامات الذى يريد اصدار
كتاب بأقلام عدد من الكتاب البارزين فى مصر ضد هذا العدوان ،
سيكتب طه حسين أول فصل من فصوله •

ويترك التليفون ويتحدث مع زوجته عن موقف فرنسا • ان
فرنسا لا يمكن أن تؤمن بالحرية لنفسها وأبنائها وتتكر هذه الحرية
على غيرها من الامم والشعوب ، ويسأل عن شعار الثورة الفرنسية
— الحرية — هل هو للفرنسيين فقط ؟ والإخاء هل هو للأوروبيين
فقط ؟ وكذلك المساواة ؟

* * *

فى حديقة رامتان يقول مؤنس لوالده : كل شىء فى الجامعة
جميل ، الدراسة والتدريس ، الطلبة ، وكثير من الزملاء المشتغلين
بالدرس والتدريس ، ولكن ••

طه حسين : ولكن ؟

مؤنس : هناك من الجامعيين الآن عدد لا يشتغل لا بالدرس
ولا بالتدريس •

طه : ممن يسمون أنفسهم بالجامعيين •

مؤنس : — لقد أهديت أحد كتبك الى الذين
لا يعملون ويؤذى نفوسهم أن يعمل الناس •

طه حسين : وأنت ترى أن هذا — يا مؤنس — لم يمنعنى من
مواصلة العمل •

مؤنس : قرأت مرة أن ويلسون عندما انتخب رئيسا للولايات المتحدة حذره بعض أصدقائه من مؤامرات ودسائس السياسيين في واشنطن ، وأن ويلسون رد بقوله وماذا تكون هذه المؤامرات والدسائس في عاصمة الحكم ؟ لابد أنها ستعتبر من أعمال الهواة اذا قيست بمؤامرات ودسائس الجامعيين !

طه حسين : لا شك أن الرئيس ويلسون كان يبالغ ، لأنه اذا أصيبت جامعة بمثل هذا الداء فلن يكون لها بقاء بين الجامعات . أريدك أن تعرف يا ولدي أن الخير هو الأصل ، وانما يفرعنا الشر ويروعنا لأنه شاذ . وان العمل والاجتهاد هما الأصل وغير ذلك استثناء يؤسف له ، ولكنه استثناء .

مؤنس : أنت تشجعني ، وأنا في الحقيقة محتاج الى تشجيعك ، الغيرة والدسائس قبيحة ولكنها أقبح ما تكون عندما تمتلئ بها صدور المقربين اليها ممن يلبسون لباس الأصدقاء ، ولكن لندع هذا لأن لدى خبرا أريد أن أسرك به . . . لقد ذهبت ليلي الى الطبيب هذا الصباح . . .

طه حسين : واذن سيكون لنا حفيد جديد ؟

مؤنس : ما أسرع ما فهمت عنى . . . ولكنك طه حسين .

طه حسين : وماذا يكون خبر أسراه يرتبط بزيارة ليلي للطبيب غير ذلك ؟ لقد أدخلت على قلبي الفرحة يا مؤنس ، اننى أراها الآن ، أرى طفلك يا مؤنس تملأ « رامتان » حياة . والاشجار هذه سيصبح لها معنى عندما يتسلقها أو تتسلقها ابنك أو ابنتك .

مؤنس : أنت حيران بين المذكر والمؤنث ، من يدري ربما يلزم استعمال المثنى ! تصبح على خير يا أبى . . . لابد أن أذهب الى ليلي . ويتأهب مؤنس للانصراف ويقول له والده : قبل عنى ليلي . . . قبلها مرتين أو ثلاثا اذا شئت !

وفي رامتان بعد ثمانية أشهر ..

* * *

يقول طه حسين لزوجته وهو يتأهب الذهاب للنوم — ألم يقل
لنا الطبيب أن نترقب الحادث السعيد هذه الليلة ؟

وترد السيدة سوزان : ومتى كان الطبيب يستطيع أن يحدد
اليوم والساعة ، على أنه مطمئن جدا — الحالة عادية تماما •

ويقول طه حسين : اذكر بالألم والرعب تعبك ..

وترد سوزان : لم أعد أذكر مولد أمينة ومولد مؤنس الا بالرضا
والحب والحنان ..

ويقول طه حسين : واذن ننتظر خبرا من المستشفى هذه
الليلة •

وترد السيدة سوزان : ليس هذه الليلة قطعا — هذا ما أكدته
الطبيب — اذهب لتنام .. سأستيقظ مبكرة في الصباح •

طه حسين : ألم يكن من الخير أن نكون معها ؟

سوزان : والدتها السيدة أمينة معها ومؤنس معها — والمهم
الآن أن تستريح أنت •

طه : ان مؤنس غير مستريح في الجامعة — جميل أن يرث الولد
عن أبيه مودة الصديق ، ولكن من القبيح أن يرث الاولاد بغضاء من
أرادوا. بآبائهم الشر • بعض زملاء مؤنس يزعمون أن حصوله على
الاجريجاسيون قبل الدكتوراه أمر لا يعتد به في حساب أقدميته ،
لأن مصر لا تعرف شهادة الاجريجاسيون ..

سوزان : مؤنس لا يفكر الآن لا في الاجريجاسيون ولا في

الدكتوراه ، أنه يفكر في زوجته وفي مولودهما وهو لذلك قلق ولكنه أيضا سعيد .. تصبح على خير .

وتعود ليلي من المستشفى بعد عشرة أيام ، تحمل ابنتها سعيدة بها وتقول بصوت عال ، وهي ما زالت في الحديقة ، اقدم لكم الآنسة أمينة مؤنس طه حسين وينهض طه حسين ويسرع مع زوجته متجهين الى مسكن مؤنس لاستقبال الآنسة أمينة مؤنس طه حسين وعمرها أسبوع .

* * *

في يونيو سنة ١٩٥٧ تدعو حكومة تونس طه حسين لزيارتها للإشراف على لجنة امتحانات آخر العام لشعبة اللغة العربية والآداب في دار المعلمين العليا . طه حسين أول مصري وأول عربي يقوم بهذا العمل في تونس بعد استقلالها عام ١٩٥٦. .. الرئيس الحبيب بورقيبة يحتفل به احتفالا كبيرا . أنه يذكر كيف أحسن طه حسين استقباله عندما فر لاجئا الى مصر وكيف قدم طه حسين اليه والى حركة الاستقلال التونسية كل معونة ممكنة وكيف دعاه للتحدث في الاذاعة المصرية ، ويتذكر بورقيبة كيف أن بعض رجال الاذاعة لم يعنوا به وهو لاجئ لا مكانة له ، وكيف أن طه حسين هو الذي أزره ومكنه من استعمال اذاعة مصر . لقد كان طه حسين مؤمنا بضرورة الكفاح وجدواه ، واثقا كل الثقة أن الاستعمار الفرنسي سينحسر عن تونس أمام مقاومة أهلها الصادقين الصامدين .

وفي يونيو ١٩٥٨ يدعو المغرب طه حسين لزيارته فيستقبله الملك محمد الخامس أعظم استقبال ، ويمنحه أكبر الأوسمة ، فهو شديد التقدير لعلم طه حسين وأدبه وهو لم ينس نهوض طه حسين بالدفاع عنه ضد الفرنسيين عندما نفوه عن عرشه وعن بلاده ، ويحضر الأمير الحسن (الملك الحسن الثاني الآن) المحاضرة التي يلقيها طه حسين

فى كلية العلوم بالرباط عن مكانة اللغة العربية والأدب العربى بين اللغات والآداب العالمية ، وفيها يبين الدكتور طه حسين كيف انتشرت العربية بقوتها الخاصة وبقوة الاسلام وقوة القرآن الكريم فاستطاعت أن تكون لغة عالمية بأوسع معانى هذه الكلمة ، ويبين أنها لم تكن لغة حديث فحسب ولكنها كانت لغة حديث ولغة سياسة ولغة ادارة ولغة الدين ، وكانت ، فى الوقت نفسه لغة التفكير والانتاج الأدبى والعصرى ، ويقول أنها فى أقل من قرنين أساغت كل الثقافات التى كانت معروفة فى العصور القديمة ، وتمثلتها •

ثم يقول : « وبعد ذلك جاءت المعجزة الكبرى وهى أن هذه اللغة التى انتشرت بهذه الطريقة المدهشة أنشأت أمة جديدة قوامها اللغة العربية والدين الاسلامى عند الكثرة ، والمسيحية والاسرائيلية عند القلة ، وكل هذه الأمم امتزجت والتأمت وأصبحت أمة واحدة هى الأمة الاسلامية العربية وجعلت عناصرها المختلفة تتعاون على انشاء هذه الحضارة الاسلامية العليا التى لا أعرف أن حضارة أخرى سبقتها فى عالميتها وفى انتشارها » •



وحيثما قابل طه حسين شباب المغرب ومثقفيه كان يسمع منهم طويلا ويتحدث اليهم ، كانوا يستصعبون النحو العربى فيقول لهم ان من اللازم ومن الممكن تيسيره ، ويشكون الكتابة العربية التى لا بد أن يفهمها الانسان أولا ليقرأها صحيحة بعد ذلك فيقول طه حسين لقد أعلنت مرارا وأعلن الآن أنه لا بد من اصلاح الكتابة العربية مع رفضى التام للكتابة بالحروف اللاتينية ويجب على هذا الجيل من العرب أن يبحث عن أحسن الوسائل لإتمام هذا الاصلاح المطلوب والضرورى •

ويزور طه حسين مدن الرباط ومكناس والدار البيضاء وفاس
(حيث يستقبله الزعيم علال الفاسي) وتطوان ، ويصعد بالسيارة
في جبال الاطلس الى مراكش ويتوقف عند قرية في الجبل أمام محل
صغير ، وقد استرعى نظر زوجته رداء مغربي أبيض جميل توقفت
لشراؤه •

وأمام المحل الصغير في القرية المغربية يتجمع بعض أهل القرية
يتحدثون فيما بينهم عن الزائر الذين عرفوا أنه طه حسين ويتقدم
رجل عجوز من سكرتير طه حسين ويقول له أن الاستاذ لا يعرفني
طبعاً ، أنا رجل من عجائز هذه القرية ، ولكني أرسلت من هنا برقية
الى طه حسين في القاهرة منذ سنين •

ويلتفت طه حسين للعجوز ويسأله : أرجو أن تذكرني •• ماذا
كان موضوع البرقية ؟

العجوز : كنت أنت قد خطبت في الجامعة الامريكية في القاهرة
فقلت أنكم في مصر تتحدثون عن المشرق العربي كثيرا ولكنكم يجب
أن تذكروا أيضا المغرب العربي وأن تهتموا كثيرا ببلاد المغرب العربي
وعندما قرأت تلخيص حديثك في بعض الصحف التي وصلت اليها
هنا أرسلت لك برقية أشكرك باسم المغرب العربي •

طه حسين : نعم نعم اذكر حديثي في الجامعة الامريكية وأذكر
برقيتك وأذكر انك لم تذكر فيها عنوانك فلم نرد عليك ، وأذكر أن
السيد السنوسي قد أرسل الى من ليبييا برقية تشابه برقيتك • لماذا
لم تذكر عنوانك ؟

العجوز : لأنني اعتبرت أن البرقية مرسله اليك منا جميعا ، من
المغرب العربي وليس مني أنا فقط •

وداخل المحل تقول السيدة سوزان : ما أجمل هذا الرداء ،

سوف يكون جميلا عندما ترتديه أمينة بنت مؤنس ، سأعطيه لها
عندما تحضر مع والديها لقضاء يومين معنا في ايطاليا ، في تريستا ،
قبل عودتنا الى مصر •

صاحب المحل حاول أن يقدم الرداء هدية ثم لا يتقاضى في
آخر الأمر الا أصل ثمنه دون أخذ أى ربح من طه حسين •

وفي السيارة في طريق العودة الى مدينة الرباط تعرض سوزان
على زوجها الرداء الذى اشترته لحفيدتهما ، بنت مؤنس ، ويقول
طه حسين : لقد طالت غيبتهم عنا ، ولقد تفرق الجميع ، ان أمينة
بنتنا مع زوجها وأولادهما في مقر عمل زوجها في الصومال (*) ، في
مقديشيو ، ومؤنس وزوجته وابنته في مقر عمله باليونيسكو في
باريس •

وتسأل سوزان : ألم يحن موعد استقلال الصومال بعد ؟ ••
أنا مشتاقة جدا الى اعلان استقلال الصومال ، فان مهمة محمد هناك
كما أخبرنى موقوتة بانتهاء الوصاية الايطالية على الصومال واعلان
استقلاله •

ويرد طه حسين فيقول أن الموعد المحدد لاعلان الاستقلال
حسب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة هو الثانى من ديسمبر
١٩٦٠ ولكن محمد أخبرنى أنهم يجتهدون في تقديم الموعد الى صيف
١٩٦٠ ، وأنا واثق أنه سينجح • لقد أرسلت مصر الى الصومال
شبابا من أحسن شبابها ، تذكرون كما الدين صلاح مندوبنا الذى
استشهد هناك والذى حل محله محمد • سنقابل أمينة وأسرتها الصيف

(*) الفترة التى عمل بها د. محمد حسن الزيات في الصومال حتى
استقلاله •

القادم إن شاء الله ، أما في هذا الصيف فسوف ترى ليلي ومؤنس وابنتهما في « تريستا » بعد قليل •

* * *

وفي تريستا نرى أمينة بنت مؤنس مع امها في الرداء الأبيض الذي اشترته لها جدتها من بلاد المغرب •• ونرى مؤنس يتحدث مع والده عن أعمال اليونسكو • يقول له ، ان أحد زملائه قد لفت نظره الى مقال لوالده يتحدث فيه عن الامم المتحدة ، وقرأ له منه فقرات جاء فيها « لم أؤمن قط بهيئة الامم المتحدة •• لأن هيئة أخرى شبيهة لها قامت في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، لم تكف معتديا ، ولم تقمع باغيا ولم تقر أمنا ، ولم تشع عدلا ، ولم ترد على أن أنفقت مالا كثيرا ، هملأت الأرض كلاما وأوهاما ، وأغرت الضعفاء أن يطمئنوا الى ضعفهم ، والأقوياء بأن يتزيدوا من قوتهم » والمقال الآن بين يدي مؤنس وهو يقرأه على والده بكامله ، يقول لأبيه : أنت تنتهي المقال بقولك « ان الخير كل الخير أن نزود عن حوضنا بسلاحنا ، وألا نظلم أحدا ، وألا نرضى أن يظلمنا أحد » • ويسأل طه حسين ولده أليس هذا صحيحا ؟ ما اعتراضك على هذا المقال إذن ؟

فيقول مؤنس : على كل حال نحن الآن في ١٩٥٩ وولدك يعمل في اليونسكو ، وهي منظمة من منظمات الامم المتحدة ، وصهرك مشغول باعداد الصومال للاستقلال ، باسم الامم المتحدة •

ويرد طه حسين : أنا لم أقل شيئا ضد اليونسكو ، بالعكس هذه منظمة هامة تعمل في ميدان عظيم الخطر • وأنت تعرف أنني شاركت في أعمالها وأنني شاركت من قبل ذلك في أعمال لجنة التعاون الفكري التي كانت متصلة بالمنظمة الدولية السابقة أي عصبة الامم — ان الثقافة ميدان من الميادين التي نرجو أن يتحقق فيها تعاون البشر

للخير والحضارة والتي يقيس فيها هذا التعاون • وفيما يخص اعداد الامم المتحدة للصومال للاستقلال فهذا فضل واضح وخير عظيم وأنا سعيد جدا بعمل محمد هناك وقد سبق لى أن كتبت أطالب بالغاء نظام الاستعمار من أساسه ، ولكن الفضل الحقيقي فى استقلال الصومال ، عندما يستقل ، لن يكون للامم المتحدة ولكن « الفضل » سيرجع الى هزيمة المستعمر الايطالى فى الحرب العالمية الاخيرة والى أن المنتصرين ، وهم الامريكان والانجليز والروس والفرنسيون ، لم يستطيعوا أن يتفقوا على من يرث الصومال ، فأنتهوا الى أن يرفعوا أيديهم جميعا عنها • هذه هى الحقيقة المؤلمة التى لا تغض من مجهودات مصر ولا من مجهودات زوج أختك فقد كان من الممكن جدا أن يستقر الاستعمار الايطالى فى الصومال لولا هذه المجهودات المشكورة •

ويقول مؤنس : أنت متشائم ، وعهدى بك التفاؤل •

ويرد طه حسين قائلا : أنا فى الحقيقة متفائل ، ولكنى أريد أن يقوم التفاؤل وخاصة تفاؤل الشعوب على أساس من العقل والاحتياط • المهم كيف عملك الآن فى اليونسكو ؟

ويقول مؤنس : تعرف اننا نشرف على ترجمة التراث الانسانى الى اللغات الحية باسم مجموعة « الروائع » الانسانية ، وفيما يخص التراث العربى فان اللجنة الدولية لترجمة الروائع ، التى سبق أن تقرر أن يكون مركزها بيروت ، ستصدر قريبا كتاب « الاخلاق والسير » لابن حزم • وسيترجم كذلك كتاب الغزالي « أيها الولد » وكتابه « المنقذ من الضلال » كما سترجم « المقدمة » لابن خلدون وفصل المقال لابن رشد وغيرها •

ويسأل طه حسين عن العملية العكسية — عن ترجمة الروائع الاجنبية الى العربية •

ويجيب مؤنس : تتم الآن ترجمة « مقال الطريقة » لديكارت و « مسامرات الأموات » للوسيان ، و « العقد الاجتماعي » لجان جاك روسو ، و « السياسات » لارسطو •• صديق لطفى باشا •

ويقول طه حسين : نعم وصديقي أيضا ، انك تذكر كتاب « نظام الاثنين » لارسطو الذى ترجمته منذ ثلاثين عاما •

ويلاحظ مؤنس أن هذا الكتاب أيضا قد ترجمه راهب لبنانى للعربية ويقول : وأخشى أنه لم يشر الى ترجمتك التى سبقته بها بثلاثين عاما ••

ويقول طه حسين : ان هذا لا يليق ، وان يكن غير مهم ، فلعله لم يعرف اننى ترجمت الكتاب • المهم أن تصدر هذه الترجمات ، وأن تكون بين أيدي قرائنا العرب ، ان الترجمة العلمية الدقيقة وسيلة لتعارف الشعوب وتفاعل الأفكار الانسانية وتلاقى الحضارات •• ولم توجد نهضة انسانية الا وقد اقترنت بها حركة كبرى من حركات الترجمة سواء كان ذلك فى بغداد على عهد الرشيد والمأمون عندما أخذ العرب عن غيرهم ، أو فى أوربا على عهد النهضة «الرينسانس» عندما أخذت أوربا عن العرب • انك تبدو راضيا عن عملك موقفا فيه يا مؤنس فله الحمد ، وان كانت القاهرة تبدو موحشة من غيرك أنت وأختك ، ومن غير أسرتيكما •• ورامتان التى كنا نحلم بها سنوات عديدة ، موحشة بغيركم الآن • ثم يقول بعد فترة سكوت : « فى بعض الأيام ، احس ونحن وحدنا فى رامتان ، بشيء من الوحشة التى يحس بها المرء أحيانا قبيل الغروب » •

وتمر أيام فنرى طه حسين مع ولده وزوجته في مكتبه في
« رامتان » ، ومؤنس يقرأ على والده صحف الصباح :

يقول مؤنس : هذا خبر من روما ، « قرر رئيس الجمهورية
الاطالية ايفاد السنيور مديتشي الى مدينة مقديشيو مندوبا عنه
للاشتراك في احتفالات استقلال الصومال ، وتتضمن مراسم
الاحتفال تسليم مندوب رئيس الجمهورية الايطالية السنيور مديتشي
وثائق الاستقلال لرئيس مجلس الامم المتحدة الاستشاري للصومال
الدكتور محمد حسن الزيات ممثل مصر في المجلس ، الذي يسلمها
لرئيس المنتخب لجمهورية الصومال السيد آدن عبد الله عثمان في
أول ساعة من اليوم الأول من شهر يوليو عام ١٩٦٠ » •

ويقول طه حسين : لقد كتب محمد* الى يخبرني بذلك ، لقد
وفق هو وزميلاه في المجلس الاستشاري للامم المتحدة الى الاتفاق
مع ايطاليا ، ومع مجلس الوصاية الدولي للتعجيل بالاستقلال فهو
سيعلن قبل الموعد الذي حددته الامم المتحدة بستة أشهر •

ويقول مؤنس : المهم الآن هو أن أمينة ستعود هي زوجها
وأولادها الى القاهرة قريبا ، واذن فلن تحسوا بفراغ عندما نترككم
أنا وزوجتي وابنتي للعودة الى عملي في اليونسكو بباريس •

ويقول طه حسين : ان استقلال الصومال ، ان تم ، ستكون له
نتائج بعيدة الأثر في كل افريقيا • ان لبلادنا أن تفخر بعملها في
الصومال لتحقيق استقلاله ، وحضور أمينة ومحمد وأولادها
سيسعدنا بطبيعة الحال ولكنه لن يملأ الفراغ الذي سوف يحدثه
مسفركم •

* * *

(*) كان طه حسين دائما يعتر أن ينادي زوج ابنته أمينة « بمحمد »
ويفخر به دائما •

وينقضى الصيف ويتبعه الخريف. ويقبل شتاء عام ١٩٦١ •

ففرى الدكتور محمد كامل حسين في فيلا رامتان وهو يخرج منها الى الحديقة مع طه نحسين بعد أن قام بفحصه فحصا دقيقا وطه حسين يسير متعبا وكامل حسين يبدو مهموما ، ولكنه متمالك لنفسه ويجلس الصديقان على مقعدين متجاورين في الحديقة •

ويدخل الخادم بصينية عليها ستة أكواب ماء ، فانه يعرف أن الدكتور كامل حسين يحس بالعطش دائما وأنه يطلب الماء باستمرار ويضحك كامل حسين ويفسر ضحكه لضيغه فيضحك معه ، ولكنه يسأل بعد قليل : ماذا وجدت يا كامل ؟ وان كان هذا السؤال لا يعنى أننى سأثق فيما تقول •• أنت ناظر مدرسة المنافقين وقد قال تعالى « اذا جاءك المنافقون •• » •

وهنا تدخل أمينة وأمها ، وأمينة تنقلو ختام الآية :

« والله يعلم أن المنافقين لكاذبون »

ويقول كامل حسين : يا ستي أنت راجعة من الصومال ، شديدة الرضا عن نفسك ، زوجك أعلن بنفسه استقلال الصومال من شرفة الجمعية التشريعية الصومالية في منتصف الليل كما أخبرتنا الصحف ، وأنت عدت لنا بسلامة الله وما زلت فاكرة الآية الكريمة التى يستعملها والدك فى اتهامه لى بمنافقة والدتك •

ونتساءل أمينة : اتهام ؟ وأنت تنكر التهمة يا دكتور ؟

ويضحك كامل حسين ويقول : لا •• لا •• هذا الاتهام فى نفسه شرف ، ثم أن هذه تهمة عمرها الآن أكثر من عشر سنين ونحن نبقيها تهمة معلقة ، لا نثبتها ولا ننفيها •• تعالى نبحت عن زوجك لنشرح له أصل الموضوع ولاحاول أن أقول لك الرد عن سؤالك !

ويدخل كامل حسين وأمينة الى المنزل وينضم اليهما زوجها •

ويقول كامل حسين في جد • لابد من نقل الدكتور الى المستشفى حالا ، العمود الفقري يحتاج الى عملية ضرورية قطعاً والا واجهنا خطر الشلل ، ومن حسن الحظ عندنا الآن أستاذ من أكبر أساتذة هذه العملية في العالم ، جراح أعصاب سويدي اسمه أوليفا كورونا يجري عملياته الآن في مستشفى الطيران ، المستشفى الفرنسى سابقا ، وطبعاً سنجرى هناك كل الفحوص وسيكون معنا كل من يلزم من الأطباء •• مسئوليتكم كبيرة والسرعة لازمة •

وتسأل أمينة : متى ؟

ويرد الدكتور كامل : حالا !

وتقبل عليهم السيدة سوزان وتسأل : ما الحالة يا دكتور ؟
وتترك أمينة والدتها وتخرج من المنزل لتجلس مع والدها في الحديقة •

ويقول طه حسين : كامل اذن يرى أن الحالة خطيرة — هل يرى ضرورة للانتقال الى المستشفى ؟

وترد أمينة قائلة : يظهر أن هناك أستاذاً سويدياً كبيراً اسمه « أوليفا كورونا » موجود الآن في مستشفى الطيران بالعباسية لمدة أيام والدكتور كامل يقترح أن تذهب لاستشارته •

ويرد طه : لا يا ابنتى أبوك لا يرضى بنصف الحقائق (وينادى كامل) !

ويقبل الدكتور كامل ومعه السيدة سوزان ومحمد حسن الزيات •

* * *

وفي اليوم التالى ، فى مستشفى الطيران بالعباسية ترى أمينة وأمها ولىلى العلايلى ومحمد الزيات • خارج غرفة العمليات •

وتقول السيدة سوزان : مر أكثر من نصف ساعة على دخوله
قاعة العمليات •

ويرد محمد قائلاً : هذا منتظر ، الدكتور أوليفا كورونا قال أنها
ستستغرق أكثر من ساعتين •

وتقول السيدة سوزان : لم يرضوا أن أدخل معه •• منعوني
من الدخول معه •

وتقول أمينة : لم يدخل مع أوليفا كورونا إلا الدكتور البنهاوى
والطاقم الذى حضر مع الدكتور أوليفا كورونا من السويد •

وتقول السيدة سوزان : لم يكن حضورى سيضايقهم •• كنت
فقط أريد أن أكون معه •

وفى القاعة الخارجية للمستشفى يتجمع عدد كبير من الاطباء
والاصدقاء والاساتذة والطلبة وهم ينتظرون فى سكون ، يحاولون
اخفاء قلقهم على المريض العزيز •

ويخرج الدكتور البنهاوى مساعد « أوليفا كورونا » فى العملية
ويطمئن كل الموجودين •

يقول الدكتور البنهاوى : الدكتور العميد نقل لغرفة الانعاش ••
وكل شئ سار كما كنا نرجو أن يسير والحمد لله •

وفى الداخل : أمينة ومؤنس مع أمهما وهى متوترة الاعصاب
وابنتها تقول لها :

يا أمى ان أهل شمال أوروبا ، ومنهم السويديون ، لا يعزفون
التلطف فى ذكر الحقائق • كل ما قاله هو أننا يجب أن نعرف أن
بين الاحتمالات •••

وتقاطعها أمها تقول : لقد قال انه من المحتمل ألا يستطيع السير أبدا .

ويقول مؤنس : لماذا لا تتذكرين أيضا انه قال أن العملية نجحت ، وأن المرض قد أوقف تقدمه . . وان من المرجو أن يستعيد أبى قدرته على السير قبل مرور زمن طويل .

وترد السيدة سوزان : لأن ما قاله مخيف . . مخيف . .
وتقول أمينة : الشافى هو الله وما أظن الا أنه سيشمل برحمته رجلا يحبه وهو طه حسين .

* * *

في صالون في فيلا رامتان عام ١٩٦٢ ، الاستاذ عبد الرحمن بدوى(*) مدرس الفلسفة في كلية الآداب بجامعة القاهرة يقدم لطله حسين كتابا عنوانه « الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين » معذرا عن تأخر اعداده وطبعه ويقرأ عليه بصوت عال مقدمة الكتاب :

« الى العلم الشامخ في الأدب المعاصر ،

الى الساحر بفصاحة لسانه ، ونصاعة بيانه ، وعذوبة موسيقى أسلوبه وايقاع كلماته ونبراته ،

الى الدكتور طه حسين ،

يهدى نفر من أصدقائه ومريديه ، العارفين بعظيم فضله وبالفهم أثره في الأدب والفكر بعمامة ، والبعث الروحي العربي بخاصة ، يهدون هذه الدراسات التي تدور حول موضوعات كان له فيها جميعا مكان الصدارة ، ومنزلة الملمم الأكبر ، والفاتح لكثير من أغلاقها ،

(*) من فلاسفة وعلماء دمياط المرموقين .

والمثير لعدد من مشكلاتها والدارس الواعى المبين من نواحيها الدقيقة والجليلة » .

ويقول طه حسين : اننى متطلع الى قراءة هذه البحوث كلها ،
وهى بريئة فيما أرجو من هذه المبالغات التى ألاحظها فى المقدمة .

وتمر الاسابيع ويقبل اليوم الحادى والعشرون من ابريل عام
١٩٦٣ ونرى الدكتور طه حسين وزوجته فى السيارة متجهين الى دار
مجمع اللغة العربية .

ويقول طه حسين : عرفتته وأنا فى سن الثامنة عشرة ، ، هى اذن
صداقة دامت أكثر من نصف قرن .

وترد سوزان : وعرفتته أنا معك منذ حضورنا إلى مصر ، مدة
تجاوزت الأربعين عاما ، وتبدو لى الآن أكثر من ذلك ، ان عمر
الصداقة لا يقاس بمرور السنين .

ويقول الدكتور طه حسين : هو الذى حدثنى لأول مرة عن
أوربا ، هو الذى ذكر لى أسماء لم أكن قد سمعت بها من قبل ،
أسماء فولتير ، وجان جاك روسو ، وديدرو ، ومونتسكيو .

وتقول سوزان : ومع ذلك كان مصريا صميما . . تذكر لهجته ؟
ويرد الدكتور طه : نعم كان يجب أن يحتفظ بلهجة اقليم
الشرقية . .

ويتبارى فى ذلك مع صديقنا الاستاذ مصطفى عبد الرازق
ومعى ، ونحن نتحدث بلهجتنا الصعيدية .

فنقول سوزان : وصل خطاب من أمينة من نيويورك ، يظهر
أن زوجها(*) قد تقرر تعيينه سفيرا فى الهند وسيمرن علينا فى طريقهم
الى نيودلهى .

(*) عندما عين د. محمد حسن الزيات سفيرا فى الهند ونيبال .

ويرد طه قائلًا : من نيويورك الى الهند ؟ سيقفون اذن بعيدين
عنا بعدا عظيما .. سيمرون ، تقولين انهم سيمرون فقط ؟ متى
يسافرون الى الهند وترى متى يعودون ؟ !

* * *

في مارس ١٩٦٥ يزور الدكتور طه حسين ابنته في منزلها بالمعادي
وقد عاد زوجها من الهند حيث نقل الآن وكيلا لوزارة الخارجية فيجد
عند صهره عدداً من سفراء الدول يدور الحديث معهم حول حاجة
الدول المسماة بدول العالم الثالث الى التعاون والتكامل فيما بينها
أولا ، لتتعامل بعد ذلك وتتعاون مع الدول الكبرى .

ويقول الدكتور طه حسين : لابد أولا أن تحقق كل هذه البلاد
لنفسها الحرية الكاملة وأن تحقق لشعوبها العدل الاجتماعي .

ويرد سفير الباكستان قائلًا : الحرية والعدالة ! ان كل المذاهب
السياسية تدعى انها تستهدف ذلك !

ويقول طه حسين : ان كثيرين منا يفكرون في العدل الاجتماعي
ومظاهر المطالبة به والسعى اليه . ينظرون الى الديمقراطية المعتدلة ،
وينظرون الى الاشتراكية الدولية والى الاشتراكية الوطنية وقد
ينظرون الى الشيوعية في كثير من التردد والاستحياء ، ولكنهم
لا ينظرون أو لا يكادون ينظرون الى فكرة المطالبة بالعدل الاجتماعي
كما وجدها المسلمون قبل أن ينتصف القرن الأول للهجرة ، ومع ذلك
فقد كان للمطالبة بتحقيق العدل الاجتماعي في التاريخ الاسلامي أبطال
من حقهم أن يدرسوا . وأظن أن شاعركم محمد اقبال قد ألف كتابا
اسمه « مجلس الشيطان » تحدث فيه بشيء من ذلك فقد حدثني
مضيفنا اليوم الدكتور الزيات عن هذا الكتاب .

ويقول سفير الباكستان : نعم ، الكتاب معروف والشيطان في

هذا الكتاب لا يخاف من كل هذه المذاهب بل أنه يسر لما يفتش عنها من اختلاف وفزع ، ولكنه يخشى الاسلام ويخاف مبادئه ، وبهذه المناسبة كم تحب الباكستان لو استطعتم زيارتها •

ويقول طه حسين : عندما كان صهرى سفيرا في الهند ، نقل الى دعوة من رئيس الجمهورية الهندية لزيارة بلاده ، وكم كنت احب أن أزورها وأزور بلادكم أيضا ، فأنتم شركاء في تاريخنا الاسلامي ، وأنتم شركاء في مستقبلنا أيضا ، ولكن الوصول اليكم يستلزم ركوب الطائرة ، وأنا لا أركب الطائرة • لم أركبها الا مرتين ، مرة لزيارة مدينة الرسول ﷺ ومرة لزيارة المغرب ، وكانت الرحلة الى المغرب من باريس أي عبر البحر الأبيض فحسب •

* * *

* ويقبل صيف عام ١٩٦٧ ، ويغادر طه حسين وزوجته الاسكندرية فترافقهما ابنتهما وحدها الى الميناء لأن زوجها مشغول في وزارة الخارجية بعمل هام • أجواء مصر السياسية ملبدة بالغيوم ، علاقات بعض الدول العربية ببعضها الآخر قد صارت الى درجة مزعجة من السوء ، وحرب الدعايات لا تسهم الاجواء العربية فحسب بل تسهم النفوس العربية كذلك • ان الدعاية التي كان طه حسين يتحدث منذ عشرين عاما في لبنان عن خطرها الكبير ، قد ضاعفت من أهميتها أجهزة الاذاعة القوية الحديثة ، وخاصة الاذاعة المسموعة والمرئية ، وأنها لتصيب أصحابها بأضرار ليست أقل مما تصيب بها الخصوم اذا أصبحت أداة تضليل بدلا من أن تكون أداة للتنوير •

* * *

ويعود طه حسين الى مصر ، بعد كارثة يونيو ١٩٦٧ ، فينصرف الى القراءة في كتب اللغة والأدب ، ويولى لجنة المعجم الكبير في المجمع اهتمامه الشديد « وان كانت الشكوك قد بدأت تساوره في

كفاية الجهد المبذول في تأليف هذا المعجم ، وفي مدى الزمن اللازم
للانتهاء من اعداده بكامل أجزائه ، وهو يواصل اهتمامه في اللجنة
الثقافية لجامعة الدول العربية بتجميع وتصوير كل ما يمكن جمعه
وتصويره من المخطوطات المتفرقة في أنحاء العالم ، وهو لا يتخلف
عن حضور جلسات لجان المجلس الأعلى للثقافة التي يرأسها والتي
أصبحت الآن تعقد غالبا في مسكنه .

* * *

وفي عام ١٩٦٨ يستجيب لطلب إحدى طالبات الجامعة اسمها
الآنسة « وحيدة الدمرداش » ، طلبت ان تتحدث اليه باسم مجلة
القاهرة ، التي كان اتحاد طلبة جامعة القاهرة يصدرها في ذلك الوقت ،
فيلقاها ويرد في رفق وود على أسئلتها ، عن دور القصة التاريخية في
مصر ، وعن مدارس الأدب فيها ، وعن رأيه في الشعر الحديث ، وعن
أدباء منهم الاستاذ يحيى حقي ، فيقول أن كتابه قنديل ام هاشم
رائع جدا ، والاستاذ احسان عبد القدوس فيقول أن كتابه في بيتنا
رجل قد أعجبه ، ثم تختتم وحيدة الدمرداش حديثها بأن سألت
طه حسين عن متاعب حياته فقال : « لقد عانيت كثيرا ، كان أخوتي
يلعبون فلا أستطيع مجاراتهم ، وفي الازهر عانيت ، وفي الجامعة
أيضا قال لي سكرتيها مرة « ربنا ابتلاك بالعمى فما لزوم أن تتعلم
في الجامعة » ، أحداث كثيرة آلتني وحزت في نفسي ، خلافي مع
صدقي باشا وطردي من الجامعة وقطع المعاش ، تقديمي للمحاكمة
مرات ومرات ... وسأله الآنسة وحيدة عن الذين يهاجمونه فقال
في بساطة : « لا أردوا ولا أسأل عما يكتب ضدي شخصا . ان كثيرا
من النقد اللاذع قد وجه الي . بل لقد صدرت كتب كاملة ضدي . .
ولكني لم أهتم بأي كتاب منها » .

* * *

ويطلب سفير أسبانيا في القاهرة مقابلته ، انه يحمل اليه لا درجة واحدة من درجات الدكتوراه الفخرية ، بل درجتين ، واحدة من جامعة مدريد والثانية من جامعة غرناطة .

ويستقبل طه حسين هو وأسرته السفير الكريم في داره «رامتان» ويقوم السفير فيها بالمراسم المطلوبة لتقديم الدرجتين الجامعتين الكبيرتين واحدة بعد أخرى .

لقد زار طه حسين أسبانيا مرتين وأحبها كثيرا ولاحظ أن أصحاب الدراسات العربية في مصر قد أهملوا الأدب العربي الأسباني ، فدعا الى دراسته ، بل انه قد أخذ نفسه بقراءة كل ما يستطيع من كتب الأدب الاندلسي في المطبوعات والمخطوطات التي كانت دار الكتب المصرية تيسر له الاطلاع عليها ، وهو يتمنى أن تبدي كل من أسبانيا والدول العربية مزيدا من الاهتمام بدراسة الحضارة الاندلسية ، وهي الحضارة التي بقيت آثارها زمنًا طويلا بعد أن انتهت الحروب والمعارك ، وانمحت آثار النصر والهزيمة .

* * *

وفي خريف سنة ١٩٦٩ تضطر أمينة الى السفر مع زوجها وأسرتها الى نيويورك مقر الامم المتحدة ، التي عين زوجها مندوبا دائما لمصر لديها ، وطه حسين شديد الأسف لهذا السفر ، فان ولده مؤنس متغيب مع زوجته وابنته في عمله في المنظمة الدولية للتعليم والعلوم والثقافة في باريس ، وهذه ابنته تترك مصر هي وزوجها الى مقر عمله الجديد في الامم المتحدة في نيويورك .

ويقول طه حسين لابنته : « تعلمين أنني سأبلغ الثمانين في آخر هذا العام وأنت بعيدة عني » ثم يدرك أنها قد تأملت فيقول لها

« لا عليك لقد افترقنا من قبل والتقيننا بعد الفراق في أحسن الأحوال • ألم أكتب عنك منذ سنوات هذه السطور :

« أملت فحيت ، ثم قامت فودعت ، فلما همت أن تتصرف ألفت في يدي شيئاً صغيراً ، وتولت وهي تقول : اجعل هذا وفاء لك من شر من تحسن اليه • ونظرت فاذا هو مصحف رقيق •

لك العهد يا ابنتي ألا يفارقني مصحفك هذا الرقيق حيا وميتا ، ولك العهد ألا أتخذه وقاء من أحد ، ولا رقاء من شيء ، وانما أحمله لأن حملة محبوب الى » •

ويخرج طه حسين من أحد جيوبه مصحف « أمينة » الصغير ، يريه لها ثم يبارك لها في سفرها ، ويقول لها : أنه ينتظر لها اقامة سعيدة ، وعودة سريعة ، ويعرف أن زوجها سيخدم مصر والعرب ، وسيبذل في ذلك أقصى ما يستطيع من الجهد ، وهو شيء عظيم «(*)» •

وفي أول عام ١٩٧٢ يسعده أن يعلم أن ابنته وأسرتها في طريقهم الى القاهرة ، فقد عين زوجها وزيرا للدولة للاعلام في وزارة الدكتور عزيز صدقي^(***) وطه حسين ينتظر لقاء ابنته وأولادها وقد فارقوا مرحلة الصبا ، فان « حسن » قد تزوج « بهية الترجمان » وحصل على بكالوريوس الهندسة من جامعة كولومبيا ، وهو يعمل للحصول على درجة الماجستير من جامعة « كارينجي ميلون » ،

(*) يقصد صهره د. محمد حسن الزيات وكان شديد التباهي به واثقا في همته وقدراته .

(**) تعيين د. محمد حسن الزيات وزيرا للاعلام ثم وزيرا للخارجية المصرية .

وسوسن قد حصلت على الليسانس من كلية سمث وهي تدرس لدرجة الماجستير من جامعة برنستون و « منى » طالبة مخطوبة لضابط في سلاح الإشارة هو أبو المعاطى عون وستواصل دراستها ، عند عودتها في الجامعة الأمريكية في القاهرة •

* * *

وتعدل الوزارة ويسند الى صهره منصب وزير الخارجية ، وطه حسين يقول له « لن تكون لنا وزارة خارجية جديدة بهذا الاسم ما بقى جزء من أرضنا يعاني الاحتلال » •

وتستقيل وزارة الدكتور عزيز صدقى ويؤلف رئيس الجمهورية وزارة جديدة برياسته ، يعين فيها الدكتور الزيات وزيرا لخارجيته ، وذلك للاعداد السياسى للمعركة العسكرية التى ستخوضها مصر فى السادس من أكتوبر، عام ١٩٧٣ •

* * *

الباب الثالث



الزيّات ... دبلوماسيّا

عن مراحل العمل في الجامعة .. قال د. الزيات :

في عام ١٩٣٩ تخرجت في كلية الآداب بجامعة القاهرة وفي نفس عام التخرج عملت معيدا بها ثم انتقلت مدرسا بجامعة الاسكندرية في بداية انشائها .. وذلك في الاربعينات وبالتحديد عام ١٩٤٢ ثم استمر عملي بالجامعة على المنوال المتبع مع أي استاذ بها .

العمل الدبلوماسي

فكيف كان انتقالك بعد ذلك الى العمل الدبلوماسي ؟

— كانت الخطوة الأولى هي الانتقال من الجامعة لكي أعمل ملحقا ثقافيا أول بسفارة مصر في واشنطن .. والحوادث يقدرها الله لأنه ونحن في واشنطن بدأت مصر مفاوضات مع الاميركان عن جلاء الانجليز عن منطقة قناة السويس كان ذلك في أوائل الخمسينات .. تقريبا في نهاية سنة ١٩٥٣ .

فبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ احتاج السفير الدكتور أحمد حسين أن يجري بعض الاجتماعات لهذا الغرض مع جون فوستر دالاس وزير الخارجية الاميركية في ذلك الوقت وكان الرجل يحتاج الى من يساعده فوق اختياره على شخصي .. وكنت أحد مساعديه بالسفارة في ذلك الوقت .. وبالفعل قمت بمعاونته حتى فوجيء بانتهاء مدة انتدابي من الجامعة للعمل بالخارجية وكان من المحتم عودتي لتسلم عملي مرة أخرى بالجامعة في مصر .. ولكن المباحثات كانت ما زالت مستمرة .

عبد الناصر .. يرد

فاتصل السفير د. أحمد حسن من الولايات المتحدة بالجامعة في مصر لكي يمد انتدابي ولكنه فشل في ذلك فاتصل بالخارجية فقالوا له أن الأمر بيد مجلس قيادة الثورة فاتصل بالمجلس فرد عليه جمال عبد الناصر الذي لم يكن معروفا له وقتئذ ولم أكن أعرفه أنا أيضا .. المهم أن السفير د. أحمد حسين قال له : أنا محتاج لبقاء د. محمد حسن الزيات لمدة شهرين معي هنا في أميركا وأرجو أن توافق الجامعة على ذلك حتى تنتهي المباحثات الدائرة الآن . فوافق له عبد الناصر على طلبه وكلمني .. وطلب مني البقاء لمدة شهرين في واشنطن وانه سينهى الأمر مع الجامعة وكانت هذه هي المرة الأولى التي استمع فيها لصوت عبد الناصر مباشرة .. وبالطبع كان لابد من التنفيذ نظرا لأنه كان أحد رجال مجلس قيادة الثورة المسئول عن البلد .

ولكن بقائي في أميركا لم يتوقف عند حدود الشهرين ولكنه استمر بعد ذلك لمدة ٢٢ سنة بالتمام والكمال .. لقد كان اتصال عبد الناصر بي هو البداية لرحلة طويلة في العمل الدبلوماسي حتى أصبحت وزيرا للخارجية .

وقد علمت بعد ذلك أن جمال عبد الناصر كان هو الرجل الحقيقي الذي يمسك بزمام الثورة والسلطة ولذلك كانت تعليماته واضحة للسفير د. أحمد حسين بأن يكون الاتصال به هو شخصيا وكانت هذه التعليمات معروفة لمجلس قيادة الثورة في مصر .

ومن هنا كان يتم اتصالي من الولايات المتحدة بعد ذلك بجمال عبد الناصر .. لقد كان نائبا لرئيس مجلس الوزراء ولكنه كان هو المسئول الأول عن كل شيء .

حكم القدر

كيف تطورت العلاقة بينك وبين جمال عبد الناصر بعد ذلك ؟

— دعنى أقول لك أولا اننى بعد ما التقيت بجمال عبد الناصر وتأملته عرفت أننا كنا زملاء دراسة بمدرسة حلوان الثانوية ولم أكن أعرفه أو يعرفنى على الاطلاق أو كانت بيننا أدنى صلة فى المدرسة •

وبعد ما بقيت لمدة شهرين عام ١٩٥٤ فى الولايات المتحدة وحققنا بعض النجاح فى مباحثاتنا مع الجانب الأمريكى من أجل جلاء الانجليز عن مصر •• استمر وجودى بأمريكا حتى عام ١٩٧٥ •• وهذا لم يكن فى تقديرى أو حسابى •• ولكنها كانت رغبة جمال عبد الناصر • فانخرطت فى العمل الدبلوماسى والسياسى رغم أننى منذ صغرى كنت أحب أن أكون كاتبا وأراد لى والدى أن أكون مهندسا زراعيا ولكن الأقدار وحدها هى التى تتحكم فى مصائر البشر ، لأنه قد حدث بعد ذلك ما كان سببا فى تغيير مجرى حياتى كلها مثل ما سأشرح بالتفصيل فيما بعد •

ولكننى فى تلك الفترة عملت مستشارا فى السفارة المصرية بواشنطن ثم نقلت الى باريس فوجدت هناك تصارعا فى القوى فى ذلك الوقت بين الملحق العسكرى وبين السفير فتركت باريس حيث لم أقبل أن أتواجد فى مكان تصارع والأن التمثيل الخارجى لا يجوز أن يكون فيه مثل هذا التصارع على الاطلاق •

فى طهران

بعد ذلك عينت فى طهران قائما بأعمال السفارة المصرية وأثناء وجودى فيها وقع العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ وكانت فترة عملنا فى طهران فى ذلك الوقت تعتبر فترة رائعة فى الواقع

لأنه لم يكن بيننا وبين القاهرة في تلك الفترة أى اتصال سواء بالحقية الدبلوماسية أو البرقية التلغرافية أو المحادثات الهاتفية أو الرسائل البريدية •• كل شئ كان مقطوعا ••

قلت له : كيف يكون ذلك رائعا ؟

— قال : سأشرح لك لماذا كانت فترة رائعة •• رائعة في تصرف الانسان المصرى الوطنى الغيور — حيث كان علينا أن نتحدث باسم مصر كما يجب أن نتكلم باسمها دون أن نعرف وجهة نظر القاهرة ••

وكان تصرفنا ينطلق من شعورنا بالمسئولية الوطنية •• وبعد ذلك وجدنا أن تصرفنا كان مطابقا تماما لوجهة نظر السياسة المصرية وذلك بعد أن انتهت الحرب •

حلف بغداد

في تلك الفترة كان هناك حلف بغداد والدعوة لاجتماع رؤساء حلف بغداد في طهران : تركيا والعراق وايران وانجلترا والباكستان ، وكان رؤساء الحلف قد وصلوا الى طهران ودعانى رئيس جمهورية الباكستان لمقابلته مع السفراء العرب وكان لى معه موقف حاسم وأيدنى فيه السفير السعودى وهو موقف لا أنساه. مهما مرت الشهور والأعوام •

فقد بدأ رئيس الباكستان حديثه معنا بأن قال : ان مصر قد سقطت •• وهذا شئ مؤكد الآن انجلترا وفرنسا واسرائيل هجموا ونحن الآن نريد أن ننقذ ما نستطيع انقاذه ؟

كان هذا مقدمة حديث « اسكندر مرزا » رئيس جمهورية الباكستان وأخذ يقول بعد ذلك أن أول شئ يجب أن نرعاه الآن هو الدكتور الزيات وأعضاء السفارة المصرية •

وأضاف يقول : وأنا أحضرت لهم قرارا من شاه ايران باللجوء
السياسى الى ايران •

وأن الشاه وعد بحمايتهم بحيث لا يفقدوا شيئا من كرامتهم ••
وقدم رئيس الباكستان هذا الحديث والمعنى الى السفراء العرب
لكى يتقدموا له بالشكر وبالطبع أشكره أنا وزملائي فى السفارة
أيضا •

وكنت وقت ذلك قائما بالأعمال كما ذكرت وبدرجة مستشار
وهنا لم أجعل رئيس جمهورية باكستان يستمر فى حديثه واعتبرت
هذا الحديث منه بهذا الشكل اساءة لمصر ولنا •• عكس ما تصور
هو تماما ••

وقلت له : أنت فقط يا سيادة الرئيس يمكن أن تفرض حمايتك
على شعب الباكستان واترك أهل مصر يحمون أنفسهم لأنهم قادرون
على ذلك من منطلق ايمانهم بالله وبالوطن •• وهم لا يريدون حماية
« حلف بغداد » ولا حماية « اسكندر مرزا » •

واذا كان هناك من حماية يجب أن تقوم بها فهى أن تحمى
الاسلام والمسلمين فى بلادك وأن تبدأ فوراً بقطع علاقاتك وعلاقات
حلف بغداد بانجلترا المشتركة فى العدوان الثلاثى على مصر والمسلمين
•• وان هذا هو الأمر الذى يليق برئيس دولة ولا يليق بك يا سيادة
الرئيس أن تتحدث عن أفراد •• وان كنت أنا على رأسهم كقائم
بالأعمال فى طهران •

موقف نبيل

وبناء على هذا الموقف الحاسم أعذر الرجل وقال : أنا فقط أخشى عليكم وخائف عليكم وأتذكر أن سفير السعودية في ذلك الوقت وقف معى بكل النبل والشهامة مع أنه لم يكن يعترف الانجليزية ولكنه تكلم بعبارات حماسية جدا وطلب من أحد الزملاء له ترجمتها لكي يؤيد كل حرف قلته ولكي يعلن لرئيس جمهورية الباكستان أن الذى قصد به المجاملة قد انتهى الى الحرج والى أن يكون كلاما غير مقبول لا من مصر ولا من السعودية ، مع أن علاقتنا بالملكة العربية السعودية في تلك الفترة كانت على غير ما يرام .

وماذا كان موقف شاه ايران في ذلك الوقت ؟

— بعد إنتهاء العدوان الثلاثى أبلغت شاه ايران بتطورات الموقف وبما وصلت اليه الحرب من نتائج لصالح مصر .. فطلب منى أن أعقد مؤتمرا صحفيا .. واذكر فيه أن الشاه متعاطف مع مصر وما الى ذلك ..

وبالفعل تم عقد المؤتمر الصحفى وذكرت فيه أن مصر لا تنتظر من أى مسئول من أى ملك من ملوك دول العالم الثالث أو من رؤساء هذه الدول أو ن رؤساء الدول الاسلامية أو من رؤساء وملوك الدول العربية الا أن يدينوا عدوان انجلترا وفرنسا واسرائيل على دولة من دول العالم الثالث .. دولة عربية ينتمى شعبها للشعوب الاسلامية .

هدية رمزية

وهذا التصريح من جانبى كان له تأثيره العميق على الشعب الايرانى رغم انه لم يكن هو ما يقصده الشاه ..

فالشعب الايرانى اعتقد أن حكومته تؤيد موقف مصر وتصرف
على هذا الاساس وحضر الى مقر السفارة وفد ايرانى وقدم لى هدية
رمزية عبارة عن سجادة فخمة من شغل اصفهان وقد تم ذلك فى جنح
الليل لأن الحكومة كانت ترفض ذلك .. وهذه السجادة موجودة حاليا
فى متحف بورسعيد .. منسوج عليها : « من شعب ايران الى مدينة
بور سعيد الباسلة » ♦

هذه احدى المواقف التى تؤكد اننى كنت أعمل بتوجيهات من
داخلى وبما يمليه على شعورى الوطنى فى كل الظروف ..
أثناء وجودى فى ايران علمت أن كمال الدين صلاح مندوبنا فى
الصومال قتل وتلقيت برقية بأن أتوجه الى الصومال ..

* * *

الصومال

بعد مقتل مندوب مصر في الصومال كمال الدين صلاح ..
تلقيت برقية يطلب منى التوجه الى الصومال لتمثيل مصر أو تمثيل
اللجنة الاستشارية للصومال في مجلس الوصاية للأمم المتحدة
وكان هذا أول اتصال بينى وبين الأمم المتحدة ممثلاً للمجلس
الاستشارى للصومال الذى كان مكوناً من دول افريقيا وآسيا
واميركا اللاتينية .

واستقلال الصومال كان له أثره في الفكر السياسى في كل
الأوساط العالمية أولاً لأنه كان من المستبعد أن يحدث ..
وثانياً لأنه عندما أعلن استقلال الصومال سنة ١٩٦٠ لم يكن فيها
خريج جامعى واحد ولم يكن لها مبعوثون سوى طالب واحد كان
يدرس الطب في القاهرة وكان ينتظر أن يتخرج بعد الاستقلال ..
وثالثاً الآن استقلال الصومال على هذه الصورة مهد لاستقلال الدول
الافريقية بعد سنة ١٩٦٠ ، فقد مهد في الواقع لاستقلال الكونجسو
وغیرها من الدول الافريقية التى سارعت للانضمام الى هيئة الأمم
المتحدة .. وبالتالي تغير شكل المنظمة الدولية نفسها بانضمام هذه
الدول المستقلة حديثاً اليها مما كان له أثره في الحياة الدولية كلها ..

كيف اذن حدث ذلك وكيف تم استقلال الصومال ؟

— الصومال كان جزءاً من المستعمرات الايطالية التى انتهت
بهزيمة ايطاليا ودول المحور وانتصار دول امريكا وانجلترا وفرنسا
وروسيا والصين وهى الدول الخمس صاحبة العضوية الدائمة الآن
في مجلس الأمن ..

هذه الدول عندما انتصرت كان أمامها أن تتعامل مع العالم

من منطلق أن المنتصر له غنائم الحرب .. كما كان متبعاً قبل
انشاء الأمم المتحدة .

أو أن تلغى مسألة غنائم الحرب هذه وتصر على ألا يكون
للحروب أى عائد على أطرافها لكى تلغى دوافع الحرب ذاتها ..

وبالفعل اتخذت هذه الدول الموقف الأخير وقررت انشاء الأمم
المتحدة التى نص ميثاقها على عدم امكن الحصول على أراضى الغير
نتيجة الغزو أو نتيجة للحرب أو بحق الانقصار فى الحرب ، وبهذا
حرمت على نفسها أن تحل محل ايطاليا فى اسبيريا أو فى الصومال
أو فى ارتيريا وهى المستعمرات التى كانت تابعة لايطاليا المهزومة
فى الحرب .

وبناء على ذلك قررت الأمم المتحدة أن تستقل الصومال بعد
مرور ١٠ سنوات تقضيها تحت الوصاية الدولية تمارسها ايطاليا
والأمم المتحدة عن طريق مجلس استشارى .. وحددت موعد
الاستقلال فى ٣١ ديسمبر ١٩٦٠ .

وفى هذه المدة كان على مجلس الوصاية أو المجلس الاستشارى
أن ينظر فى ميزانية الصومال وأن يرى اتجاهاتها ويمارس جميع
السلطات ..

فى هذه الأثناء قتل كمال الدين صلاح وذهبت أتا الى الصومال
عام ١٩٥٧ .. وكانت فترة لممارسة أشياء بعيدة جداً عن العمل
الدبلوماسى العادى لأنه كان لابد أن ننظر فى أسعار الموز فى ايطاليا
أو فى الصومال وفى امكانيات عمل مشروع كذا وكذا .. وكذا .

حملة التشوير

وأهم شىء بالنسبة لمصر أننا رأينا الصومال ضائعة بين اللغة
العربية على الساحل وبين المتحدثين باللغة الصومالية فقط وهى لغة

ضيقة الانتشار كانت تتحدث بها بعض القبائل الصومالية وكانت لا تصلهم بالعالم الخارجى كما لا تصلهم بالتراث الاسلامى القديم فاهتمت مصر بتأكيد وضع اللغة العربية فى الصومال كلغة أساسية ، وكذلك العناية بإنشاء سلسلة كبيرة من المدارس ومن معاهد التعليم .. هذه المدارس يجب ألا تجذب الى أذهاننا مبانى فاخرة أو تجهيزات فاخرة ، ولكنها كانت فى أقصى الجهات النائية عبارة عن بيت من الطوب اللبن وربما كانت كوخا صغيرا ويعيش فيه مدرس وزوجته أو مدرس وحده أو يعيش فيها شيخ من الأزهر أو طبيب مصرى وهذه كانت حملة التنوير التى اجتاحت الصومال وغيرت خريطته الثقافية لأنها وقفت وقفة الوفاء للغة والدين والاخوة ولم تتخل مصر فيها لحظة واحدة عن تأدية واجبها .. ونتيجة لهذا تخرجت وبشكل لائق الأجيال الأولى من المتعلمين الصوماليين الذين فتحت لهم مصر أيضا أبواب مدارسها وجامعاتها ، فجعلت من الحركة الثقافية فى الصومال حركة نشطة ولها تأثيرها الإيجابى بالفعل ..

ويجب أن نذكر هنا أن المدرس المصرى كان يتقاضى فى ذلك الوقت حوالى ٧٠ جنيها مصريا وهو يعمل هناك .. ولا أنسى ما كان يتم من تعاون بين المدرس المصرى وعضو البعثة الأزهرية وعضو البعثة الطبية وعضو البعثة الزراعية ..

لقد كان الصومال لا يزرع حسب أساليب الزراعة المتبعة لدينا فى مصر فنقلنا لهم خبرتنا فأخضرت تلك الاراضى المنبسطة وفى ثلاث سنوات انتهينا من تحقيق الاستقلال للصومال قبل الموعد المحدد بستة شهور .. وفى ليلة أول يوليو سنة ١٩٦٠ الساعة ١٢ عند منتصف الليل لا أنسى موقفى فى الجمعية التشريعية الصومالية وعلى يمينى مندوب أو ممثل رئيس الجمهورية الإيطالية الشخصى وعلى يسارى أول رئيس منتخب لرئاسة جمهورية الصومال وهو « آذن عبد الله عثمان » فى هذه اللحظة بالضبط سلمنى المندوب الايطالى وثائق

استقلال الصومال باعتبارى رئيس المجلس الاستشارى للأمم المتحدة
فى الصومال وقمت بتسليمها آذن عبد الله عثمان ، والدموع تنهمر
من عيني وأنا أعلن بالانجليزية — لغة المجلس — استقلال الصومال •

ثم شرحت ذلك باللغة العربية — اللغة الرسمية فى الصومال —
ثم دوى صوت الجماهير المحتشدة فى الميدان فى هتاف واحد يقول
: « الله أكبر •• الله أكبر •• الله أكبر » واستقل الصومال ••

موقف مؤثر

هل انتهت مهمتكم بعد ذلك فى الصومال •• وأين كان موقع
العمل التالى ؟

— فعلا •• تركت الصومال بعد ذلك ولكن يحضرنى الآن موقف
مؤثر. جدا فعندما جاء آذن عبد الله عثمان •• وهو رئيس للجمهورية
الى القاهرة وكنت أقف فى طابور المستقبلين احتضننى وأصر على أن
أخرج من الطابور وأسير معه حيث اعتبرنى « صومالى » لأنه عندما
تسلم منى وثيقة الاستقلال سنة ١٩٦٠ أعلن منحى الجنسية الصومالية
الشرفية واعتبرنى المواطن الصومالى رقم واحد •

وأنا بالفعل اعتبر الصومال فى موقع الاعزاز من قلبى وشعورى
رغم انها ليست دولة من الدول الكبرى وليست لديها امكانيات ••
لكنها من الدول التى اعتر بها جدا وأشعر بالأسى الشديد للاحداث
التي تقع بها حاليا •

مندوب مصر

بعد الصومال حضرت الى مصر وتوليت رئاسة الادارة العربية
وأصبحت مندوب مصر الدائم فى الجامعة العربية •• وبقيت بها
الى أن وقعت كوارث الكونغو والانفصال وطلب السكرتير العام
للأمم المتحدة « داج همرشولد » فى ذلك الوقت، من مصر ممثلا لها فى

اللجنة الاستشارية التي شكلها برئاسته ، ووقع الاختيار على وذهبت الى نيويورك لكي أقوم بهذه المهمة المؤقتة لصالح الكونغو .. وأنا هنا أضغط على كلمة (مؤقتة) لأنه كما أن بقائى فى واشنطن كان مؤقتا الى أن تنتهى محادثات السفير المصرى أحمد حسين وجون فوستر دالاس لكن استمر وجودى بها من شهرين الى أكثر من عشرين عاما ، فان ذلك حدث أيضا فى مسألة عضوية اللجنة الاستشارية للكونغو مع « همرشولد » فى الأمم المتحدة حيث أنه عندما عين عمر لطفى وكان مندوبنا الدائم فى سكرتارية الأمم المتحدة طلب منى أن أبقى هناك لأمثل مصر وبقيت بالفعل الى أن عين محمود رياض فطلب أن أبقى مندوبا مناوبا معه .. حتى جاء قرار بتعيينى سفيرا فى الهند ونيبال .. فأقام محمود رياض حفل تكريم فى مناسبة وداعى ، ووقف يستقبل الحضور بنفسه وكنت أقف على يساره وهو يقدمهم لى واحدا واحدا .. وفى أثناء الانشغال بهذا الحفل وصل تلغراف ، لمحمود رياض وبعدما اطلع عليه تقدم الى طالبا منى أن أقف أنا مكانه ويقف هو مكانى أى نتبادل الاماكن ولم أفهم لماذا قام بهذا التصرف .. ولما نظرت اليه مستفهما قال لى : ان التلغراف الذى وصله توا يبلغه بأنه نقل الى مصر وزيرا للخارجية .. ثم قال لى أنت الآن تقيم هذا الحفل تكريما لى بمناسبة المنصب الجديد .. وتغير الأمر .. حيث كان عليه أن يطير الى مصر فى الصباح الأداء اليمين ..

وكان أيامها فيه مجلس أمن خاص بمناسبة أحداث اليمن وكانت مصر متزعمة حركة الاستقلال فى العالم الثالث ، فى هذه الفترة ، وفى تحمل الاعباء العربية وهذه مسائل يجب أن يذكرها المصريون لأنفسهم ، فقد تحملت مصر أعباء كثيرة فى العالم العربى .. المهم انه كان لابد أن يكون هناك من يمثل مصر فى مجلس الأمن بدلا من محمود رياض وكان قراره أن أكون أنا بديلا عنه .. أى الذى يمثل مصر فى مجلس الأمن .. وطار محمود رياض الى القاهرة فى الصباح وتوليت أنا

رئاسة وفد مصر في الامم المتحدة الى أن عين السفير المرحوم الصديق
محمد عوض القونى ..

أليس غريبا أن يعينك محمود رياض بدلا منه دون الرجوع الى
القاهرة ؟

— كانت التعليمات في الحقيقة تطلع باسم رئيس الجمهورية
وكلها تقترح بواسطة وزير الخارجية لكن كيف يعين رئيس وفد مصر
في الامم المتحدة .. ؟

مثلا فيما يخص امريكا — رئيس وفد امريكا في الامم المتحدة —
عضو في مجلس الوزراء الامريكى — كل رئيس وفد لامريكا في الامم
المتحدة هو عضو في مجلس الوزراء بحكم منصبه .. انما في مصر
رئيس وفد مصر في الامم المتحدة هو أحد سفراء مصر وتعيينه خاضع
لقواعد تعيين السفراء وهو أن يقترحهم وزير الخارجية .. وينظر
فيهم رئيس الدولة ويوافق عليهم أو لا يوافق .. ويصح أن يقترح
اسما آخر .. وكان قيامى بهذا العمل بشكل مؤقت كما ذكرت حتى
جاء السفير القونى ، وعلى كل حال — بقيت مدة هناك ثم ذهبت
الى الهند حسب القرار الاصلى وعشت في الهند أقصر مدة عاشها
سفير لمصر .. وهى ٩ شهور فقط والسبب هو أن محمود رياض
وهو وزير الخارجية احتاج أن يعيد تنظيم الوزارة فطلب الى أن
أعود بعد ٩ شهور أو سنة فعدت وكيلا لوزارة الخارجية ..

وأثناء تولى هذا المنصب كانت عندى مسئوليات العالم الافريقى
والعالم العربى وشئون فلسطين .. وازددت معرفة بالعالم
العربى وايماننا باننا في العصر الذى يستوجب فيه علينا التواجد
والتكاتف وتكوين مجموعة عربية قوية يمكنها مواجهة التكتلات الدولية
سواء كانت الاتحاد السوفييتى في مجموعة وارسو أو الولايات

المتحدة في مجموعة الاطلنطى .. لقد كان ايمانى بضرورة وجود العالم العربى ضمن اطار ما للوحدة هو في تصورى المنقذ له من التفرق ومن الانتحار السياسى وسط عالم يتجه نحو التكتل أو أى شكل من أشكال التوحد كما يحدث مثلا في دول ما يسمى بالاتحاد الشمالى في أوروبا وهى دول السويد والنرويج وفنلندا حيث انه اذا أجرم أحد في فنلندا يمكن أن يحبس في النرويج واذا استحق شخص معاشا في السويد يمكن أن يعطى له ذلك المعاش في أى دولة من دول الاتحاد ..

ولا أدري هل ممكن أن يعود العالم العربى الى الطريق الوحيد الذى اعتقد أنه هو الطريق الرئيسى للوصول به الى عصر القوة في عالمنا الجديد هذا أم لا ؟

كارثة ١٩٦٧

بعد فترة من عملى بوكالة وزارة الخارجية حدثت كارثة ١٩٦٧ التى هزتنى هذا عنيفا ولا أذكر. أننى تأثرت في حياتى تأثرا أعما ولا أشد من تأثرى لما حدث في عام ١٩٦٧ .. والسبب في ذلك اننى اكتشفت أن القرار السياسى كان يتخذ دون الاستناد الى أسس قوية تسنده .. وهذه أول مرة أوضح فيها أن الارتباط الأمريكى الوحيد بالمنطقة كان يتمثل في حرية المرور بمضايق تيران .. وبإغلاق هذه المضائق كان لابد أن تقوم امريكا على الفور بمساعدة اسرائيل في عملية عسكرية للسيطرة على الموقف .. وأنا أقول ان هذه الخطوة من جانبنا كان لا يجب اتخاذها أساسا .. يعنى يمكن للانسان أن يرى حائطا أمامه وأن يقرر هدمه ولكن لا يجوز له أن يسير أعمى ويصطدم دون أن يعرف أن الحائط موجود .

لقد كانت مسئوليتى بالخارجية في هذه الفترة بعيدة عن الصلات الامريكية المصرية لأن هذا كان اختصاص وكيل وزارة آخر في

الخارجية ولكنى رأيت أنه من الضروري أن أوصل هذه الفكرة للمسؤولين في مصر .. لكنى وجدت أن اتخاذ القرارات يتم بطريقة سريعة ، فقد تم تقديم طلب بانسحاب قوات الطوارئ الدولية واغلاق مضيق تيران و اعلان انها منطقة حرب .. على كل حال حدثت التطورات بسرعة ، وبعد نشوب الحرب كانت المعلومات التى تصلنا في الخارجية تؤكد تقدمنا في الحرب .. وكانت البيانات تداع على الناس اعتباطا لدرجة اننا كنا نذيع عدد الطائرات التى أسقطناها فلما نحسبها نجدها تفوق عدد طائرات الجيش الاسرائيلى كلها .. لقد تصور أصحاب القرار السياسى أن خداع الشعب يمكن أن يكون نوعا من أنواع التعبئة المعنوية ولكن بعد الحرب قال لى نجار من « دمياط » بأنه كان في عمق سيناء دون تدريب أو أى شىء من هذا القبيل .. وأول ما سمع رصاص المأساة جرى من سيناء لدمياط وهكذا تكشفت لى حقائق كثيرة من خلال حرب ١٩٦٧ ..

والذى أثر في اننى كنت في مركز من مراكز المسؤولية في ذلك الوقت واكتشفت انه كانت تحجب عنى الحقائق .. لذلك تركت مكتبى بعد ما وجدت انه في أوج ما يصورونه لنا من الانتصارات ، جاءت التعليمات بأن نبليغ « عوض القونى » في واشنطن بأننا نقبل قرار ايقاف النار وكان معنى ذلك أنهيار مصر ..

لذلك تركت مكتبى بالوزارة وطلبت من سكرتيرى أن يعود الى عمله وأن يطلب من أعضاء المكتب كلهم أن يعودوا الى أعمالهم الاصلية لأنهم جميعا كانوا يساعدوننى في تلك المسؤولية الخاصة بالحرب ..

بعد ذلك أغلقت مكتبى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وخرجت متوجها الى منزلى .. ووصلت الى المعادى فوجدت ابنى

« حسن » (حاصل على الدكتوراه حاليا في الهندسة من امريكا)
وجدته واقفا في العمل الوطنى — ناديته لكى يركب معى فركب حتى
أدخلت السيارة الجراج .. ووقفت لم أتمالك نفسى .. فانخرطت
في البكاء والتزم ولدى الصمت .. حيث كان لم يرنى أبكى وبهذا
التأثر طوال حياته ..

لقد كان يمر بخاطرى هذا الشريط الطويل من الذكريات .. وكنت
أفهم أن يهزم الانسان مثلا — لكن بعد أن يبذل جهدا .. ويعمل الى
عليه .. كما يقولون .. لكن أن يهزم نفسه بنفسه .. فهذا شئ صعب ،
وهذا ما فعلناه بانفسنا فى عام ١٩٦٧ .. ولذلك خرجت من وزارة
الخارجية .. تركتها ولم أذهب اليها ثانية ..

بدون كذب

وآين كانت المحطة التالية بعد منصب وكيل وزارة الخارجية ؟

— عندما أرادت الدولة معالجة الأمور طلبوا منى أن أتولى
رئاسة الهيئة العامة للاستعلامات كنائب وزير .. فقلت خدمة وطنى
ضرورية ولكن أرجو ألا يطلب منى أن أكذب أبدا .. وكنت بعد
تولى المنصب الجديد متحدثا رسميا أيضا باسم مصر وكان هذا
أدعى لتمسكى بالصدق وحق الامتناع عن الكذب بأى شكل من
الأشكال .. وكان لهذا مردوده على العالم أجمع فلم يكن يدور
بخلدهم أن يقف مصرى ليقول حقائق من خلال أجهزة الدولة ولا يردد
الأكاذيب ..

وذات مرة سألتى مندوب وكالة صحفية قائلا : هل يأتى وقت
تعترفون فيه بوجود اسرائيل ؟

قلت له : ايه وجود اسرائيل اللي مش معترفين بيه ما احنا معترفين بوجود اسرائيل ، وأضفت أقول له : أنا مش كنت باقولكم من دقيقتين لازم اسرائيل تمشى من مصر .. ومن الأرض العربية المحتلة .. ؟

قال : نعم .

قلت : طيب حيمشوا ازاي اذا ما كانوش موجودين .. يعنى لما بقولك انهم أعتدوا علينا حيبقوا اعتدوا علينا ازاي ، اذا لم يكونوا موجودين .. فالاعتراف قائم والاعتراف بوجود اسرائيل قائم .. ثم أضفت أقول له : انما الاعتراف بشرعية وجود اسرائيل شىء آخر .. هناك فرق ، وهذا الكلام رغم أنه يبدو بسيطا أحدث ذعرا كبيرا جدا في تلك اللحظة .

هل كان ذلك يعنى اعتراف المتحدث الرسمى المصرى بوجود اسرائيل ؟

— أرجو أن تكون الفكرة واضحة في هذه الاثناء وأنا سألت الصحفيين : هل كنا نحارب شياطين أم كنا نحارب بشرا فالذى اعتدى علينا وعلى الدول العربية واعتدى على الفلسطينيين وفلسطين بشر وليبوا شياطين يبقى فيه وجود ناس اسمهم اسرائيل لكن شرعية وجودهم شىء يختلف وشىء آخر تماما .. وعندما قلت هذا الكلام وأضفت : اسرائيل أشبه بالابن غير الشرعى اللى جاء نتيجة لعمل منكرومستنكر فأما وجوده فشىء لا شك فيه .. وضحت الحقيقة أمام الجميع وفهموا المعنى وعمقه ومعزاه .. قلت أيضا : سعيه على الأرض وفسقه فيها وعمله فيها شىء آخر .. انما أصلا وجوده مستنكر لأنه جاء بطريقة غير شرعية .. لكن وجوده لا ينكر .. نحن نستنكر طريقة وجوده .. لكن لا ننكر وجوده ..

على كل حال أنا قلت ذلك بحق طلبى وشرطى الأول فى قبول
المنصب وهو أن أكون صادقاً وألا أردد الكلام الذى يتم ترديده بغير
عقل • • فأنا متذكر هذا الكلام ومتذكر تأثيره • •

جريدة « لوند » الفرنسية نشرت هذا الكلام بالخط العريض
فى الصفحة الأولى •

الطفل غير الشرعى مستكر طريقة وصوله للحياة لكن لا ينكر
وجوده ولا يقتل (مندوب مصر) • •

* وهل كان ذلك وراء استبعادك من هيئة الاستعلامات ؟

— أنا لم استبعد من هيئة الاستعلامات فقد بقيت أعمل بها
حتى عام ١٩٦٩ ولكن بعد أن انتهت فترة وجودى فى هيئة الاستعلامات
وكمحدث رسمى باسم مصر فى عام ١٩٦٩ عينت كمندوب دائم
لمصر فى الامم المتحدة • • صحيح اننى لم أكن راغباً فى المنصب
الجديد وكنت سعيداً بعملى فى مصر لأننى كنت حاسس بوجود رد
فعل عالمى طيب لوجودنا وشكلنا ، وتفهم لوضعنا وكان متهاً لى
ذلك • • لكن على كل حال الذهاب الى الامم المتحدة يحتاج الى شرح
ووصف لأن الانسان عجيب ، الانسان بشر ، لما بيتحرق أصابعه
بيزعق ويقول أنا عمرى لن أقترب من النار تانى • • لما صدره بيتعب
يلقى سيجارته ويقول والله عمرى ما اقترب من السجائر • • لما
بيحارب وأولاده يموتون واقتصاده يختل وبيوته تتكسر يروج
مزعق ويقول والله لن أحارب • • وبعدين يقولك : انه لا يمكن الاستيلاء
على الأرض بالقوة • • لا يمكن كذا • • ولا يمكن كذا لأنى لا أريد
اطلاقاً أن أحارب • •

لو قرأنا ميثاق الامم المتحدة بلغته العربية التى ترجمها المرحوم
الاستاذ محمود عزمى أو فى لغته الفرنسية والانجليزية والاسبانية

والروسية — وهى قطع رائعة من الأدب تدل على أن الانسان لن يرتكب الاثم مرة أخرى وانه قد تاب وأناب ويطلب من الله أن يبارك توبته وانابته اليه .. لكن فترة فترة يحصل الانفصال والانفصام بين الواقع والمأمول ، بين ما نطمح اليه وبين ما نعيش فيه ..

حكاية

واريد أن تغفر لى الاسباب فى شرح هذه النقطة .. الأننى أريد أن أحكى لك حكاية :

قلت له تفضل ..

— قال لى : وأنا صغير فى دمياط كتبت قصة أسميتها « على قدمين » وقلت فيها: عن الانسان .. ربنا خلق ملائكة بأجنحة خلق حيوانات بأربعة أقدام وحينما خلق الانسان خلقه بقدمين على الأرض من الحيوانية ويدين فى الهواء من الملائكية — واستغفر الله من ذلك « كنت صغيرا جدا » وأنا أقول ذلك الكلام ، وتحديث به مع الدكتور طه حسين واستغربت أن أقول ذلك ورغم أن هذه القصة نشرت على كل حال ، الواقع يقول أن الانسان مقسم بين ما هو ملائكى وبين ما هو يسير مع غرائزه الحيوانية .. بين ما هو استجابة لطلباته الروحية والسامية كإنسان وبين متطلباته المادية الدنيوية ..

الأحلام الضائعة

من هذا المنطلق أستطيع القول أن الأمم المتحدة قائمة على منع العنف ووضع حد له ويقوم القانون بين الناس مقام الحروب والعنف والحاصل أن الناس الذين قرروا هذا الكلام هم الخمس دول المنتصرة التى عرفت أن انتصارها العسكرى كلفها سنوات من عمر أولادها وأرواحهم واقتصادها ونتائج عمل أجيال كثيرة كانت

تطير في ساعات قليلة اثناء الحرب .. فالامم المتحدة في الواقع بعد أن حاول الانسان الذي قاسى ويلات الحرب المعالية الثانية أن يضع أساسا لحياة مثالية .. نسي كل ذلك .. وأصبح ميثاق الامم المتحدة كنص مكتوب شيء .. والأفعال شيء آخر ربما مناقض .. حيث أن الدول التي أقرت هذا الميثاق نفسها أصبحت تعاني من حالة حرب باردة مستمرة ، وضاعت القوة المنفذة للامم المتحدة وأصبحت صورة من عصابة الامم وصورة من أحلام الانسان الضائعة .. ولذلك فإن العمل في الامم المتحدة ينتهى بالانسان الى مجرد العمل في عالم الاعلان بين الدول انها تعطينا الفرصة لكي نتحدث الى العالم كله عن طريق الامم المتحدة وتأكيد العلاقات الدبلوماسية الثنائية عن طريق الاتصال بمندوبى الدول الاخرى اتصالا دائما ومستمر .. ويصبح مندوب أى دولة سفيرا لدى العالم كله عن طريق مختصر بأن يتحدث مع مندوب أى دولة أخرى في أى لحظة ..

وحتى اذا كانت هناك دول ليست لها علاقات مع مصر مثلا فانه يمكن أن يتم الاتصال مع مندوبها بالامم المتحدة عن طريق مندوبنا ..
* هل يقتصر دور الامم المتحدة من وجهة نظرك على هذا الدور ؟

— لا .. طبعا هناك مؤسسات تابعة للامم المتحدة .. مثل اليونسكو والثقافة ناجحة جدا وأيضا لجنة العمل الدولية ، والزراعة ، والصحة العالمية .. هذه المؤسسات يمشى فيها العمل ويحدث فيها التعاون ومندوبنا الدائم في الامم المتحدة مسئول عن هذه الأنشطة أيضا وبالتالي يمكن أن يكون له عمل ناجح ..

أما في ميدان السياسة العملية أى منع اعتداء دولة ، أو حصد أو إيقاف حرب أو تطبيق حكم العدل وحكم القانون فيحتاج الى اتفاق الدول العظمى ولا يكون لاحداها أى اعتراض .

وبالتالى فان الدول الكبرى التى قررت سنة ١٩٤٥ أن تعيش
فى وئام وبالقانون تراجعت عن قرارها عندما ضاقت آلام الحرب
وبعدت ، وأصبحت هذه الدول نفسها معطلة للعمل السياسى والاساسى
للأمم المتحدة وللمجلس الامن ..

على كل حال لقد قمت بعملى سنة ١٩٦٩ كمندوب دائم لمصر
وكانت فترة استطعنا فيها النجاح أنا وكافة المندوبين العرب فى الأمم
المتحدة .. وفى هذه الفترة استطعت بعون الله أن أقدم خدمات هامة
للعالم العربى فقد كانت هناك قضايا عمان وقضايا اليمن وقضايا التحرير
فى المنطقة وفى نفس الوقت كانت هناك أعمال غير سياسية فى الأمم
المتحدة بالنسبة لى .. كت وكيل اللجنة الخاصة بمرور عشرين سنة
على انشاء الأمم المتحدة ورئيسا للجنة الافريقية فعدلت ميثاق الأمم
المتحدة وانتهى التى زيادة أعضاء مجلس الامن من ١١ الى ١٥ مع
أن هذا القرار كانت تعارضه الولايات المتحدة وروسيا انما استطاعت
الأمم المتحدة ودول العالم الثالث أن تتعاون لى تحدث بعض
الانتصارات فى عملها داخل الأمم المتحدة .

وقد كان لمجموعة الافروآسيوية والمجموعة الافريقية والمجموعة
العربية دور اساسى فى هذا الصدد ..

الباب الرابع



الزيّات وزيراً للخارجية
ولتهريب حرب أكتوبر ١٩٧٣

موجز :

- * سافرت الى ايران للمشاركة في حل النزاع بين الكويت والعراق أوائل ١٩٧٣ •
- * وأنا في دمشق استقبلت الوزارة فطلب منى الجانب السوري الاستمرار في الزيارة •
- * الرئيس السادات يختارنى وزيرا للخارجية وأنا في سوريا ••
- * حسن البكر يقول لى في بغداد ستحاربون وحدكم فجيئش العراق فرق كئسافه •
- * السادات يعرض السفر الى الكويت لحل نزاع الحدود مع العراق ••
- * جولة عربية للتشاور بخصوص التمهيد لحرب أكتوبر •
- * « فرنجية » يؤكد ضرورة التحرك العسكرى لحل أزمة الشرق الأوسط •
- * الكل خاسر في الحروب والامم المتحدة لا تفعل شيئا •
- * وزير الخارجية السعودى يؤكد مساندة الملك لموقف مصر •
- * الرئيس السورى يتوقع الفشل للوحدة بين مصر وليبيا •

* جولد مائير تملئ شروطها للصلح مع العرب من خلال

« فالدهايم » •

* فالدهايم يعرض على السادات خريطة بتصور الأمم

المتحدة للحدود بين مصر وإسرائيل •

* السادات يتحدى مائير في فكرة السفير يارنج فتسحب

كلامها عن السلام •

* * *

وزير الخارجية

في أوائل ١٩٧٣ ، سافرت الى ايران لحضور اجتماع بخصوص التوفيق بين الكويت والعراق حيث أن الخلاف بين الدولتين كان قد وصل في هذه الأثناء الى حد يهدد بقيام حرب وبعد انتهاء الاجتماعات الخاصة بهذا الأمر والتي وفقنا الله فيها إتجهت الى دمشق لتلبية دعوة رسمية بزيارة القطر السوري الشقيق للتباحث حول عدة أمور .. ولكنني حينما وصلت الى دمشق أذيع نبأ استقالة حكومة الدكتور عزيز صدقي .. فسألت ان كانت الزيارة ما زالت قائمة فأخبرني الجانب السوري بأنها قائمة ..

وبالفعل قمت بإجراء الاتصالات التي كنت موجودا من أجلها .. ولكنني فوجئت أثناء ذلك بأن الرئيس السادات قام هو نفسه بتشكيل الوزارة الجديدة واختارني وزيرا للخارجية المصرية فيها .. وكانت هذه الوزارة هي الوزارة التي مهدت لحزب أكتوبر ١٩٧٣ وبالتالي كنت وزيرا للإعلام ثم الخارجية في وزارة الدكتور عزيز صدقي ، ثم بعد ذلك في وزارة المواجهة برئاسة السادات .. كوزير للخارجية أيضا .

التمهيد للحرب

كيف اذن تم التمهيد لحرب أكتوبر ١٩٧٣ ؟

— في يوم الاثنين السادس والعشرين من مارس ١٩٧٣ وصلت الى دمشق وكان في استقبالني وزير خارجية سوريا السيد عبد الحليم خدام والسفير ممدوح جبه رئيس مكتب العلاقات المصري في دمشق فمصر لم تكن لها في ذلك الوقت سفارة في سوريا لقيام اتحاد الجمهوريات العربية بين مصر وسوريا وليبيا .

ومساء يوم وصولنا عقد اجتماع في وزارة الخارجية السورية حضره معي السفير ممدوح جبه وأعضاء الوفد المصاحبين لي في رحلتى كما حضره وزير الخارجية السورية السيد عبد الحليم خدام واثنان من مساعديه هما السفير محمد زكريا اسماعيل والسفير عدنان عمران .. وفي هذا الاجتماع تحدثت عن زيارتنا للدول الآسيوية الخمس : الصين والهند وباكستان وبنجلاديش وايران .. وأعربت عن اعتقادي أن تلك الدول تدرك الآن أن صبر شعبينا في مصر وفي سوريا على الاحتلال الاسرائيلي قد نفذ وتنتفهم ضرورة عملنا على اجلاء المحتل بكل وسيلة تتاح انا كما أنها تؤمن بضرورة حصول الشعب الفلسطيني على حقوقه الوطنية المشروعة التي لا ينبغي أن ينكرها عليه أحد ..

وفيما يخص بنجلاديش ذكرت أن الانفصال قائم واننى قد تحدثت الى رئيس الجمهورية الباكستانية فوجدته يفهم ذلك وهو يأسف للاخطاء التي ارتكبها الجانبان وانتهت الى هذا الانفصال .. وذكرت اننى أعتقد لذلك أن الوقت قد حان لتقرير الاعتراف بجمهورية بنجلاديش المستقلة .

وتحدث الوزير عبد الحليم خدام عن الحالة في منطقة الخليج العربى وعن زيارته للعراق والكويت ومسعاها لانهاء الصراع القائم بينهما .

وتحدث كذلك عن الوضع في منطقتنا فقال : انه لم يطرأ عليه جديد منذ غادرت أنا مصر سوى استقالة الوزارة المصرية وأعلان الرئيس السادات انه سيؤلف بنفسه وزارة مواجهة شاملة وقال أن الحكومة السورية ترى أن لهذا القرار دلالة هامة وخطيرة .. وأن الرئيس الأسد دائم الاتصال بالرئيس السادات في الوقت

الحاضر ومن المنتظر ألا يتأخر إعلان تشكيل الوزارة الجديدة عن اليوم أو الغد •

وتلقى الوزير خدام أثناء الاجتماع واحدة من برقيات وكالة الأنباء الفرنسية يذكر فيها مراسل الوكالة في القاهرة أن الرئيس السادات سوف يحتفظ في وزارته الجديدة بأربعة من أعضاء وزارة الدكتور عزيز صدقي هم وزراء الحربية والخارجية والداخلية والاعلام وأطلعنى عليها •

وقد زرت — في صباح اليوم التالي — رئيس مجلس وزراء سوريا السيد الايوبى قبل أن أذهب بصحبة الوزير عبد الحليم خدام لزيارة الرئيس حافظ الأسد •

وزارة حرب

وفي أثناء المقابلة قال لى الرئيس الأسد أن الوزارة الجديدة في مصر هي وزارة حزب وأنه يرجو أن تفهم هذا المعنى اسرائيل والدول التى تساندها •• وذكرت للرئيس السورى اننى فى زيارتى للدول الآسيوية الخمس قلت — بناء على الاتفاق مع رئيس الجمهورية — ان استمرار الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية قد أصبح أمرا لا يطاق ولا بد من انهاءه بأى سبيل ••

وقلت اننى أعتقد أن المسئولين فى تلك البلدان الخمسة يتوقعون ، وينتفهمون أن يؤدى استمرار احتلال اسرائيل للاراضى العربية واستمرار مقاومتها للتوصل الى أى تسوية عادلة مرضية الى قيام الحرب •

وطلب الرئيس الأسد أن أحدثه عن مقابلتى للرئيس بوتو ، رئيس الباكستان ، وللشيخ مجيب الرحمن رئيس وزراء بنجلاديش فحدثته عن المقابلتين بالتفصيل وانتهيت الى الاعراب عن اعتقادى بأن الاعتراف

باستقلال بنجلاديش سيساعد في الحقيقة كلا منهما على الاعتراف
بالأمر الواقع .

وأبدت أسفى الآن الدول العربية لم تتفاهم لتتخذ موقفا
واحدا من هذه المشكلة بل اختلفت مواقفها المعلنة وتجاوزت أحيانا
في انحيازها الى أحد الطرفين الحد المعقول أو المقبول .

وقال الرئيس الأسد : « يظهر انك ستغادرنا سريعا لتقوم
بزيارة للعراق ، وأجبت أن الرئيس السادات طلب أن تتم زيارتي
لكم قبل قيامي بزيارة بغداد ، ولهذا جئت من طهران الى دمشق على
أن أعود بعد ذلك الى بغداد . . . وتمنى الرئيس الأسد لى النجاح
وقال انه يهمله سرعة ابلاغه بنتائج زيارتي لبغداد .

في بغداد

وصلت بغداد صباح الأربعاء ٢٨ مارس ١٩٧٣ وكان سفير
العراق في القاهرة السيد عزيز النجم قد أعلن في اليوم نفسه اننى
أزور العراق تلبية لدعوة من وزير الخارجية السيد مرتضى سعيد
عبد الباقي عضو مجلس قيادة الثورة العراقية .

ولدى نزولى في مطار بغداد همس سفيرنا - في اذنى -
ان بعض العراقيين يأخذون على زيارتي الأخيرة الى ايران ويعطلون
ذلك بأنها تمت لتوسيط الشاه لدى الاميركان لتصفية القضية . وقال
كذلك أن بعض العراقيين مستاء من تصريحى في طهران بأن هجوم
العراق على الكويت أمر مستفكر .

وقد قلت للسفير : أما زيارتي لايران فاننى سأحدث المسئولين
بما تم فيها بالتفصيل وهذا هو واحد من أسباب زيارتي للعراق ،
أما استنكارى لقيام حرب بين بلدين عربيين فهو قائم وأرجو أن
يساركنى فيه أهل البلدين .

وعندما زرت في صباح اليوم التالي قبر الجندي المجهول
لوضع اكليل من الزهور عليه دعوت الله ألا يسفك جندي عربي
أبدا دم جندي عربي آخر ، معلوم الهوية أو مجهولها •

وفي اجتماعاتي وزملائي مع وزير الخارجية العراقي وزملائه
تحدثت من جديد عن الدول الاسيوية التي زرتها وعن مشكلة
بنجلاديش والرأى الذى كونته بشأنها وعن النزاع بين الجمهورية
العراقية وجارتها الكويت والأمل الكبير فى تسويته بما يرضيهما معا
بتعاونهما للوصول الى الحل المرضى لهما •• وعن الدور الكبير الذى
نريد أن تلعبه الحكومة العراقية لقيام التعاون الضرورى فى ظروفنا
الحالية ••

وتمنيت أن أرحب قريبا بوزير الخارجية العراقي فى القاهرة
كما ذكرت اننا نتطلع الى التعاون معه قبل وأثناء انعقاد مؤتمر
عدم الانحياز فى مدينة الجزائر فى سبتمبر المقبل •

استقبال الرئيس

وفى صباح الخميس ٢٩ مارس ١٩٧٣ استقبلنى رئيس الجمهورية
العراقية حينئذ الرئيس أحمد حسن البكر ، بحضور وزير خارجيته
السيد مرتضى سعيد عبد الباقي وحضور سفيرنا عبد المنعم النجار •

وقد رحب بى الرئيس بود صادق وقال أن مرتضى (وزير الخارجية)
قد أبلغه بأحاديثنا وقال انه شاكر لاهتمامنا ولاءتمام الاخوة العرب
بمشكلة الحدود مع الكويت وأن ياسر عرفات قد وصل اليوم الى
بغداد ليضيف جهوده السلمية الى جهود غيره من المسئولين العرب
الذين اهتموا بهذه المشكلة اهتماما مشكورا والتي لا يشك انها ستحل
حلا مرضيا عما قريب •

تحاربون وحسبكم

وقدّمت الى البكر رسالة الرئيس السادات ففُض غلافها وأُخذ في قراءة ما بها ، وطال زمن نظره فيها ، فقدرت انه يعيد قراءتها ربما أكثر من مرة •

ثم طوى الرسالة بعناية وانتقل الى مكتبه فأودعها أحد أدراجهِ وعاد الى مجلسه وعلى وجهه علامات اهتمام شديد وقال لى : لقد نقل لى مرتضى ما ذكرته في اجتماعاتكم من انكم قد يئستم من الوصول الى تسوية للصراع مع اسرائيل ينتهى بمقتضاها احتلال الاراضى العربية وتتم في نطاق الامم المتحدة على أساس مبادئ ميثاقها وقراراتها ••

قلت : قاربنا اليأس ••

قال : ونقل لى ما قلته له من انكم لن تقبلوا الاستسلام معاذ الله ••

ثم قال الرئيس البكر : تحاربون اذن ؟ تحاربون اسرائيل ومن هم مع اسرائيل ؟ قريبا ؟ هذا العام ؟

قلت للرئيس البكر : لا أعرف حقيقة متى نضطر الى التحرك العسكرى ولا كيف يتم هذا التحرك اذا اضطررتنا الظروف اليه ولكنى أعتقد أن هذا التحرك قد أصبح ضروريا •

ونقلت اليه مع ذلك ما رواه لى شاه ايران من حديث « كوسيجين » وتفسير وزير الخارجية الايرانى له وتعليق الشاه عليه ولكنى أضفت : « اننى مكلف بابلاغكم اننا اذا شعرنا باليأس المطلق من التوصل الى التسوية العادلة والشاملة والمقبولة •• لن نستطيع الصبر على الوضع الحالى ولن نرضى الاستسلام لارادة اسرائيل •

سأل الرئيس البكر : وهل تضمنت رسائل الرئيس السادات الى رؤساء الصين والهند هذا المعنى ؟

وأجبت أنه من الطبيعي أن تكون رسائل الرئيس السادات الى زملائه الرؤساء العرب أوضح وأصرح .

قال : تحاربون اذن ..

ستحاربون وحدكم ..

لن يحارب معكم أحد ..

قد تحارب معكم سوريا .. ولكننا نحن لن نستطيع أن نغطي ظهر القوات السورية كما ينبغي .. اسمع : ليس لدى العراق الآن جيش قادر على القتال .

قل للرئيس السادات ذلك ..

وقل له : اننى عندما وصلت الى هذا الكرسي « يقصد كرسي الرئاسة » كان جيش العراق اذا قورن بجيوش العصر الالكتروني فرقة كشافة .

وحالة الجيش الآن أحسن بكثير .. ولكن جيش اسرائيل اليوم يتسلح بأرقى وأحدث الاسلحة الامريكية ، واذا قامت الحرب فسوف تنهال عليه أسلحة أخرى ومساعدات أكبر وستستقبل اسرائيل متطوعين من اليهود تتحول جنسيتهم بمجرد وصولهم اليها الى جنسية اسرائيلية بموجب أحكام قانون العودة الاسرائيلي .

ونحن نقدر أن الحرب مع اسرائيل حتمية ولكنى اصور ذلك بالصدق حسب واقعنا الآن . انقل الصورة الى الرئيس السادات .. انقل اليه هذه الرسالة الشفوية منى وانقل اليه اهتمامى وتخوفى عليكم وعلينا .

الى الكويت

وماذا فعلت سيادتكم بعد ذلك في بغداد ؟

— لم أفعل شيئاً •• احتفظت بهذه الرسالة الشفهية بداخلي •• وغادرت العراق الى الكويت حيث استقبلني أميرها الشيخ صباح السالم الصباح يوم السبت ٣١ مارس ١٩٧٣ بحضور وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد الجابر وسفير مصر في الكويت •

وذكرت لسموه اننى آت من العراق وأن مصر تضع نفسها تحت تصرف الدولتين الشقيقتين للمعاونة في التوصل الى حل مرضى للخلاف القائم وأن الرئيس السادات مستعد للحضور بنفسه الى المنطقة ان رأى الفريقان أن في حضوره ما يعين على سرعة التوصل الى التسوية المرضية •

وقال الأمير أن النزاع القائم له تاريخ طويل •• وقال وزير الخارجية لى : انك كنت تمثل مصر في مجلس الجامعة العربية عندما تقدمت الكويت بطلب الانضمام الى الجامعة وتذكر موقف العراق من هذا الطلب •• فقلت : لقد تطور الموقف الى ما هو أحسن والنزاع القائم اليوم هو على مكان الحدود أما في ذلك الوقت فقد كان العراق يرى انه لا توجد حدود على الاطلاق •

وقال أمير الكويت : اننا نشكر مصر ورئيسها الذى نعرف مواقفه جيدا وأعتقد أن الخلاف قد أوشك أن يسوى فنحن نحريصون على ألا يقوم الخلاف بين الاخوة العرب في وقت نواجه فيه جميعا عدوا قويا نحتاج الى مواجهته متضامنين •

مجرد شائعات

وبذلك انتقل الحديث الى مشكلة الشرق الأوسط وشرحت الموقف لسمو الأمير وشرحته بعد ذلك لولى العهد عندما لقيته •

ولقد طلب منى ولى العهد أن يؤكد للمسؤولين في مصر انه لا صحة اطلاقا للشائعات التي يتناقلها بعض المعارضين عن وصول قوات عربية الى الكويت .. وقال أن الكويت تعمل لتضييق شقة الخلاف وانهاائه لا لتوسيعه واشعاله .. تأكد أنه لا يوجد في الكويت جندي واحد غير كويتي .

وفي مطار الكويت صرح الشيخ صباح الأحمد وزير الخارجية للصحفيين بأنه متفائل بالتوصل الى حل سريع للخلاف العراقي — الكويتي ..

الى لبنان

وغادرنا مطار الكويت الى بيروت وفيها وجدت سفيرنا في لبنان أحمد لطفى متولى ينتظرني في المطار مع مدير المراسم في وزارة الخارجية اللبنانية الاستاذ « عباس جمعة » الذى أخبرنى أن وزير الخارجية السيد خليل أبو حمز سيمر علينا بالفندق مساء اليوم .

وأن رئيس الجمهورية اللبنانية « سليمان فرنجية » سيستقبلنا غدا (ظهر الاثنين) ويستقبلنا بعده رئيس الوزراء صائب سلام ، قبل أن نطير في أول الليل عائدين الى القاهرة .

استمع الرئيس فرنجية وأنا أحدثه عن رحلتى باهتمام كما استمع لى وأنا أحدثه عن الحالة في الشرق الأوسط ..

فقال : ان لبنان قد أصبح يعاني من اثار تلك الحالة مغانة شديدة وقال أن العرب يكيّد بعضهم لبعض أكثر مما يكيّدون لغيرهم ولعلمهم ينفقون في ذلك من الجهد أكثر مما ينفقون في مقاومة الاسرائيليين الذين استراحوا تماما وأطمأنوا الى أن العرب لن يستطيعوا زحزحة جندي واحد من جنودهم مترا واحدا الى الوراء .

وقد أبلغت الرئيس اننا لم نعد نطبق بقاء هذا الوضع وبأن
صبرنا قد أوشك على النفاذ .

بلا محصول سنة

وقال لى الرئيس فرنجية أيضا :

انه فى شبابه رأى جماعة ضخمة من نساء بلدة « زغرنا » تسير
فى مظاهرة تهتف : « بلا محصول سنة » وانه لم يفهم الهتاف
لأول وهلة .. اعتقد أنهم كن يتحدثون عن محصول الأرض ..
ولكنهم كن يعلن استعدادهن للتضحية بمواليد عام من الشبابة
للدفاع عن شرف البلد ومحو عار الهزيمة .. وكان بالتالى يرى
أنه لابد من التحرك العسكرى لأزمة الشرق الأوسط .

وكان لابد أن أنتظر بالفندق ساعتين قبل اقلاع الطائرة الى
القاهرة وقد إستأذن مندوب جريدة الحياة البيروتية الاستاذ
« الياس بدوى » فى أن يشغل بعض هذا الوقت بإجراء حديث
صحفى معى لجريدته يتضمن ملخصا لنتائج هذه الرحلة الطويلة ..

الخوف

وقال لى : لقد اتممت زيارة عشر بلدان يسكنها الجزء الأكبر
من سكان المعمورة ، فهل هناك ظاهرة تتكرر فى كل تلك البلاد ؟ قلت :
ظاهرة الخوف .. رأيت بنجلاديش تخاف الباكستان خوفا حقيقيا
ورأيت الباكستان تخاف الهند خوفا حقيقيا ورأيت الهند تخاف الصين
خوفا حقيقيا ورأيت الصين تخاف الاتحاد السوفييتى ولم أزر الاتحاد
السوفييتى هذه المرة ولكن ألا تخاف الدولتان العظميان احدهما
الأخرى ؟ لست أقول .. ولست أدرى — هل كل هذه الدول على
حق فى مخاوفها أم ترى أن هذه المخاوف ليس لها أساس ؟ ليس
هذا مهما .. المهم أن الخوف موجود وهو الذى يحرك سياسة هذه

الدول ، ويحركها أحيانا بقوة لا يستطيع العقل أن يسيطر عليها
وبهذه الحركة تتصادم الشعوب وتشتعل الحروب ويتعطل سير موكب
الحضارة •

سأل : والعلاج ؟

قلت : العلاج معروف لكن الانسان يخدع نفسه لأنه في كل
مرة يفشل نتيجة لتجدد الأطماع وسيطرة الغرور ، وآخر تجربة
جربها العالم كانت تجربة الامم المتحدة اتفقت الدول المنتصرة في
الحرب العالمية الأخيرة على انشاء الامم المتحدة عندما رأت أهوال
الحرب وما ألحقته بالمدينة من دمار ، وأدركت أن الحروب ليس
فيها منتصر بل الكل خاسر •• وعند ذلك أعلنت باسم « أهل الأرض »
ميثاقا للمنظمة العالمية أساسه ابطال حق الغزو « كيلا تكون للحروب
ثمار تغري الغزاة » وكان المفروض أن يعرض على هذه المنظمة
كل خلاف أو نزاع فتتقضى فيه قضاءها الذى تقبله كل أطراف النزاع
والذى تستطيع الامم المتحدة أن تنفذه بالارغام ، ولكن السفين
مرت وأصبحت الحرب وأهوالها ذكرى باهتة وتيقظت أطماع الأقوياء
وأصبح ميثاق الامم المتحدة وثيقة تسجل آمال المثاليين الذين لا يلقي
اليهم في العادة زمام الحكم في البلاد •

قال مندوب الحياة اذن لا يوجد أمل في أن تنفذ الامم المتحدة
قراراتها الخاصة بالشرق الأوسط ؟

وماذا اذا لم تنفذ هذه القرارات ؟

قلت : ان قدرة اسرائيل على التحدى ليست ذاتية ، وقد
ترى الدول الكبرى ذلك مفكنا فاذا لم يحدث ذلك للأسف كان علينا
أن نختار بين الاستسلام للعدو وبين الكفاح بكل سبيل •

قال : ورحلتكم الى تلك البلدان العشر ؟ هل كانت لها صلة بهذا الموقف ؟

— قلت : فى مثل هذه المواقف تكون الحكومات مسئولة لا أمام شعوبها فحسب بل أمام العالم كله ولهذا فقد قام عدد من المسئولين المصريين بتوضيح الصورة لكل بلاد العالم الصديقة .. ورحلتى الى هذه البلدان العشر هى جزء من هذا المجهود المصرى .

الى القاهرة

ووصلت الى القاهرة مساء الاثنين وفى يوم الاربعاء الرابع من شهر ابريل عام ١٩٧٣ أقسمت — للمرة الثالثة — اليمين الدستورية فيما كانت المرة الأولى عندما توليت منصب وزير الدولة للإعلام فى وزارة الدكتور عزيز صدقى والمرة الثانية عندما توليت منصب وزير الخارجية فى الوزارة ذاتها .. وهذه هى المرة الثالثة أقسم فيها اليمين فى وزارة المواجهة الشاملة .

بعد ذلك توجهت الى مكتبى فوجدت مسائل قد تراكمت فى انتظار عودتى انشغلت بها ستة أيام .. وفى يوم العاشر من ابريل عام ١٩٧٣ حين دق جرس الهاتف وكان رئيس الجمهورية على الطرف الآخر يطلب منى الحضور للمشاركة فى جلسات مجلس الأمن الذى رأى ضرورة دعوته للنظر فى عدوان اسرائيل على لبنان وقتلها للزعماء الفلسطينيين الثلاثة فى مساكنهم فى شارع فردان .

وهكذا أغلقت ملف رحلتى الآسيوية بهذا الاجتماع .. وعدت لاتصل هاتفيا ببعثتنا الدائمة فى نيويورك لإبلاغها اننى سأصل اليها فى الغد ، الخميس الثانى عشر من ابريل ١٩٧٣ فى طائرة شركة الخطوط العالمية التى تطير من القاهرة مباشرة الى نيويورك ..

برج العرب

وفي صفحة جديدة من صفحات ذكرياته عن العمل السياسى فى مصر يواصل د. الزيات قائلا :

قبل أسابيع قليلة من حرب ١٩٧٣ كنت فى امريكا ..

وحيثما عدت من نيويورك اتصلت بالسيد الرئيس فوجدته خارج القاهرة حيث كان يقيم فى استراحة « برج العرب » فى الساحل الشمالى من الصحراء الغربية .

وعند وصولى الى الاستراحة صباح الخميس ٢ أغسطس ١٩٧٣ كان الرئيس مجتمعا بثلاثة من معاونيه هم السيد محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس مجلس الوزراء الذى كان يقوم بمهام وزير الخارجية بالنيابة أثناء غيابى عن مصر والسيد ممدوح سالم وزير الداخلية والسيد محمد حافظ اسماعيل مستشار الرئيس لشئون الأمن القومى .

وكان الرئيس السادات قد ترك تعليمات بانضمامى اليهم فور وصولى من امريكا .

اسمح لى سيادتكم أن اتساءل عن ماهية هذا الاجتماع ؟

— لم يكن هذا الاجتماع لأجل توضيح الموقف الدولى حول احتلال اسرائيل للأراضى العربية .. ولكن الرئيس قال فى البداية : لقد ذهبنا الى مجلس الأمن وفى تقديرنا، أن أغلبية أعضائه ستقف الى جانبنا ولكن وفدنا استطاع اقناع دول العالم الممثلة فى المجلس بأن تقف كلها معنا .. وهكذا أعلن العالم ايمانه بضرورة وضع حد للحالة التى لا تطاق والتى يفرضها على منطقتنا الاحتلال الاسرائيلى الحالى لفلسطين كلها ولاجزاء من أراضى الدول العربية .

والعالم يدرك اليوم أن الأداة الدولية التي كان يجب أن تضع حدا لهذه الحالة المستنكرة قد عطلها تعنت حكام اسرائيل وغرورهم وانحياز الحكم في واشنطن بالكامل اليهم » •

وأضاف السادات : « العالم كله يعرف الآن أن عبء وضع حد لهذه الحالة التي لا تطاق قد أصبح ملقى على عواتقنا نحن في العالم العربى وعلينا أن نبدأ بترتيب أمورنا داخل هذا العالم » •

اسمح لى أن أسأل اذن عن موضوع الاجتماع الأسمى ؟

— الموضوع الذى كانوا قد اجتمعوا من أجله هو موضوع الاستفتاء الذى كان مقررا اجراؤه فى أول ايلول (سبتمبر) فى كل من مصر وليبيا حول الوحدة المقترحة اقامتها بين البلدين •• وأنا لم أحضر مناقشة هذا الموضوع حتى نهايته •• فقط حضرت هذا الاجتماع وبعد ذلك شغلت خلال المدة الباقية من شهر أغسطس بمباحثات أجريتها فى القاهرة مع وزير الدولة السعودى المرحوم الأخ « عمر السقاف » وأجريتها فى دمشق مع وزير الخارجية (آنذاك) الأخ عبد الحليم خدام ورئيس الجمهورية حافظ الأسد ثم استقبلت وزير خارجية اليمن الجنوبية ثم وزير خارجية تنزانيا ثم فاروق القدومى (أبو اللطف) من أقطاب منظمة التحرير الفلسطينية ••

تبديد المخاوف

وقلت لعمر السقاف أن من الحيوى أن تفهم اميركا وأن تقتنع بأن العرب متضامنون جميعا حول الموقف من الأراضي العربية المحتلة وأنهم مع الشعب الفلسطينى وأنهم يد واحدة فى مسألة اجلاء قوات الاحتلال الاسرائيلية الى حيث كانت قبل قيام حزب ١٩٦٧ •

ولابد من تبديد ما يعتقد بعض الاميركيين من أن الأنظمة العربية المسماة « بالمعتدلة » تخشى من مصر وغيرها من الدول المسماة « بالتقدمية » وهي لذلك لا تريد أن يزداد نفوذها في المنطقة ولا تحب لها أن تنتصر على اسرائيل لأن هذا الانتصار من شأنه زيادة هذا النفوذ ..

وقلت أن هذه خرافة تضر بالجميع ولابد أن يتضح بعدها عن الحقيقة ..

ثم قلت له : لقد قدرنا في مصر موقف المملكة العربية السعودية في مجلس الأمن .. وبعد حوادث ابريل في بيروت كان على البلاد العربية كلها أن تقرر .. هل تقاوم جميعا أم تخضع جميعا لما يحلم به حكام اسرائيل من هيمنة على مقدرات البلاد العربية كلها .

وماذا كان رد السيد عمر السقاف ؟

— قال السقاف : ان « المغفور له » الملك فيصل مدرك تماما لحقيقة المخاطر التي يواجهها العالم العربي الآن ، وقد تحدث معه الرئيس المصري بصراحة وبقلب مفتوح .

أما تقولات المتقولين بأن صالح السعودية هو في بقاء مصر مقلمة الأظافر فهي تقولات لا ينبغي أن يلتفت اليها أحد في بلادنا لأنها لا تستحق التكذيب ..

وقلت للوزير السقاف : إن المهم هو ألا يصدقها أحد. في اميركا فبعض الساسة الاميركيين الذين يؤمنون ويعملون على أن تكون اسرائيل أقوى من دول المنطقة كلها يبررون للشعب الاميركي تقديم ما يقدمون من المعونات المتزايدة لاسرائيل بأن هذه المعونات لا تقدم لحماية اسرائيل من العرب فقط ، بل انها تقدم أيضا لحماية بعض الدول العربية من دول أخرى متطرفة أو عدوانية كما سماها الرئيس

نيكسون .. وبذلك يحاولون اسكات أصوات، من يطالبون بضرورة عدم اهدار مصالح اميركا في المنطقة وعدم الانحياز الى اسرائيل بالشكل الذي ظهرت اميركا به عندما وقفت وحدها في مجلس الأمن مع اسرائيل .

وقال لى الوزير السقاف أن الأيام القريية تحتاج الى استمرار تلاقينا وتشاورنا وأن توجيهات الملك واضحة بشأن التعاون مع مصر الى أقصى حد .

وكنا سنحضر الشهر القالى مؤتمر عدم الانحياز فى الجزائر كما كنا سنقابل فى نيويورك من جديد أثناء الدورة الجديدة للجمعية العامة للأمم المتحدة .

فماذا كانت الخطوة التالية فى التحرك بشأن الاستعداد للحرب ؟

— سافرت يوم الخميس التاسع من أغسطس الى دمشق لمقابلة نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية — انذاك — عبد الحليم خدام .. وقد كررت أثناء حديثنا أن المسئولين عن الشرق الأوسط فى الولايات المتحدة يبنون سياستهم فى المنطقة على أساس افتراض أن العرب « قبائل متنافرة متحاربة اتخذت فى العصر الحديث وبتأثير الاستعمار الاوروبى شكل الدولة الحديثة » .

وقال عبد الحليم خدام : لا بأس ، يجب أن نخدمنا هذه السياسة ونستخدمنا اذا فاجأنا خصومنا باتحاد لا ينتظرون حدوثه .. وهذا الاتجاه هدف اذا ما وصلنا اليه فلا أظن أننا سنحتاج الى كفاح طويل لتحقيق بقية مطالبنا الوطنية .

وفى يوم الجمعة العاشر من أغسطس استقبلنا الرئيس حافظ الأسد ، وقد أبدى الرئيس السورى أسفه للوضع الدولى كما يظهره البيان المشترك الذى صدر بعد مؤتمر القمة وقال أن العرب أنفسهم

هم المطالبون بتحرير أرضهم واسترداد حقوقهم وتنظيم صفوفهم ..
وأبدى أسفه لأن « اتحاد الجمهوريات العربية » بين مصر وسوريا
وليبيا يجرجر خطاه نحو القبر ولأن المشروع الوحدوى بين مصر
وليبيا يسير فى الطريق نفسه وربما بسرعة أكبر .

مع فالدهايم

وفى آخر الشهر وصل سكرتير عام الامم المتحدة كورت فالدهايم
الى القاهرة قادما من اسرائيل .. وقد جلست معه فى شرفة الجناح
الذى نزل فيه فى فندق « شيراتون » نتحدث عن زيارته لاسرائيل
ولخص لى مباحثاته مع رئيسة الوزراء « جولدا مائير » فى هذه
النقاط :

١ — ان الدول التى اشتركت فى عمليات القتال صيف عام
١٩٦٧ هى وحدها الأطراف التى يجب أن تشترك فى عمليات التصالح
والوصول الى السلام .

٢ — ان كل ما تريده اسرائيل من الأمم المتحدة هو اقناع
الدول العربية التى اشتركت فى حرب ١٩٦٧ بأنه لا مفر من دخولها
بنفسها فى عمليات التصالح والتوصل الى السلام وأن فى الاسراع
بذلك اقتصادا فى الوقت والنفقات .

٣ — اسرائيل مستعدة أن تبدأ هذه العمليات بمباحثات تجزيها
مع كل دولة عربية من الدول المشتبكة فى الصراع فى الشرق الأوسط
فى نيويورك بحضور « فالدهايم » بصفته السكرتير العام للأمم
المتحدة ، ومهمته السعى الى الوصول الى الاتفاق (بين الطرفين)
وذلك حسب تفسير اسرائيل للفقرة الواردة فى قرار مجلس الأمن
٢٤٢ عن مهمة الممثل الخاص للسكرتير العام (وهى المهمة التى جمعتها
اسرائيل بمقاطعتها للسفير جوناريانج) .

٤ — انه الى أن يتم ذلك فان اسرائيل سوف تبقى قواتها في المواقع التي وصلت اليها في الحرب « الدفاعية » التي قامت في يونية ١٩٦٧ وهي خطوط ايقاف النار التي يجب أن تحترم •• وقالت مائير أيضا : ان تحديد الحدود الآمنة الجديدة التي سترجع اليها قوات اسرائيل يجب أن يتم باتفاق الطرفين ودون ارتباط بخطوط هدنة ١٩٤٩ أو حتى بالخطوط الدولية التي كانت قائمة عندما كانت فلسطين موضوعة تحت الانتداب البريطاني والسلام هو مفاوضات باتفاق فانسحاب •

٥ — إن اسرائيل مستعدة إلى أن يتم ذلك أن تتفاوض للقيام بخطوة أولى يتم فيها إعادة فتح قناة السويس بالشروط التي يتفق عليها الطرفين •

القضية

٦ — وجوابا على سؤال « فالدهايم » لرئيسة وزراء اسرائيل عن القضية الفلسطينية ذكرت انها قضية معقدة تزيد من تعقيدها الاعتبارات الاسرائيلية الداخلية على أنها مستعدة في نطاق تسوية شاملة أن تعطى للفلسطينيين حق الحكم الذاتي •

٧ — وقال فالدهايم انه حاول أن يعرف من رئيس الوزراء ثم من وزير الخارجية ابا اييان ما هي الحدود والتي تعتقد اسرائيل أنها تحقق أمنها فكان الجواب انها تحدد باتفاق أطراف النزاع •

على أنه قال لي وهو يطلعني على خريطة لشبه جزيرة سيناء رسم عليها خط أزرق عريض •• أن بعض رجال الأمم المتحدة يعتقد بعد تحدثه مع بعض العسكريين الاسرائيليين أن اسرائيل ستقنع بالحدود الدولية القديمة بينها وبين مصر إذا رضيت مصر بأن يدخل موقع شرم الشيخ وطريق يصل بين الموقع وبين اسرائيل •• داخل

الحدود الاسرائيلية ولو اعتبرت حدودا إدارية غير سياسية كالحدود القائمة بين مصر والسودان ••

وقال فالدهايم : انه علق على ذلك بأنه يعتقد أن أقصى ما يمكن أن تقبله مصر في هذا الشأن هو وضع الطريق المطلوب تحت سيطرة قوات تابعة للأمم المتحدة •

ضد إسرائيل

وقال فالدهايم أيضا بأنه ذكر رئيسة الوزراء بأن الرأي العام العالمي ، كما يظهر من مناقشات مجلس الأمن الأخيرة ومن نتائج التصويت فيه ، يتحول ضد إسرائيل وهناك تساؤل عن حقيقة تفكير إسرائيل فيما يخص الأمم المتحدة ومبادرتها •

وقال اننى قد طرحت في مجلس الأمن أسئلة لم تجب عليها إسرائيل حول رأيها في حق تقرير المصير ، وفي قدسية سلامة الأراضي الوطنية ، وفي عدم السماح بالحصول على الأرض بالقوة المسلحة وفي القرار ٢٤٢ نفسه •

وكان رد إسرائيل أولا عن الحالة الدولية « أن التطورات التي تحدث فيها تعد تطورات ايجابية لصالح إسرائيل وليست تطورات سلبية فان الاتحاد السوفييتي قد أصبح أقل استعدادا للقتال بشكل عام وأكثر حرصا على اصلاح علاقاته بالولايات المتحدة بشكل خاص •

أما الزأى العام العالمى وتحوله عن إسرائيل كما يظهر من التصويت الأخير في مجلس الأمن فالرد عليه بسيط : اذا كانت دول العالم سوف تتركنا وحدنا فسوف يكون علينا أن نحارب وحدنا •• وأما التصويت في الأمم المتحدة فهو تصويت « ككل ودول عدم الانحياز تعمل ضدنا وهناك محاولات لطردها (أى إسرائيل) من وكالات الأمم المتحدة المتخصصة مثل وكالة الصحة العالمية ومنظمة العمل الدولى •

وبيبقى القرار ٢٤٢ فاننا متمسكون به ولكن ليس بتفسيره الذى أعطاه السفير « يارنج » فى مفكرته ونحن نقبل الأمم المتحدة باعتبارها واسطة وليس باعتبارها وسيطا على حد قول مائير ..

أما الأسئلة التى طرحها وزير خارجية مصر فهى عن مبادئ نظرية ونحن مستعدون للتفاوض على امكان تطبيقها وكررت مائير انها متمسكة بالقرار ٢٤٢ وقال فالدهايم انه قابل بعد ذلك موسى ديان فأكد له أن اسرائيل متمسكة بالقرار ٢٤٢ ولا تقبل سحبه .

بيع الأراضى

وقال فالدهايم : انه أثار مع رئيسة الوزراء الاسرائيلية موضوع بيع الأراضى العربية للاسرائيليين الذى كان مقترحا فأجابته بأن الحكومة لم تتخذ قرار فى هذا الموضوع وأن للموضوع جوانب تتصل بالانتخابات وفهم فالدهايم أن مائير إذا أعيد انتخابها لن توافق على عمليات الشراء المقترحة على أنها قد قالت له انه اذا تأخرت التسوية فانه لا يمكن تجميد حياة البشر .

ثم أضاف أن مائير قالت له أنها حريصة على أن ينقل حديثها الى الرئيس السادات نفسه .

وهل قابل فالدهايم الرئيس السادات فى هذه الزيارة ؟

— فعلا .. وقد أبلغته أنا فى هذه الجلسة بأنه سيقابل الرئيس معى غدا وعليه أن يبلغه بمضمون حديثه مع رئيس وزراء اسرائيل ووزير خارجيتها .. واضفت أن الخريطة التى أطلعنى عليها وقال انها لتوضيح رأى بعض موظفى الامم المتحدة فى التسوية التى يعتقد أن اسرائيل ستقنع بها لن تكون لها أهمية الا اذا كانت خريطة اسرائيل تعرض لجس النبض أو بغرض معرفة رد الفعل المصرى عند الاطلاع عليها .

وقد أسرع فالدهايم فأكد لى أن هذه الخريطة هى من خرائط الامم المتحدة رسم عليها الخط الأزرق لتوضيح أفكار موظف الامم المتحدة الذى تحدث بها الى رئيسه .

الخط الأزرق

وقلت « لفالدهايم » انه من الخير فى هذه الحالة ألا يخلط الحديث عنها بما سمعه من المسئولين عن الحكم فى اسرائيل . . وأضفت أن رد الفعل عندى لدى اطلاعى على هذا الخط الأزرق هو تذكرى لقصة رواها لى المرحوم « رالف بانس » سكرتير عام الامم المتحدة المساعد السابق عن حادث وقع فى جزيرة رودس ، عندما كان فيها للتباحث مع كل من الوفد الاسرائيلى والوفد الاردنى عام ١٩٤٩ فقد قال أن الوفد الاردنى أخبره مرة — بعد صدور الاتفاق على خط الهدنة بين اسرائيل والاردن — انه مضطر للعودة الى عمان للتشاور وسيغيب لذلك عن رودس يومين .

وقال انه لاحظ أن الوفد الاسرائيلى اختفى من رودس عندما غادرها الوفد الاردنى وأن الوفد الاردنى عاد بعد اليومين اللذين قال أنه سيغيبهما ومعه خريطة عليها خط بقلم أزرق عريض قال أن الاردن يقبله خطأ للهدنة . . وظهر الوفد الاسرائيلى وقالوا انهم يوافقون على الخط الذى قدمه الوفد الاردنى .

ملاحظتان

وماذا كان رد فعل فالدهايم على ذلك ؟

— حين سمع فالدهايم القصة ألقى الخريطة جانبا وقال وهو يبتسم : لا حاجة بنا الى هذه الخريطة ولا الى ذكرها ثم سأل : هل لك أنت ملاحظات على الحديث مع رئيسة وزراء اسرائيل ؟

قلت :لى ملاحظتان سبق ابداءؤهما فى مجلس الأمن :

الملاحظة الأولى : اننا اذا عدنا الى ضرورة التقاء المنتصر بالمهزوم لاعادة تخطيط الحدود بما يترجم النصر العسكرى الى نصر سياسى نكون قد هدمنا الأمم المتحدة من أساسها ..

والملاحظة الثانية : ان الحلول المؤقتة والجزئية تتحول عادة الى حلول نهائية اذا لم يتم الارتباط بالتسوية النهائية التى يجب أن تكون فى حالتنا كاملة شاملة لكل أطراف الصراع وهم من الجانب العربى مصر وسوريا والاردن وفلسطين ..

وأجاب فالدهايم بأنه قد أبدى هاتين الملاحظتين لرئيسة الوزراء فى حديثه معها .

ومتى قابل فالدهايم الرئيس السادات ؟

— كان اليوم التالى هو يوم السبت وكان يوم عطلة لأنه كان الفاتح من شهر سبتمبر عيد الثورة الليبية ..

وتذكرت الآمال الضخمة التى ملأت قلبى عند إعلان تلك الثورة وكنت فى الاسكندرية مدعوا لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر ليتحدث الى قبل عودتى الى مقر منصبى فى الامم المتحدة بعد تكليفى باجراء المباحثات التى وافقت مصر على اجرائها مع السفير يارنج بناء على ما سمى بمشروع روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة وتذكرت اننى هنأت رئيس الجمهورية بهذه الثورة وتخيلت نتائج تعاوننا مع ليبيا والسودان تعاوننا تسخر فيه كل دولة من الدول الثلاث جهودها ومواردها لخدمة هذا القطاع الهام من قطاعات العالم العربى ، ثم تذكرت أحداث العامين الماضيين التى بددت هذه الآمال وهذه الأحلام .

ونحن الآن فى الفاتح من سبتمبر ١٩٧٣ وهو تاريخ كان مستهدفا

لقيام الوحدة بين مصر وليبيا ثم أصبح مضروبا لاجراء الاستفتاء
ثم حل فلا وحدة ولا اتحاد ولا استفتاء •

مع السادات

كانت شوارع القاهرة هادئة ونحن نقطع الطريق أنا وسكرتير
عام الامم المتحدة من فندق الشيراتون في الجيزة الى قصر المطاهرة
حيث كان رئيس الجمهورية أنور السادات في انتظارنا •

وقد أعاد فالدهايم على الرئيس السادات حديث أمس معي
(دون أن يشير الى موضوع الخريطة التي قال انها توضح توقعات
موظف الامم المتحدة) •

وقال أن مائير تود ابلاغ مصر : ان الوقت قد حان لاحلال
السلم محل الحرب ليتمتع شعبها بالحياة في طمأنينة •

رد السادات

ورد الرئيس السادات على فالدهايم بقوله : أولا من ناحيتنا
فانه ما دامت أرضنا محتلة فلن نفاوض مباشرة أو غير مباشرة ••
ومصر مع ذلك قد أعلنت في الخامس عشر من فبراير الماضي في المفكرة
التي سلمتها الى ممثلك الخاص يارنج ردا على مفكرته أنها على
استعداد للدخول في اتفاقية سلام مع اسرائيل اذا ارتبطت اسرائيل
يسحب جيوشها من أرضنا بالكامل وقبلت بقية ما جاء في مفكرتنا
وجعلنا قبولنا الدخول في اتفاقية السلام مرتبط بهذا •

وقال الرئيس السادات : عندما كان روجرز وزير خارجية
الولايات المتحدة يزور مصر قال لي : أن مائير قالت له متحدية :
فليعلن أى زعيم عربى انه مستعد للدخول في اتفاقية سلام مع
اسرائيل وأنا سأضع عند ذلك كل أوراقى على المائدة ••

وقال الرئيس السادات : فى الخامس عشر من فبراير أى منذ ستة شهور ونصف شهر أرسلنا المفكرة التى تتضمن العبارة التى طلب ممثلك منا أن نضعها فى ردنا وهى العبارة التى طلبتها مائير من الوزير روجرز *

وقد أبلغ يارنج مفكرتنا الى مائير فلم تضع أوراقها على المائدة .. بل اضطرت الى التصريح بأنها لا تتنوى أن تعود الى الخطوط التى بدأت منها الحرب فى الخامس من يونية ١٩٦٧ ..

استغماية

وأضاف الرئيس السادات بالعربية : (دول كانوا بيلعبوا استغماية) وترك لى عبء الترجمة ..

وفىما يخص ما تذكره مائير من رغبتها فى التعامل معك ، نحن نطلب الوصول الى حل عادل وشامل عن طريق الامم المتحدة معتمدا على مبادئ ميثاقها واحكامه وأنت ويارنج واحد وثقتنا تامة فيكما .. وفى الامم المتحدة والتزامنا بميثاق الامم المتحدة قائم *

ولكننى أكرر لسنا مستعدين لبدء أى شىء وأرضنا محتلة وهذا ليس شرطا مسبقا هذا تطبيق ضرورى لما يقضى به ميثاق الامم المتحدة ولما وافقت عليه أربع عشرة دولة أخيرا فى مجلس الأمن .. لابد من البدء على الأرض السليمة .. ولا يمكن أن نقبل أن تجنى اسرائيل ثمار العدوان *

وكرر الرئيس السادات التعبير عن ثقته فى الامم المتحدة وفى فالدهايم وفى استعداد مصر لحل سلمى « ويؤسفنا ألا يوجد مثل هذا الحل » *

الفيتو الأمريكى

فماذا كان رد فالدهايم على الرئيس ؟

— قال فالدهايم : أنت يا سيادة الرئيس ترى أن المشكلة توشك أن تتفجر وأنا أيضا أرى أن المشكلة على وشك الانفجار .. ولكن مائير لا ترى أن المشكلة قابلة للانفجار وهى تعتبر أن الفيتو الأمريكى قد أنهى الموضوع ونحن لا نقبل ذلك .

ويجب أن نبحث اذا كانت الامم المتحدة قادرة على أن تبذل جهدا مثمرا أثناء انعقاد الجمعية العامة التى تبدأ هذا الشهر فى نيويورك أثناء وجود وزراء الخارجية لبحث المشكلة بشكل هادئ وموضوعى .

واننى ألاحظ للأسف الشديد أن الدول الكبرى تخرج بالمشاكل الكبرى من إطار الامم المتحدة وقد حدث ذلك فى مشكلة الشرق الأقصى وهو يحدث فى مشكلة الشرق الأوسط ونحن لا نقبل أن يكون التصويت الأمريكى هو قرار مجلس الأمن الاجماعى وآخر كلمة فى بحث هذا الموضوع داخل الأمم المتحدة ..

ثم قال : لقد زرت اسرائيل (وأنا انتهر الفرصة لاعتذر عن اشارتى الى القدس باعتبارها عاصمة اسرائيل فى مؤتمر صحفى ارتجلت فيه الاجابات أثناء وجودى فى اسرائيل ، فقد كانت تلك الاشارة زلة لسان) وأنا سعيد بزيارتى مصر وسأسافر هذا المساء الى الاردن وعند عودتى الى نيويورك سأتصل بالدول الكبرى لمعرفة إمكان القيام بمجهود دبلوماسى هادئ بعد انتهاء الانتخابات وأثناء وجود وزراء الخارجية فى نيويورك فى نوفمبر ، على أننى سوف أتصل بالدكتور هنرى كيسنجر فقد أصبح الآن وزيرا للخارجية الأمريكية بهذا الصدد وقد يجعله ذلك أكثر اهتماما بالامم المتحدة .

وغادر كورت فالدهايم القاهرة مسافرا الى عمان ظهر الأحد
الثاني من ايلول « سبتمبر » وبعد نصف ساعة من توديعي له في
المطار سافرت الساعة الواحدة الى الجزائر لاشارك في اجتماعات
وزراء خارجية دول عدم الانحياز ولم يكن قد بقي على حرب أكتوبر
١٩٧٣ غير ثلاثة أسابيع •

* * *

الباب الخامس



الزيّات والقرار ٢٤٢...
وكشف دهاء كيسنجر

موجز :

* أميركا تتشبت بالقرار ٢٤٢ لاستمرار الصراع العربي الاسرائيلى ..

* السادات رفض الحل المنفرد قيل أكتوبر ١٩٧٣ وبعده ..

* وزير خارجية ايطاليا يؤكد ارتباط الأمن الأوروبى بالشرق الأوسط ..

* منظمة الوحدة الافريقية ترسل مبعوثا لمساندة موقف مصر فى مجلس الأمن ..

* السادات يطلب من الملك فيصل إفساد « المسقاف »
معى لمجلس الأمن .

* كيسنجر يقاوم مشروع « روجرز » ويتبع سياسة
« الاهمال الذكى » مع الدول العربية ..

* * *

القرار ٢٤٢

كانت اسرائيل حريصة كل الحرص على أن يبقى قرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ — بعد هزيمة يونيو — كما هو دون تغيير أو تعديل ..

وقد سمح لها هذا القرار بصياغته .. التي يقول المنسوب الأميركي في مجلس الأمن في ذلك الوقت أرثر جولدبرج .. انه حريص على ما فيها من غموض .. بابقاء عساكرها على شاطئ قناة السويس الشرقى وعلى مرتفعات الجولان ، محتلة قطاع غزة والضفة الغربية لنهر الاردن .. ومطلقة اليد في اجراء ما تريده في كل تلك الارض بشكل عام وفي أرض غزة وأرض الضفة بشكل خاص لتتشىء ما تسميه « الحقائق » الجديدة التي تجعل انسحاب قواتها الى الخطوط التي بدأت منها الحرب في ١٩٦٧ أمراً شبه مستحيل ..

وكانت حكومة اسرائيل تعرف اننا قد دعونا مجلس الأمن لبحث الموضوع وتطوراتته ، فقد أصدر قراره في نوفمبر ١٩٦٧ لأننا نريد من المجلس أن يوضح ذلك القرار وأن يبين بشكل صريح أنه يرفض أن يكون للغزاة حق في الأرض بل يطالبهم بالانسحاب الى الخطوط التي بدأت منها الحرب ، وليفسر المجلس كذلك أنه لم يقصد فيما نص عليه بشأن اللاجئين أن يكون ذلك هو الحل الذي يرتضيه المجتمع الدولي للمشكلة الفلسطينية التي أنشأتها الأمم المتحدة نفسها باصدار قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ ..

وركز حكام اسرائيل جهودهم في واشنطن ونيويورك لتحقيق هذا الهدف الغريب وهو أن يبقى مجلس الأمن الذي سيعقد في الرابع من يونيو ١٩٧٣ صامتاً لا يفصح — بعد مرور السفين — عما يعنيه قرار من أهم قراراته ..

ففى واشنطن كان هدفهم منع الرئيسين الاميركى والسوفييتى من التوصل الى أى اتفاق بخصوص الشرق الأوسط فى اجتماع القمة المقرر عقده بينهما فى الثامن عشر من شهر يونيو ..

فقد زارت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل واشنطن وقابلت الرئيس ريتشارد نيكسون ، وزار وزير خارجية اسرائيل « أبا اييان » نيويورك وكان ضيف الشرف فى احتفال يهود نيويورك بعيد إنشاء دولة اسرائيل الخامس والعشرين ..

وصرحت مائير بعد الزيارة بأنها مطمئنة كل الاطمئنان الى أن الرئيس نيكسون لن يتخلى أبدا عن نصرته لاسرائيل فى مؤتمر القمة الذى سيعقد بينه وبين بريجنيف .. وصرح وزير الخارجية أبا اييان بأنه لا يخشى أن يكون هناك أى تخذل (من جانب الرئيس نيكسون) عن معارضته للمحاولات العربية التى تريد أن تهزم اسرائيل فى اجتماع القمة الروسى — الأمريكى .

وأضاف : أنه لم يعثر على أى دليل على أن أميركا يمكن أن تغير سياستها فى الشرق الأوسط بسبب مصالحها ..

وفى نيويورك بذل الاسرائيليون أقصى الجهود لمنع مجلس الأمن من تغيير قراره (٢٤٢) أو توضيحه أو تفسيره وتحرك البيت الأبيض الذى كان يسيطر عليه د. هنرى كيسنجر ليؤكد تصريحات مائير وتصريحات الوزير أبا اييان ويطمئن حكام اسرائيل على أن مجلس الأمن لن يسمح بأن يتخذ قرارا لا ترضى عنه اسرائيل .

بيان صحفى

وفى يوم وصولى الى القاهرة عائدا من موسكو طالعت البيان الصحفى لندوبه اميركا الدائم لدى الامم المتحدة السيد « جون سنكالى » قبل انعقاد مجلس الأمن أو سماع تقرير السكرتير العام أو سماع خطاب مصر التى طلبت عقد الاجتماع .

وقد صرح المندوب الاميركى فى هذا البيان الصحفى أولا بأن بلاده سوف تقاوم أى جهود قد تبذل كى يصدر مجلس الأمن قرارا جديدا خاصا بمشكلة الشرق الأوسط يختلف عن القرار ٢٤٢ فان بقاء هذا القرار كما هو أمر محتوم .

وقال ان أفضل طريقة للتوصل الى اقامة سلام دائم فى المنطقة هى المفاوضات (بين الأطراف) التى تتم خطوة خطوة .

وأشار فى تصريحه الى أن الخطوات يمكن أن تبدأ من خطوة الاتفاق على اعادة فتح قناة السويس .

* هل كان المندوب الاميركى « جون سكالى » وهو صحفى بدأ عمله فى جريدة « بوستن هيرالد » الاقليمية ثم عمل فى وكالتى أخبار « اليوناييتدبرس » و « الاسوشيتدبرس » قبل أن يصبح مراسلا دبلوماسيا ، وقبل أن يوظف أخيرا فى البيت الأبيض خبيرا فى الشئون الخارجية ثم يعين خلفا لمندوب أميركا الذى سبقه الى الأمم المتحدة وهو السفير « جورج بوش » لم يكن سكالى هو مؤلف تصريحاته ولم يكن هو الذى اختار وقت الادلاء بها فان هذه التصريحات قد حررت بدقة داخل البيت الأبيض وليس من شك أن الدكتور كيسنجر قد تشاور بشأنها مع صديقه سفير اسرائيل فى واشنطن ، وجرت الموافقة عليها فى اجتماع عقد قبل الادلاء بها فى البيت الأبيض رأسه الرئيس نيكسون نفسه وحضره وزير الخارجية ويليام روجرز الذى كان كيسنجر قد سلب منه كل قدرة على ادارة وتوجيه شئون بلاده الخارجية وحضره سكالى الذى كان سيكلف بالادلاء بهذه التصريحات كما حضره مستشار الرئيس لشئون الأمن القومى هنرى كيسنجر .

قرار فاشل

فلماذا كانت اميركا تتشبهت هكذا بالقرار ٢٤٢ ؟

— كان البيت الأبيض بذلك يصمم على البقاء على قرار ثبت فشله بالتوصل الى إنهاء الصراع في الشرق الأوسط بعد ست سنوات من صدوره .. ثم انه يصير على بقائه قرارا أعرج بعد أن ألغت اسرائيل فقرة هامة من فقرات الجزء التنفيذي من القرار وهي التي تنص على تعيين ممثل خاص للسكرتير العام يكلف بمتابعة تنفيذ القرار وبتقديم التقارير الى المجلس عن نتائج عمله .

هذا الجزء التنفيذي من القرار ألغته اسرائيل بمقاطعتها للسفير « يارنج » منذ فبراير ١٩٧١ ..

* وماذا كان رد فعل الرئيس السادات على مثل هذه التصريحات ؟

— أبلغت الرئيس السادات بهذه التصريحات وبطريقة صدورها وذكرت له اننى أعتقد انها صدرت قبل اجتماع مجلس الأمن وقبل اجتماع القمة بين نيكسون وبريجنيف لتغلق أبواب أى تسوية سلمية مقبولة ولا يبقى مفتوحا الا باب الحل الجزئى الخاص باعادة فتح قناة السويس بالشروط التي ترضيها اسرائيل .. ومعنى ذلك الاصرار على عقد اتفاقية منفردة مع مصر ..

انسحاب كامل

قال لى الرئيس السادات : انهم يحاولون الالتواء بالمبادرة التي أعلنتها في فبراير ١٩٧١ ولقد كان عرضى صريحا لا يحتمل التأويل والالتواء وكنت أطالب بالانسحاب الاسرائيلى الكامل من جميع الجهات الى الخطوط التي بدأ منها المقتال في يونية ١٩٦٧ ، وكنت أقول أن انسحاب اسرائيل جزئيا شرق قناة السويس هو

خطوة يجب أن تليها الخطوات التي يتحقق بها الانسحاب الكامل من كل الجبهات .. نحن لم نقصد انذاك أن نحصل على حل منفرد ولا نقبل الآن الحصول على حل منفرد .. ويجب توضيح ذلك في مجلس الأمن ..

* وهل تم بالفعل توضيح ذلك بواسطةكم في مجلس الأمن ؟
— لقد سئلت قبل مغادرتي القاهرة في طريقى الى نيويورك عن موقفنا فأجبت بما يلى :

أولا : ان مصر تعمل لانهاء الصراع بانهاء الاحتلال الاسرائيلى للأراضى العربية واحترام حقوق شعب فلسطين كما أقرتها المنظمة العالمية (منظمة الامم المتحدة) ..

ثانيا : اننى أرى أن السفير يارنج هو ضحية للسياسة الاسرائيلية التى يبدو من الواضح لى أنها تعتمد على القوة كما انها تزدري الامم المتحدة .

ثالثا : ان كلا من الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة وبقية الدول الدائمة العضوية وصاحبة حق الرفض (الفيتو) فى المنظمة وتتحمل مسئولية ازاء المنظمة — ملتزمة باحترام ميثاقها ومبادئها وأن أميركا والاتحاد السوفييتى مدعوان مع بقية الدول الأعضاء فى مجلس الأمن للتصرف على أساس هذه المسئولية العالمية .. ثم غادرت القاهرة يوم ٢٩ مايو لاقضى عدة ساعات فى روما وقابلت فيها وزير الخارجية الدكتور جيو سبى مديتشى ثم قضيت ليلة فى لندن قابلت فيها وزير الدولة للشئون الخارجية اللورد باننيل — قبل أن أصل الى الولايات المتحدة لاجراء المشاورات اللازمة قبيل انعقاد مجلس الأمن فى الرابع من شهر يونيو ..

ولقد استقبلنى الوزير مديتشى فى منزله الخاص خارج روما ومعى سفيرنا فى ايطاليا مصطفى كمال مرتجى ، وتحدثت معه من جديد فى اننا نرجو أن يكون لاوروبا الغربية دور فى تسوية الصراع فى منطقتنا ولا نريد أن تترك المنطقة مسرحا لعمليات الاستقطاب بين الدولتين العظميين فى ذلك الوقت وقد أكد لى : « مديتشى » موافقته التامة على هذا الطلب من جديد كما أكد أن أوروبا الغربية مؤمنة بأن الأمن الاوروبى متصل بأمن البحر المتوسط وبالتالى أمن منطقة الشرق الأوسط .. وبلغت الوزير بهدفنا من طلب عقد المجلس وخطة سيرنا فيه .

وفى لانكستر هاوس قابلت وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية لورد بانيل — وكان وزير الخارجية السير « الك دو جلاس هيوم » فى اسكتلنده وشرحت للورد بانيل أيضا أهدافنا وخطتنا فى مجلس الأمن فقال لى أنه يعرف أن المندوب البريطانى السفير « بيركولين كرو » صديق لى واكد لى انى سألقى منه كل التعاون الذى أريده ..

بعد ذلك وصلت الى مطار كينيدي فى نيويورك فى أول يونيو ١٩٧٣ ولما كنت فى الواقع لم أزل مسافرا بالطائرات المختلفة من موسكو الى نيويورك فقد قدرت اننى فقدت يوما كاملا أثناء الطيران وأردت أن استريح فى عطلة نهاية الاسبوع قبل بدء جلسات مجلس الأمن يوم الاثنين ولكنى وجدت الصحفيين فى المطار ومن بينهم مندوب وكالة « رويتر » الذى سألنى عن سبب حضورى الى نيويورك وقد أجبت على ذلك وسجل الصحفيون اجابتى على السؤال باننى قد حضرت للمشاركة فى مناقشات جادة وهامة وأرجو أن تكون بناءة بعد سماع تقرير السكرتير العام عن تطورات الوضع فى منطقتنا خلال السنوات الست الماضية وأكدت أن مصر تريد تطبيق أحكام ميثاق الامم المتحدة ..

سفر دائم

وعندما وصلت الى الفندق قلت للسفير عصمت عبد المجيد اننى فى الايام العشرة السابقة سافرت من القاهرة الى اديس أبابا ومن اديس أبابا الى موسكو عن طريق القاهرة ومن موسكو الى القاهرة ثم من القاهرة الى روما ومنها الى لندن الى نيويورك ..

مساندة افريقية

وخلال تلك الايام العشرة قررت منظمة الوحدة الافريقية بالاجماع أن توفد رئيس مجلس وزراء خارجية دولها وزميلين له ليعلنوا أمام العالم أن افريقيا كلها قد باتت مقتنعة بأن مصر قد بذلت أقصى الجهد لتحرير أرضها وتحقيق العدالة لاشقائها فى الدول العربية التى احتلت اسرائيل أرضها ولاشقائها الفلسطينيين الذين يطالبون بالحق المكفول لكل الشعوب وهو حق تقرير المصير ..

مساندة سوفيتية

وخلال تلك الايام العشرة ارتبط الاتحاد السوفيتى بأن يبذل أقصى جهده فى اجتماع القمة عام ١٩٧٣ للتوصل الى اتفاق على حل ينهى الصراع الذى يستنزف موارد المنطقة ويعطل سعيها للتقدم ..

وتم الاتفاق بينى وبين « جروميكو » على الصيغة البسيطة التى تدفعنا الى الاستمرار فى مسيرة السلام ، وخلال هذه الايام العشرة اتصلنا بوزير الدولة الفرنسى للشئون الخارجية فى باريس وبوزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية فى لندن ..

وقد فهمت الدولتان اللتان تمثلان أوروبا الغربية ما نقصد إليه بعقد المجلس ، ووافقتا على أن تقدما إلينا المساعدة التى طلبنا منها تقديمها ..

وقال لى مندوبينا فى الامم المتحدة انه من جهته — قد قابل مندوب سوريا والاردن والكويت وتحدث طويلا مع المندوب السودانى السفير « رحمة الله عبد الله » كما انه دائم الاتصال ببقية أعضاء المجلس ..

مساعدة عربية

وأضاف انه الى جانب الوزراء الافريقيين الذين طلبت منهم منظمة الوحدة الافريقية أن يشتركوا فى الاجتماع للتحدث باسمها فان ثلاثة من وزراء الخارجية بالدول العربية يجمعون الحضور الى نيويورك للاشتراك فى مناقشات المجلس أيضا وهم الوزير المرحوم « أحمد بن هيمة » عن المغرب والوزير عبد العزيز بوتفليقة عن الجزائر والوزير عمر السقاف وزير الدولة السعودى للشئون الخارجية ..

وكانت المملكة العربية السعودية يمثلها فى الامم المتحدة (ومجلس الأمن) سفير موسوعى المعلومات من أقدر مندوبى الدول على الارتجال ولعله كان أقدم مندوبى الدول عهدا بالامم المتحدة وأكثرهم علما بلوائحها وتطوراتها وهو السفير المرحوم جميل البارودى ..

ولكنى كنت قد رجوت الوزير عمر السقاف أن يحضر هذا الاجتماع بنفسه ..

وتحدث الرئيس السادات مع المغفور له الملك فيصل فوافق الملك فيصل على تكليف الوزير السقاف حضور هذا الاجتماع بناء على الاعتبارات التى شرحها له الرئيس السادات ..

وكانت هذه الاعتبارات واضحة .. أولها أن البيت الأبيض منذ تولى د. هنرى كيسنجر فيه منصب مستشار الرئيس لشئون

الأمن القومي قد أخذ يربط مصالح إسرائيل بمصالح الولايات المتحدة بحيث تصبح كلها مساعدة عسكرية تقدم لإسرائيل وكلها مساعدة مالية وكلها مساندة سياسية خدمة للاستراتيجية العسكرية الأميركية وحماية للمصالح الاقتصادية الأميركية وذلك في إطار المواجهة القائمة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في ذلك الوقت ..

وبذلك تركز سياسة الانحياز التام لإسرائيل على أساس ضرورة احراز التفوق لأميركا على الاتحاد السوفييتي أو الشيوعية الدولية في الحرب القائمة بينهما سواء كانت حربا فائقة أو باردة أو مجمدة في ظل سياسة التراخي التي كنا في مصر نسميها بسياسة الوفاق ..

وثانيها : أن البيت الأبيض ادراكا منه أن الشعب يعلم بأن لبلاده مصالح اقتصادية ضخمة في العالم العربي قد أخذ على أساس أن الدول العربية تنقسم قسمين : القسم الأول هو الدول التي كانت تسمى الدول المتطرفة ، والتي سماها الرئيس نيكسون في هذا الوقت « الدول العدوانية » وهذه لابد أن تواجهها السياسة الأميركية بالحزم .. أما القسم الثاني فيعرف باسم الدول المعتدلة وهي دول مصلحتها تتوافق مع مصلحة الولايات المتحدة .

موقف كيسنجر

* وماذا كان موقف د. هنري كيسنجر من المشكلة في هذه الفترة ؟

— كان د. هنري كيسنجر قد نجح في مصادرة كل مسعى حاولت وزارة الخارجية الأميركية القيام به لتسوية مشكلة الشرق الأوسط تسوية تأخذ في الاعتبار وجهة نظر العرب ولا تبني فقط على ما تريده إسرائيل فقاوم المشروع المسمى بمشروع روجرز عام ١٩٧٠ ونجح في القضاء عليه وقاوم مجهودات الأمم المتحدة ونجح

في القضاء على مشاورات الدول الأربع التي اقترحتها فرنسا وعلى مبادرة السفير « يارنج » التي تقدم بها في فبراير عام ١٩٧١ قياما بالواجب الذي أناطه به مجلس الأمن . . .

وأختار كيسنجر للولايات المتحدة أن تتبع نحو الدول العربية الداخلة في الصراع العربي الاسرائيلي سياسة « الاهمال الذكي » ويقصد بها أن تهمل الولايات المتحدة هذه الدول ، فتتركها تعاني الاحتلال الاسرائيلي الذي ستجعله المساعدة الاميركية غير قابل للزحزة الى أن « ترعوى » هذه الدول فتقطع ما بينها وبين الاتحاد السوفييتي وتتجه الى الولايات المتحدة تلتمس المساعدة وتدفع ثمنها .

وهذه المساعدة لن يقدم منها شيء يؤذى اسرائيل أو يفرط في مصالحها الحقيقية أدنى تفريط .

ولهذا كله كان حرصى على أن يحضر الوزير السقاف بنفسه جلسات مجلس الأمن في يونيه ١٩٧٣ وهى الجلسات التي كانت مصر ستقرر — بعدها — هل تستبقى الأمل في الوصول الى تسوية للصراع تهدى اليه مبادئ الامم المتحدة أم تتحدى ما كان يراد أن يسلط عليها من اليأس لتذود عن حياتها بنفسها ، وكنت أريد — بحضور الوزير السعودى ومشاركته التامة لمصر في موقفها — اعلان الولايات المتحدة انها لن تستطيع الاستمرار في التعامل مع الدول « المعتدلة أو المحافظة » في العالم العربى وهى مستمرة في سياسة « الاهمال الذكي » أو سياسة تسليط اليأس على نفوس شقيقاتها الدول العربية المشتعلة في الصراع مع اسرائيل .

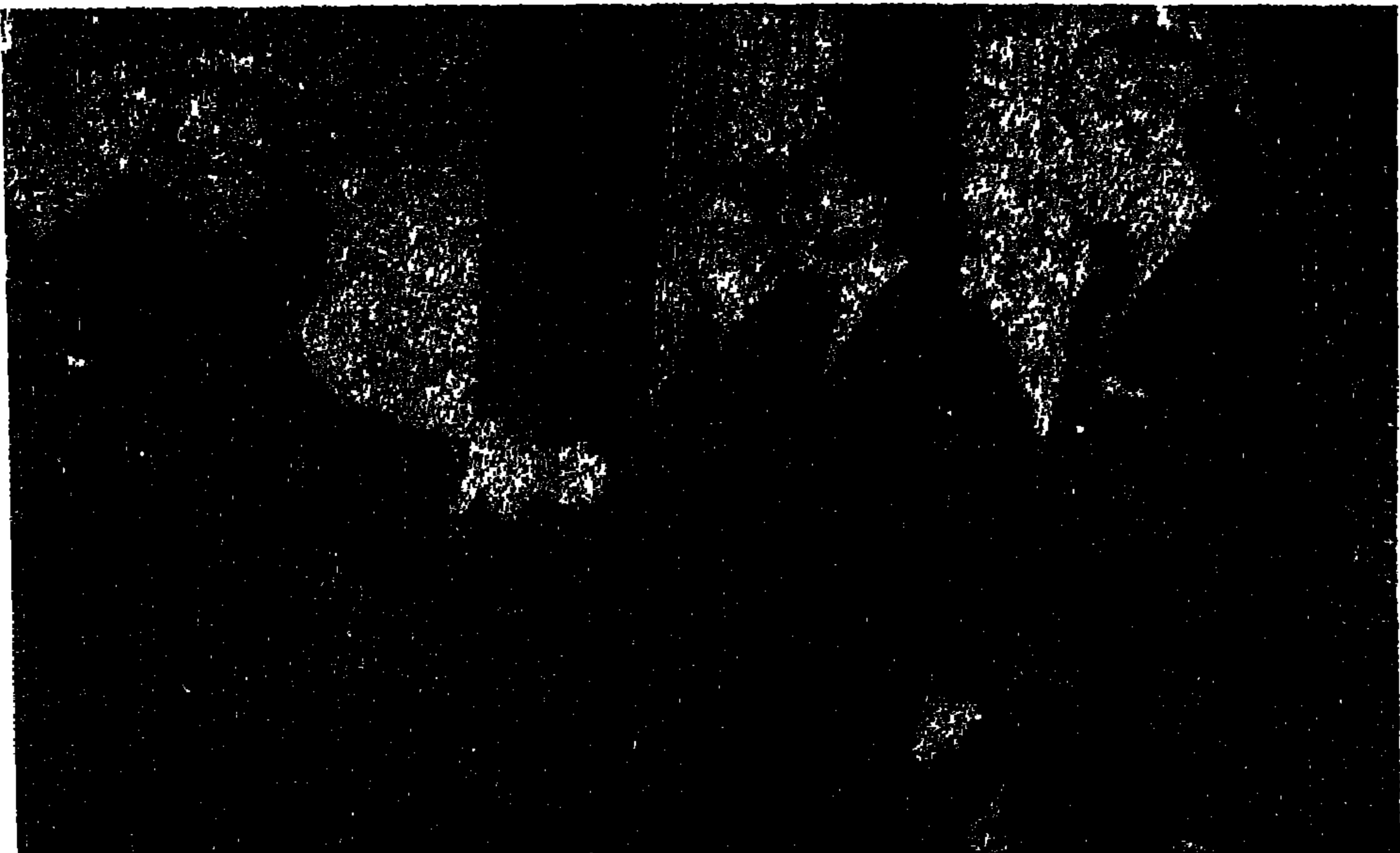
زيارة الملك فيصل

* ولكن كيف تم الاتصال بالسعودية لتحقيق هذه الخطوة ؟

— أثناء زيارة الملك فيصل لمصر شرح له الرئيس السادات هذه الاعتبارات فوافق بعد تفهمها على سفر الوزير السقاف الى نيويورك

وكلفه بالتضامن التام معنا في الامم المتحدة ومجلس الأمن .. وفي أثناء تلك الزيارة وقبل البدء في المباحثات الرسمية التي كنت سأحضرها بوصفى وزيرا للخارجية وفي الوقت الذي كنت أتحدث فيه مع بعض الاخوة السعوديين والمصريين بقصر القبة كان الملك فيصل مجتمعاً بالرئيس السادات في غرفة مجاورة وتأخرا بعض الوقت .. ثم فتح باب الغرفة وخرجا معا ولكننى لاحظت أن الملك فيصل كان لا يزال يتحدث بانفعال مع الرئيس السادات وقد سمعته يقول له : اذا كنتم مستعدين وناوين فعلى بركة الله .. والله اننى سوف أكون أول من يحضر هنا ويقبلك .. وكان المغفور له الملك فيصل من شدة انفعاله لم يشعر بأنه قد دخل قاعة الاجتماع العام لكن سرعان ما أمسك عن الحديث الذي سمعته أنا ومن كان قريبا منه من الوفدين .. وعندما انتهى الاجتماع التزمى طلب الملك فيصل — قبل أن يغادر غرفة الاجتماع — من الوزير عمر السقاف من جديد وأماهى أن يكون مسلكه ومسلكى فى المجلس — وفى الولايات المتحدة مسلك عضوين فى وفد واحد .

الباب السادس



أسرار استقالة الزيّات
من وزارة الخارجية المصرية

موجز :

- * بعد حرب ١٩٧٣ شجرت بأن مهمتى انتهت فى الخارجية ..
- * طلبت من مندوبنا أن يضيف كلمة « العدل » على ميدالية الأمم المتحدة ..
- * فى تصورى أن الحل الحقيقى لمشكلات المنطقة يجب قبوله دوليا .
- * جورج بومبيدو أكد لى أن تقدم فرنسا مرتبط باستقرار دول المتوسط ..
- * العمل العربى المشترك يستمد قوته من موارده الاقتصادية والبشرية ..
- * قدمت استقالتي من الخارجية بعد أكتوبر ١٩٧٣ بسبب سياسة الخطوة خطوة ..
- * السادات يخصص لى مكتب الملك فاروق وأنا مستشار له للشئون الخارجية ..
- * منحنى الرئيس وشاح النيل الذى لا يمنح إلا لرؤساء الوزارات تكريما لى ..
- * الصحافة قائدة الفكر فى عالم اليوم ..

حرب أكتوبر

عندما قامت حرب أكتوبر ١٩٧٣ رأى البعض أن نعلن للعالم أننا دخلنا المعركة بسبب اعتداء إسرائيل على سوريا .. وكنت أنا في أمريكا لإلقاء كلمة مصر في الأمم المتحدة والتي كان مقررا أن ألقيا مساء ٥ أكتوبر فطلبت تأجيلها نظرا لأننى عرفت أن الأمور ستتغير في ٦ أكتوبر ، ثم تحدثت بعد ذلك بيومين أى يوم ٨ أكتوبر وكانت كلمتى هى أقصر كلمة فى تاريخ الأمم المتحدة لدرجة أن الوقت الذى استغرقه التصفيق بعد القائى لكلمتى باسم مصر كان أكثر مما استغرقه وقت القاء الكلمة ذاتها ..

كنت قد اختصرت الكلمة التى كان مخصصا لها ساعة تقريبا .. (كل سنة تبدأ الدورة بكلمات طويلة يتحدث فيها وزير خارجية كل دولة ويعرض لرأى بلاده فى جميع مشاكل العالم السياسية والاجتماعية والاقتصادية الى آخره .. وهى خطبة تقابل ما يسمى خطبة العرش زمان) أنا تنازلت فى ذلك الوقت عن هذا وكانت كلمتى فى سطرين فقط وهو انه مجلس الأمن قرر فى يوم كذا ضرورة انسحاب إسرائيل الى خطوط ٥ يونيو ١٩٦٧ وضرورة التمسك بحقوق شعب فلسطين وتحقيقها والأمم المتحدة فى الجمعية العامة قررت ذلك كثيرا .. مصر وسوريا تنفيذا لهذه القرارات قامتا بمحاولة تنفيذ الاجلاء الى أن ينضم اليها العالم لكى يتحقق قرار الأمم المتحدة ونحن قمنا بذلك بالنيابة عن العالم بالنيابة عن الحق والقانون وليس هناك انكار لذلك لأن الحرب مفروضة علينا منذ عام ١٩٦٧ .. وقراركم بأن نتخلص من هذا الاحتلال بقى بدون تنفيذ فنحن كنا قوة منفذة للعالم — لتنفيذ القرار — وكأعضاء فى الأمم المتحدة وكمسؤولين وفيه مواد (٥١) تعطينا حق الدفاع الجماعى عن أرضنا .. السخ .

باختصار كان العالم كله قد قرر بالفعل أن حقنا واضح فى اجلاء إسرائيل عن أرضنا التى احتلتها فى ١٩٦٧ .

وقبل ١٩٧٣ كنا قد قمنا بالتمهيد الكافي على كافة المستويات لكي يتقبل العالم منا ما سنقوم به من أعمال دون استنكار وهذا شيء مهم جدا جدا وفي الماضي لم نكن نأخذ بالنا منه على الاطلاق •

اسرائيل هي التي كانت تفعل ذلك وتأخذ لنفسها الموقف المقبول دوليا أو التي تستطيع أن تبدو فيه وانها هي المعتدى عليها •• وبالتالي تصبح محل تعاطف دولي •

وأنا اعتبرت انه بين ربيع ١٩٧٣ عندما اعتدت اسرائيل على بيروت لتؤكد أن يدها الطويلة بمقدورها أن تملأ ارادتها على العالم العربي كله مادامت تستطيع أن تصل الى المخدع الشخصي لقادة المنظمة بملايس الجيش الاسرائيلي أقول اننى اعتبرت أنه من ربيع ١٩٧٣ (المظلم) الى خريف ١٩٧٣ أكتوبر المشرق حيث تم الانتصار لقواتنا العربية في مصر وسوريا على اسرائيل •• وتعزية موقفها أمام العالم كله •• اعتبرت أن ذلك هو نهاية المطاف بالنسبة لمساهمتي في الخارجية •• ويجب على أن اترك منصبى لغيرى من الرجال الكفاء لتولى المسئولية ومواصلة العمل على طريق الحل الشامل والنهائى للمشكلة بيننا وبين اسرائيل مادامت القضية قد تحركت بواسطة الحرب •• وأثبتنا لاسرائيل أننا نستطيع انتزاع زمام المبادرة وتحقيق خطوات إيجابية ومنتصرة في ميدان القتال •• وبعد ما أكدنا حقنا العادل في أرضنا أمام العالم كله •

ميدالية الامم المتحدة

واذكر بمناسبة العدل :

انه ذات مرة أرادوا عمل ميدالية للامم المتحدة واقترحوا أن تحمل شعار « السلام والتقدم » فطلبت من المندوب المصرى فى الامم المتحدة السفير عبد الحليم بدوى أن يخبرهم بضرورة اضافة

شعار العدل أيضا ويطلب ذلك لأن العدل هو الأساس للسلام وهو الأساس للتقدم ونجح في هذا وتم تغيير الميديات بالفعل وأصبحت تحمل شعار « العدل والسلام والتقدم » .

ومعنى ذلك في رأينا أن العدل هو الأساس اللازم للسلام الذى يمكن أن يحدث فيه التقدم . فالسلام الذى يقوم على غير عدل هو سلام زائل ولا يمكن أن يكون أساسا قويا للتقدم لأنه يحتاج أصلا الى أساس آخر هو العدل .

كنت دائما على ثقة بأن الحل الشامل هو الحل العادل . الذى يجب أن نقنع به الخصوم لأنه من الممكن أن نذهب الى المحكمة ونطلب ألف جنيه فتحكم المحكمة بنصف هذا المبلغ . فنضطر نقبل كلمات القاضى وقراره لأننا أصلا تعارفنا على أن القاضى كلمته مقبولة ، وعلى انه يقضى بالأمر . وذلك فى مجتمعنا البشرى . وهذا القبول هو العدل .

فالحل الشامل الذى يعطى للعرب حقوقهم وما يقبلوه هو الأساس لاقامة السلام الحقيقى الذى يمكن على أساسه أن يحدث ما نهدفه جميعا من تقدم ومساهمة فى ركب الحضارة العالمية . وأنا هنا أعبر عن نفسى ولا أستطيع التعبير عن غيرى فيما اختلفت عليه وجهات النظر ولأن التعبير عن رأى الشخصى أمر صعب .

كما اننى أعتقد أن الحل الحقيقى لمشكلات المنطقة يجب أن يكون حلا مقبولا دوليا .

وهل استطعت أن تنفذ ذلك عمليا مع الرئيس السادات ؟

— عندما قرر الرئيس السادات أن أكون مبعوثه الى رئيس جمهورية فرنسا الرئيس « جورج بومبيدو » والى رئيس وزراء انجلترا فى ذلك الوقت « مستر هيث » وسافرت فعلا فى آخر عام

١٩٧٣ وجدت أن دول أوروبا تشعر بالاستياء لعدم اشتراكها في وضع تصور لحل المشكلة دوليا .. وكان ذلك كما أوضح لي الرئيس « بومبيدو » ضرورة عملية وليس موقفا عاطفيا فقد قال : أنا صنعتي وأنا رئيس جمهورية فرنسا أن أخدم مصالح فرنسا ، وخدمتي لأي شيء آخر يتصل في الواقع بمصالح فرنسا ولذلك سوف أعفى نفسي وأعفيك من الكلام عن صلاتنا وصداقتنا — العالم حقائق — وأنا فيه مسئول عن رخاء فرنسا وتقدمها وفي عالم الحقائق رخاء فرنسا وتقدمها يحتاج الى اطمئنان .. الى سلامة •

وسلام بطن البحر الأبيض المتوسط أي الساحل الجنوبي الذي تقع عليه مصر واسرائيل وسوريا ولبنان والجزائر والمغرب وتونس وكل هذه الدول يعتبر استقرارها جزءا من تقدم فرنسا •

ولذلك أنا أريد السلام لهذه المنطقة وهذا التحليل الذي قال رئيس جمهورية فرنسا « بومبيدو » لم نسمعه من قبل •

وقال أيضا : ولكي أكون سليما اقتصاديا في أعمالى لأبد لهذه المنطقة أن تعيش مطمئنة سليمة حتى يمكنه التعامل معها ..

ولذلك أرى أنه لأبد من سلام شامل في هذه المنطقة سلام تقره ارادة العالم فاذا حكم على العرب بأن يتحقق لهم ثلاثة أرباع مطالبهم وليست مطالبهم كلها يكون هذا الكلام مقبولا ، لأنه صدر من القاضى الدولى ، ويجب أن نخضع له وننتهى بقبوله لأنه من القاضى ولا نطالب بما هو غير ممكن أى تحقيق مائة في المائة من رغباتنا ..

ماذا كان يقصد الرئيس بومبيدو بهذا الكلام ؟

— كان يريد أن يقول : اذا كنا نريد أن نستعيد فلسطين من النهر الى البحر فهذا الطلب اذا نظرنا له منطقيا ودوليا يمكن أن نجد له مدافعين مهرة جدا •

وما حدث سنة ٤٨ ، ٦٧ يجب أن يصحح هذا ممكن جدا ..
لكن « بومبيدو » يريد أن يقول : ان هذا الكلام سيسطدم بعقبات
صعبة جدا منها عقبات الوجود البشرى فى المنطقة الآن ، ووجود
بشرى لآخرين خرجوا من المنطقة .

والعالم سيقول مثلا : يرجعوا الى حدود التقسيم ..
وهذا الكلام يأتى شخص ينتقده لكنه يقبله لأنه فرض من
الحاكم المعترف به من الامم المتحدة والعالم كله ..
الفرض الدولى للحل يمهد لقبوله حتى عند الذى يرى انه
يستحق أكثر ..

وبالتالى يعطيه الشرعية اللازمة للقبول الدولى ويعطيه الامكانية
اللازمة للقبول العربى والقبول الاسرائيلى والقبول اليهودى ...
السخ .

وكما يقبل المتخاصمون أمام المحاكم فأنا أريد أن أقول
أن الحل الشامل ينبغى أن يكون حلا دوليا وهذا الكلام قد يبدو
بسيطا انما له أبعاده وأعقده انه لن يتم سلام حقيقى يشعر به
أولادنا بعيدا عن الحرب والقتل والقتال كل فترة وأخرى ويظمن به
الا اذا كان الحل حلا شاملا ومقبولا فى المنطقة وفى العالم .

وحدة العرب

كيف يرى د. الزيات العالم العربى حاليا ؟

— العرب يمكنهم أن ينقذوا أنفسهم ويمكنهم أن يهلكوا
أنفسهم ذلك لأن العالم العربى فيه الآن امكانيات تنمية تحتاج الى
رأس المال وتحتاج الى القدرات البشرية وكلها موجودة داخل
العالم العربى .

وبالتالى العالم العربى كوحدة قادر على أن ينهض بنفسه الى مرحلة التقدم اذا استعملنا امكانياتنا بصورة رشيدة .. فالقدرات البشرية موجودة والموارد موجودة ولو تعاملنا بكل ذلك مع العالم الخارجى كوحدة اقتصادية يمكننا التأثير فى الساحة الدولية .. يمكن جدا أن نتعامل مع العالم الخارجى ونحن وحدة متماسكة اقتصاديا على الأقل من خلال مفهوم واضح للعمل المشترك .

وكتلة .. كسوق .. كمجموعة يمكننا أن نتعامل مع العالم الخارجى غربه وشرقه ونؤثر فيه اذا حدث ذلك فاعتقد اننا يمكن أن نصل الى مرحلة عظيمة من التقدم .. أما اذا بقينا كل دولة فى امتنا العربية نتعامل بمفردها مع العالم الخارجى .. فهذا من شأنه أن يؤخر التقدم العربى بسبب اهدار عامل الزمن وعامل الموارد المتاحة .

ومن المحزن أن يظل هناك فى العالم العربى حتى الآن من لا يدرك حقيقة أن تقدم العرب لن يكون الا باتحادهم وبمعرفة مواطن القوة الذاتية لهم مجتمعين فى أى شكل من أشكال التوحد .. ولأن تقدم أى دولة فى المنطقة لن يكون الا اذا تقدمت المنطقة كلها ..

استقالة

سبق أن قلت أن عمك فى الخارجية انتهى بعد أكتوبر ١٩٧٣ .. هل اتخذت خطوات عملية بهذا الشأن ؟ وماذا كان مصيرها ؟

— لقد عرف فى ذلك الوقت اننى تركت وزارة الخارجية لى أكون مستشارا لرئيس الجمهورية للشئون الخارجية ..

ولكننى فى الحقيقة قدمت استقالتى يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ لرئيس الجمهورية الرئيس محمد أنور السادات الذى رفض الاستقالة وكلف صديقى السفير حافظ اسماعيل بإبلاغى ذلك .

وما هي الدوافع الحقيقية لهذه الاستقالة ؟

— انا وجدت انه في آخر أكتوبر ١٩٧٣ — كيسنجر كان له رأيه الذي يقول أن سياسة الخطوة خطوة هي التي تحل المشكلة وهذا في اعتقادي أمر طيب لا اعتراض لي عليه .. أى على سياسة الخطوة خطوة لكن بشرط واحد هو أن أعرف ما هي غاية السعى والمطاسف والخطوة خطوة إلى أين ؟

وسياسة الخطوة خطوة معناها معالجة المشكلة خطوة خطوة وليس معالجة المشكلة كلها مرة واحدة ..

وكيسنجر كان يقول لو أن الولايات المتحدة حاولت أن تحل المشكلة مع الصين مرة واحدة لعجزت نهائيا لأنها كانت ستتجد نفسها أمام معنى هل سنعترف بالصين الوطنية أم بالصين الشعبية .. فيحدث الاصطدام والتوقف لكن أخذت المشكلة معى الخطوة خطوة وبدأت اميركا فى انشاء مكتب لها فى بكين ثم أصبح المكتب سفارة ثم التحولات التى حدثت بعد ذلك ..

على كل حال أنا قلت أريد أن أعرف رأى اميركا فى الحل النهائى وليس رأى اسرائيل أريد رأى اميركا ؟ حتى أعلم المضمون الذى سنتفق عليه فى الحل النهائى ونبدأ التنفيذ خطوة خطوة فى حالة موافقتنا على مضمون هذا الحل النهائى الذى قالته اميركا لكن فى نفس الوقت قد يكون الحل النهائى مرفوض لنا وغير مقبول اطلاقا لابد من معرفتى بكل وضوح أن الخطوة خطوة هي محاولة جادة للوصول للمخطة الأخيرة النهائية بعد التغلب على كل الصعوبات التى ستقابلها ويتحقق فى النهاية الهدف المرجو منها والذى سبق أن وافقنا نحن عليه ..

باختصار كنت أود معرفة هل المقصود هو أن يحل الموضوع العربى كاملا ، أن يوجد حل شامل لكل مشاكل المنطقة أم لا .. ؟

لأن المنطقة لا يمكن أن تعيش وجزء منها في سلام وجزء منها في حرب ، لا يمكن إطلاقاً أن يعيش الإنسان وجزء منه جر ، وجزء منه مستعبد ، ولا يمكن أن تعيش المنطقة العربية وهي جسم غير متكامل كما أرى •

وقد حدث السلام في جزء ولم يحدث السلام في الجزء الآخر وهذا هو رأيي وقد أكون صائباً فيه أو مخطئ لكن ولكي أكون بالفعل مخطئاً في هذه الحالة على السيد الرئيس أن يستمر في سياسته لكن بغيري •

هل معنى ذلك انه حدث خلاف بينك وبين الرئيس السادات ؟

حل متكامل

كان تصوري اننا يجب أن نستغل ظروف انتصارنا في ١٩٧٣ لكي نصل الى حل متكامل مرة واحدة في المنطقة •• نتفاهم على الحل الكامل لأنه حتى لو أخذنا المسائل في شكلها المادي اقامة مصنع مثلاً •• اذا أردنا اقامة مصنع ضخم في جزء من أجزاء المنطقة قام فيه السلام ، بينا أجزاء أخرى غير قائم فيها السلام فليس هناك ما يمنع من الأجزاء التي ليس فيها السلام أن تدمر الأجزاء التي بها السلام على كل حال يوجد هنا التشكك عند صاحب رأس المال •• والحذر هو ما يدفعه الى الهرب من هذا المكان •• لأن المنطقة متكاملة وليست منطقة أجزاء •• وهذا كان موقفي الذي يحدد رؤيتي للقضية سواء كان يتفق معي الآخرون أو يختلفوا •• المهم أني كنت مقتنعا به •

هل يمكننا القول بأن سياسة الخطوة خطوة كانت وراء تجزئ انسحاب اسرائيل من الأراضي العربية ؟

— أنا أتصور أن ذلك صحيح الى حد ما •• وما وصلنا إليه من نتائج يؤكد ذلك وأزمة — اليوم — منع اسرائيل هي أن الجزء

الذى يخص سوريا ويخص فلسطين لم يتم وكذلك الاردن • فيما يخص سوريا كان يجب أن ينطبق عليه ما ينطبق على مصر الآن الحدود الدولية قائمة ما بين سوريا بما فيها « الجولان » وبين فلسطين تحت الانتداب البريطانى التى أصبحت تعيش فيها اسرائيل الآن ، هذا الجزء تحدده حدود دولية قائمة استولت عليه اسرائيل •• لماذا تم ذلك ، لأنه لم يتم فى ١٩٧٣ محاولة لتحاىي سياسة الخطوة خطوة والتأكيد على ضرورة الحل الكامل الشامل •

والبعض يرد على كثيرا بأننى لو كنت أدرى أو أكثر معرفة بحقائق العالم العربى العسكرية والمادية الأختلف رأىى •• وقد يكون هذا صحيحا ولذلك كل ما فعلته أن طلبت من الرئيس السادات أن يعفنى من العمل فى وزارة الخارجية لأنه ليست عندى هذه المعلومات التى تحدثوا بها •

وعلى كل حال يمكن وجود شخص آخر يستطيع أن يقوم بهذا العمل كوزير للخارجية بدلا منى •• وبطريقة ترضيه وترضى السياسة المصرية فى ذلك الوقت •

معارضة

وهل كان ذلك يمثل قدرا من المعارضة لسياسة السادات فى ذلك الوقت ؟

— لم يكن عندى من الاحتجاج ما يدفع الى المعارضة لكن كان لدى من الشك ما يدفع الى عدم الاشتراك •• وأخشى أن يكون مرور السنين قد أوضح الآن اننا سنوجد السلام فى جزء من أجزاء المنطقة ولا نوجده فى أجزاء أخرى •• والمنطقة فى رأىى هى كل متكامل مع ما آخذه على الاخوة العرب من كثير الأخطاء •

مع اعتقادي أننا جميعا كل متكامل ولا بد أن ينشأ السلام في المنطقة كلها وأن يكون شاملا لها لكي تستطيع أن تتصرف الى ما تتصرف اليه الامم المستقلة القيمة على نفسها والمساهمة في التقدم البشرى واعادة صوت العرب في اقامة الحضارة الانسانية كما كان في الزمن البعيد •

والحكم على الشيء يجب أن يكون من خلال حقائقه وأنا من أكتوبر ١٩٧٣ حتى فبراير — ١٤ فبراير بالتحديد عام ١٩٧٥ كنت مستشارا لرئيس الجمهورية للشئون الخارجية •

وقد فوجئت بأن مكتبي وأنا مستشار لرئيس الجمهورية هو نفس مكتب الملك فاروق في قصر عابدين وكان مكتبا عظيما وكان ذلك يعنى محاولة ارضائي معنويا أكثر منه كدافع العمل • • فقد كنت في الحقيقة لا أمارس أى عمل •

أنا على كل حال أقول هذا الكلام ، ولم يعد عندي ما يكفى للحكم على ما تم من تطورات أو لكي أحكم على ما حدث •

وهل قبلت أن تظل هكذا في منصب شرفي وفي مكتب فخم بلا عمل حقيقى ؟

— لا بطبيعة الحال • • فقد قدمت العديد من الطلبات للرئيس لكي يعيننى من هذا المنصب • • لكنه كان يرفض • •

وفي ١٤ فبراير عام ١٩٧٥ وصلت الى سن الستين وكان معنى ذلك أن أحال الى المعاش •

وشاح النيل

وقد منحني الرئيس السادات بهذه المناسبة وشاح النيل ..
وهذا الوشاح يعطى فقط لرؤساء الوزارات وقد منحني الرئيس
اياها كتعويض عن التكريم ، لكن هذا التكريم لم ينعكس على عمل
أو على مسئولية حقيقية ..

وهذا ما أردت أن أوضحه وأنا أتحدث عن مكتب الملك فاروق
وانه مكان جميل ودافئ ورائع لكن لم يكن داخلا في السياسة
المصرية أو في المسئولية المصرية الحقيقية عن العمل .. كان خارج
الدائرة المسئولة .

قوة مؤثرة

نسيت أن أقول انه لما طلب مني أن أعمل كمتحدث رسمي باسم
مصر لاحظت أن الصحافة ووسائل الاعلام هي قوة من أكبر القوى
تأثيرا في العالم الذي نعيشه الآن القوة التي تقود الفكر البشري
هي الصحافة ووسائل الاعلام وفي الحقيقة زمان حينما كان يظهر
فيلسوف أو رجل كبير أو رسول — أو قطب من الأقطاب كان يصبح
هو قائد الفكر ..

ثم بتطور الزمن وظهور المطبعة والتلفزيون الآن والاذاعة من
قبله أصبح المراسل الصحفي والمراسل الاذاعي والتلفزيوني والكاتب
الصحفي والجريدة والاذاعة والتلفزيون ووسائل خطيرة جدا ..
لا مبالغة أن نقول اننا نعيش في عصرها الآن .. وهي الحاكمة
الحقيقية .

لولا التلفزيون الأميركي ما انتهت حرب فيتنام ، دخول التلفزيون
الأميركي الى البيت الأميركي الكل كان يستعرض حجم المأساة
وهل هو صائب أم على خطأ في اشتراكه في هذه الحرب .. وهذا

الكلام ينطبق على كل الناس واسرائيل تعرفه جيدا .. ولذلك
تنزع نفسها دائما في وضع الدولة المستضعفة المسكينة المعتدى
عليها ، الدولة الصغيرة التي يحيط بها الذئاب من كل مكان ونحن
كلنا نساعد على ذلك اعلاميا ونفتخر بأننا ذئاب قوية جدا جدا ..
وسوف نفعل كذا وكذا .. السخ •

في سنة ١٩٧٣ دخلت قوات اسرائيلية الى بيروت وذهبت الى
أماكن عامرة بالسكان ودخلت الى البيوت وقتلت زعماء فلسطينيين
في فراشهم ثم انسحبت عائدة الى أماكنها آمنة سالمة .. وهذا العمل
عندما نؤرخ لحرب ١٩٧٣ يجب أن نضع ذلك في الاعتبار وانه هو
بدء الحرب في ١٩٧٣ لأن هذا العمل أزعج مصر جدا وأزعج الرئيس
السادات الذي طلب منى الاتصال بوزير خارجية لبنان للتعرف على
مسار تصرف حكومته ازاء هذا الحادث ، فوجدنا الموقف اللبناني
متريدا وطلبنا على الفور عقد مجلس الأمن وحينما عقدت الجلسة
تحدثت فيها بصفتي وزيرا لخارجية مصر في ذاك الوقت وطرح
القضية برمتها وطرحتم مشكلة القرار رقم ٢٤٢ أيضا لاعادة النظر
فيه وكان للصين موقف في هذا الخصوص اذ كانت لا تدلى بصوتها
وبالتالى أصبح عدد الاصوات بمجلس الأمن ١٤ صوتا فقط بدلا
من ١٥ صوتا .. منهم دول مثل انجلترا أو فرنسا ودول مثل
النمسا ورئيسها كرايسكى من أصل يهودى ومنها استراليا وهى
الدولة التى أرسلت اليها مستورا « منزييس » سنة ١٩٥٦ .. المهم
اننا تعمدا أن نطرح القضية برمتها لكي يرى العالم كله اننا على
حق • • هذا وقد طفت بكل هذه الدول وقابلت جروميكو في
روسيا وطلبت منه أن نعرف الحد الأدنى من امكانيات الحل
الدولى وقابلت كرايسكى ولا أنسى ما انتهت زيارتنا اليه وتعليماته
لندوبه في الامم المتحدة أن يكون الى جانبنا ولأول مرة استراليا
تأخذ الموقف المساند بالكامل •

... وقدّمنا مشروعا جديدا يعدل القرار ٢٤٢ في فقرتين رئيسيتين
.. الفقرة الأولى كلمة « أراضى » الجلاء عن أراضى أو الأراضى
ومشكلة الألف واللام ..

وطلبنا أن ينص القرار صراحة على الرجوع الى الخطوط
التي كانت فيها القوات الاسرائيلية عام ١٩٦٧ يوم الخامس من
يونية وبوضوح شديد ولم يعد هناك معنى للتلاعب هل هى الأراضى
كلها أم مبدأ أراضى كما كانوا يقولون .. أصبحت المسألة شديدة
الوضوح وضرورة الانسحاب من كافة الأراضى التى اجتلتها اسرائيل
يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ وما بعد هذا التاريخ والفقرة الثانية والمهمة
بجدا هى :

النص صراحة على حقوق الشعب الفلسطينى .. وهذا القرار
قدم ويجب ألا ينسأه العالم العربى حتى يقوى مركزه فى أى مفاوضات
أو فى أى مباحثات لأن مجلس الأمن وافق عليه بالاجماع فيما
عدا الولايات المتحدة الأمريكية التى استعملت حقها فى الفيتو
وبالتالى لم يصدر القرار رسميا عن الامم المتحدة ، ولكنه ثابت
ومسجل فى سجلات الامم المتحدة كراى العالم كله .. أوروبا
الغربية ، أوروبا الشرقية ، اميركا اللاتينية ، آسيا ، افريقيا ،
العالم كله ، الضمير العالمى كله ممثل فى هذا القرار الصادر وفيه
هاتان النقطتان وهو تحديد أن الجلاء هو الى خطوط ٥ يونية
١٩٦٧ وتحديد أن حقوق الشعب الفلسطينى المشروعة يجب أن
تتحقق .

الباب السابع



الجانب الآخر للدكتور الزيات
في الفن والثقافة والأدب

موجز :

* نجاح المسرح الشعري يرد على اتهام الجمهور بأنه

« عاوز كده » ..

* الصحة الثقافية تؤدي إلى نهوض الوطن وتأكيد حريته ..

* التخلي عن الفصحى واستعمال « العامية » في المسرح

خطا فادح ..

* مشكلة القراءة لدينا ليست بسبب ارتفاع الأسعار ولكن

بسبب تغير القيم ..

* الثقافة ليست مسؤولية المؤلف وحده فالتلقى له دور ..

* جمهور التلفزيون يميز العمل الجيد ويطلب المزيد منه ..

أزمة الثقافة

على جانب آخر من شخصية الدكتور محمد حسن الزيات يكون ذلك الوجه المثقف المحب للثقافة العاشق للفن .. ولهذه الحياة الزاخرة بالفكر والفلسفة والأدب .. عن هذا الوجه كان السؤال :

نحن نسمع كثيراً الآن عن أزمة في الثقافة وإدانة لهذا العصر ولهذا الجيل من المثقفين ..

فما رأى الدكتور الزيات في هذه القضية ؟

— اذا كان هذا مبعثه الرغبة في الوصول الى الأحسن أو التطور نحو الأرقى .. فهذا « كويس » لأن الرضى عن الواقع تعطيل عن الطموح لكن أظننا بالغنا شيئاً ما في هذا التصور لأنه بالفعل يوجد مجهود ثقافى كبير فى البلد .. وأنت ذكرت « الوزير العاشق » فى المسرح وأنا كان لى حظ مشاهدتها(*) وأعجبت بأشياء كثيرة جداً فيها .

أولاً : أعجبت بالدولة التى تسمح بتمثيل هذه القطعة الرائعة من الأدب ، حقيقة بغير أى مصادرة أو تخوف أو تردد فى سماع ما فيها من انتقادات .. وخلافه .

ثانياً : ان هذا يمثل عودة لاهياء المسرح الشعرى الذى افتقدناه منذ عصر أحمد شوقى — والشاعر فاروق جويده — شاعر شاب استطاع أن يجتهد ويجتذب انتباه مشاهديه « واللى يقولوا الآن أن رواد المسرح أصبحوا من طبقات معينة وعازيزين حاجيات

(*) التقيت فى قاعة العرض بمسرح السلام بالقاهرة بالدكتور الزيات وحرره أمينة طه حسين وتبادلت معها التحية ، وبالصدفة كانت السيدة جيهان السادات تشاهد العرض أيضاً .

معينة .. فان هذا المسرح الجاد يرد عليهم « .. أو يضع النور في الظلام ضد الاتهامات الموجودة عن الجمهور المصرى أو عن اتجاهاته ورغباته » أو انه عايز كده •

وثالثا : الأداء — أداء الممثلين والمخرج أيضا — التمثيل كان بالصدق والاخلاص لابد أنؤكد اعجابى الشديد بالسيدة الفنانة سميحة أيوب والسيد الفنان عبد الله غيث(*) والمغنية الشابة عزة بلبع ، وكل الممثلين الموجودين سواء فى الخير أو الشر ولنا أن نتصور أن تمثيل وصدق وصوت وأداء سميحة أيوب مثلا خرج بنا عن التأمل فى المنظر ، وكان يخاطب مباشرة القلب والوجدان والعقل — فلم نعد نتخاطب بالعين .. ولا نشاهد المنظر فقط بل أصبح الأداء شيئا يتجاوزنا الى مخاطبة العقل والقلب مباشرة .. لقد كان ذلك شيئا عظيما أعجبني •

الابـرا

قلت له : وما رأيك فيما تقدمه دار الابرار من أعمال كلاسيكية ؟

— قال : اذا انتقلنا الى هذا الجانب من حياتنا الثقافية المعاصرة فقد كان لى لقاء مع سهرة موسيقية رأينا فيها الفنان « يوسف السيسى » يؤدي موسيقى كلاسيكية معروفة ، لكن يؤدي أيضا قطعة لعزير الشوان الفنان المصرى .. قطعة موسيقية لا نقول انها تنقل عن الموسيقى العالمية .. لا أريد أن أقول انها من روائع الموسيقى العالمية بالفعل •

واريد أن أقول أن الصحة الثقافية هى التى تؤدي الى قيام الوطن والى قيام حضارته وقيام حريته .. هذه امور مترابطة جدا ولا تحتاج الى جدال •

(*) رحل الفنان عبد الله غيث عن دنيا قبل صدور الكتاب •

وإذا كان للمصريين والمثقفين أن يعتبروا أو يلاحظوا أو ينتقدوا الحياة الثقافية في مصر فهذا حقهم ، لكن لا يجوز لهم أن يروا الليل بدون رؤية النهار .. ولا يجوز لهم رؤية الاسود بغير الأبيض .. لأنه إذا سيطرت علينا حالة اليأس يكون خلاص ، الأمر انتهى .

أنا تسأف إذا كان عندنا ما يدعو الى انتقاده .. فأنا أرى أيضا ما يدعو الى الاعجاب به والتقدير له .. وأنا لست ناقدا مسرحيا ولا أيضا من نقاد الموسيقى .. انما هذه امور الواحد يطلع منها وهو كبير الأمل في مصر ليس في الثقافة فقط .. ولكن في مصر كلها .. وفي مصير مصر كلها .. لأن البلد السقيم لا يستطيع أن يؤدي شيئا صحيحا انما اذا كنا بنؤدى ما يعجب (انت عارف قصة جحا وحمارة وابنه — دي قصة من أزوع القصص الآن الانسان لا يستطيع أن يرضى كل الناس) فيه عندنا في الميدان الثقافى من يحاول أن يرضى شكل معين — رغبة معينة — ومن لا يرضى الآخرين .. أنت لو ذهبت لبلد مثل نيويورك تجد فيها ما يرضى جميع العناصر .. بكل اختلافها بين أعلى طبقات الثقافة وأكثرها انحطاطا .

اللغة العربية

وفي رأى أن الاستغناء عن اللغة الفصحى في المسرح واستعمال العامية خطأ فادح .. وهذه فرصة للحديث عن قضية اللغة العربية الفصحى وتحويلها الى اللغة العامية على بعض مسارح الدولة .. وهذا يعتبر من الأشكال غير المقبولة وتحدثت في ذلك الى السيد سمير سرحان المسئول عن الثقافة الجماهيرية أيامها ..

عبد القادر المازنى كان ينطق اللغة العربية والعامية .. ولكن ليس بهذا الشكل .. إنها فصحى تقترب من العامية ..

إن اللغة العربية الفصحى ليست هي لغة الهم والغم ..
واخطار اللغة العامية .. أبرزها في رأيي هذا الخطر السياسى ..
لأنه اذا تحولت البلدان المختلفة الى ما يناسب لغتهم العامية
ويحاولون توصيلها أو ترسيخها سيحدث عندنا في يوم من الأيام
كما حدث في أوروبا .. تصبح اللغة اللاتينية لغات متعددة ومتفرقة
وكثيرة جدا وهذه اللغات المتعددة المتفرقة تفرق شعوبها .. واللغة
العربية بقيت معنا منذ أكثر من ألف وأربعمائة عاما وليست بها
صعوبة مثل اللغة الإنجليزية .. ليس عندنا مثل هذه الصعوبة
لا توجد عندنا فروق منذ بدء اللغة العربية قبل العصر الاسلامى في
الجاهلية حتى الآن يمكن للشخص المتعلم أن يقرأ وأن يفهم ويمكن
للشخص الموجود في أى بلد عربى أن يفهم ويقرأ أو يعجب بما يكتبه
كاتب في بلد عربى آخر أو في المغرب مثلا .. وليس من حقنا أن
نضيع ذلك .. هذا شيء هام جدا وأى عمل قد نتج عنه تفرق في
الثقافة العربية عمل يحسن تجنبه ..

ولكن طبعا الدفاعات كثيرة جدا لمن يكتبون العامية منها الواقعية
وما الى ذلك .

ولكن اللغة العربية الصحيحة يجب أن تكون هي المسيطرة على
الثقافة بمعنى أن لها اليد الطولى واليد العليا ، وهذا غرض سياسى
الى جانب انه غرض ثقافى .

ثم ما هو الفرق بين النقل الفوتوغرافى للحياة اليومية والنقل
الفنى ؟ الأول أن تنقل الشارع بما يأتى به من عامية والى آخره ،
والثانى أن تنقل هذا كله الى مستوى آخر .

القراءة

ورغم أعبائي السياسية فأنا لا أعمل ٢٤ ساعة مثلاً .. ومن الممكن أن أذهب للمسرح لكن من مدة طويلة لم أذهب اليه كما اننى لم أجد من قبل المسرح الذى يستحق أن أراه .. وعندما رأيت مسرحية « الوزير العاشق » سعدت بهذه الرؤية وبهذه المشاهدة ، وإذا كانت حياة الانسان فى ٢٤ ساعة تتسع للاكل والشرب والنوم فلا بد أن تتسع أيضاً للقراءة والقراءة خارج العمل والمكتب يجب أن تتسع للقراءة الثقافية والمسرح الثقافى •

كنت فى طفولتى فى دمياط اذهب لأحد الناس الطيبين اسمه « الشيخ على القاضى » فى الشارع التجارى وأقوم بأخذ عدة كتب منه وأدفع له مقابل القراءة قرش صاغ فى الاسبوع كله .. وبعد الانتهاء من القراءة أذهب اليه وأعطيه الكتب وأخذ كتباً أخرى بالقرش صاغ .. وهكذا كانت هناك طرقاً كثيرة للقراءة ومتنوعة وكنا نبحث عن الكتاب والثقافة باهتمام بالغ حتى بالمصروف اليومى ممكن اشترى به الكتاب .. المسألة أو الحقيقة ليست فى تغيير أسعار الكتب فقط وارتفاع الأسعار لا يهم .. انما فى تحول القيم .. المهم ما هى قيمة الثقافة والقراءة عند الناس .. وهل هذا الشخص موجود الآن ؟

الطفولة أيامنا كان الشخص يتميز بثقافته .. فى عهد سابق كان يتميز بعلمه الدينى مثلاً ، ثم أصبح يتميز بثقافته ووعيه لما حوله من قراءاته .. فهل الانسان الآن يتميز فى مجتمعنا بما يقرأ أو بما يعلم .. أم يتميز بما يملك .. وما هو موجود فى جيبه ؟

هذا التحول فى القيم .. نقل المال من يكون وسيلة الى أشياء أعلى ، الى أن يصبح هو نفسه غاية .. هذا شئ هام من جهة التحول من جهة المجتمع الذى نعيش فيه •

المنافسة

شئ آخر .. دخول المنافسة القوية جدا ! الكتاب ..

في الثلاثينات كتب استاذى العميد د . طه حسين رحلة في الصيف واكتشف أن هناك راديو كيف يكتب ؟ كيف سمع وعلم أن هناك شئ اسمه الاذاعة الصوتية .. واه فيها ملاحظات : هذا الاكتشاف أنا عشت ما قبل الاذاعة وما بعد الاذاعة والاذاعة دخلت بيوت الناس كلها واجتاحت الحدود الدولية ، وأصبح من الممكن أن تدخل اذاعة اميركا أو روسيا أو ايطاليا الى القاهرة أو بلادنا في كل مكان بغير اذن وبغير تأشيرة .. دون طلب لأنه لم يعد من الممكن ايقافها عند حدود الدول ثم جاءت الاذاعة المرئية « التلفزيون » •

واذن أنت تشاهد الآن .. ان العالم كله يعيش على المسلسلات وأن الناس لا تخرج من بيوتها في وقت معين حتى ترى ماذا حدث في تتابع حلقات المسلسل .. للبطل أو البطلة وهذا ليس شيئاً يخص مصر وحدها ولكن في الخارج مسلسلات تفضل عايش فيها مع أسرة فيها منازعات وخناقات وحب وقتل وزواج وكره وطلاق سنوات طويلة مدة طويلة جدا .. هذا في العادة يشاهد في وقت تكون فيه سيدات المنازل يعملن .. يفتحن مثلاً على الاوبرا ويتفرجن عليها في التلفزيون •

ومن هنا قل اهتمام الناس بالثقافة لأنها لم تعد هذا الشئ المميز للمواطن .. أصبح عنده ما يميزه أشياء أخرى .. التميز المالى .. التميز بالمكانة .. النجاح التجارى ، النجاح الاقتصادى .. الخ •

هذه أمور تختلف عن ذى قبل .. والكتاب داخل الدائرة الثقافية أصبحت له منافسة أخرى ومنافسة قوية جدا ولا أقول فقط الاذاعة المسموعة أو المرئية ، ولكن أقول أيضا الكاسيت أصبح

الآن في أى مدينة محلات بيع الكاسيت أكثر كثيرا من محلات بيع الكتب .. هذه حقيقة علينا أن نعترف بها *

قلت له : وما الحل في تصورككم ؟

— قال : لو نظرنا لارتفاع سعر الكتاب في الواقع نجد أن الكتاب دائما كان شراؤه عبارة عن عملية كمالية .. حتى أثناء فترة رخص الأسعار .. كان أيضا رغيف الخبز رخيصا الى آخره ..

وفيه فرق حتى الآن أن يكون الكتاب كماليا وأن يكون معجزا صعب المنال *

وإذا كان الكتاب سعره مرتفع فلا بد أن تنشأ عندنا صناعة الكتب التى يسمونها بالخارج كتب مطبوعة على ورق أقل تكلفة وبشكل أكثر انتشارا وتباع مع باعة الكتب ..

وأعتقد أن « أخبار اليوم » أخرجت مثل هذه السلسلة .. ولا بد أن نكتف ونكثر من المكتبات التى تعير الكتب .. كما كتبت أنا أستعير الكتاب فى طفولتى بقرش صاغ واقترح أن يكون هناك دور للثقافة فى ذلك مثلا .. لماذا لا يتعاون الناشر والمؤلف والمسئول فى قصور الثقافة فى المحافظات فى تزويد هذه القصور بالكتب بغير ربح مثلا .. وتعطى الفرصة للقراءة ميسرة .. والكتاب موجود ومن الممكن الاستعارة بعد ذلك .. حتى لو كانت بثمن لكن قليل ومقبول ومعقول ..

وأنا أرى أن المسألة فى قضية الكتاب وارتفاع سعره .. غير ذلك استكمالا لما قلته : أرى انها قضية الكتاب وما يكتب فيه .. وليس فقط صعوبة الشراء لارتفاع الأسعار الحالية للكتاب ..

كتب قيمة

أهم شيء هو ما يكتب في الكتاب .. انه مثل الرحيق .. القراءة والكتاب مجهود واحد بيدررس ويعمق ويستخلص نتيجة دراسته وبعدين هذا كله يتكون داخله عصير *

والأصل : كيف اشترى كتابا له قيمته ؟

وليس كيف اشترى كتابا رخيصا ؟

الكتب القيمة .. كيف نصل اليها .. وقبل أن نصل الى أزمة الكتاب لابد من النظر في أزمة أخرى هي أزمة الكاتب *

ونجد أن السؤال المطروح هو : هل يجهد الكاتب المعاصر نفسه في التحصيل ؟

هل يتكون داخله من حصيلة ما يقرأ وما يدرس ما يستحق أن ينقله الى القارئ ؟

ثم كيف يصل الى القارئ .. ؟

وحقيقى لدينا أزمة في ارتفاع الأسعار الخاصة بالكتب وذلك لأن أسعار الورق مرتفعة جدا لكن هناك أزمة قبل هذا .. وهى ماذا يوضع فوق هذا الورق من تأليف الكتاب ؟

الأزمة عندنا أولا أزمة المؤلفين ثم أزمة الكتاب ونعود الى معنى هل يكتفى المواطن بالاستماع والنظر دون القراءة ..

شيء مهم

ولكن هناك مؤلفون لهم كتب قيمة ولهم تاريخهم وتراثهم الثقافى المعروف ..

هذا صحيح .. ولكنهم قلة .. والسبب فى ذلك أو أحد أسباب

ذلك أنه لم يعد الآن فيه جائزة في المجتمع للكاتب المجد ترفعه الى الصفوة كما كان الحال قبل ذلك .. بمعنى انه في الماضي عندما كان يظهر أحد الشعراء في قبيلته البدوية مثلا .. كانوا يحتفلون به .. وهذا يعكس ما كان للشعر من مكانة كبيرة فليكن الشاعر سوف يعبر عن قبيلته ببراعته ، بعد كده جاء دور الكاتب بحكم أنه كاتب يصبح الكاتب الكبير عباس محمود العقاد أو كذا أو كذا ويصبح هو نفسه قيمة وما يكتبه قيمة ويحس بذلك أنه قد وصل الى مكان الصدارة بين الصفوة هذا شيء مهم جدا .

الآن .. هل المجتمع عندنا يجلب الثقافة والمثقفين يجلب الكتابة والكتاب في الثقافة وليس في السياسة .. هل يجعلهم في مكان الصفوة ومكان الصدارة حتى يحترم أو يجيد ؟

أن يصل كل كاتب الى هذه المكانة أم لا ؟ هذا هو السؤال والإجابة عليه تحتاج الى جهد أكثر ووقت أكثر إنما الآن يمكن القول أن الصفوة في المجتمع لم تعد وسائل الوصول اليها هي الاجادة أو القدرة على التعبير والثقافة واطهار سحر الكتابة لأنه سحر الحقيقة الوصول اليه بتعلم وسائله وتلقى أصوله من ألف كتاب ، من ألف لغة ، من ألف مكان .. قصدي من أماكن متعددة لا أدري .. يمكن يكون شيء من الأمل في الحياة التي حولي .. ولكن أنا شايف ان الثقافة لم تعد من وسائل الوصول الى مكان الصفوة في المجتمع ..

وأنا من خلال ترأسي للجنة الثقافة والاعلام داخل مجلس الشعب تمنيت التبصير باسم الشعب ويكون عمل اللجنة الحفاظ على الدستور خاصة المادة التي تقول كل الحقوق مصدرها الأمة .. ولو وصلنا الى هذا المعنى نكون وصلنا الى مكانة كبيرة جدا ..

الدور الذى تلعبه الثقافة والاعلام الآن من أخطر الأدوار كما يتردد
والنهاردة نحن نترزع لغة الحضارة فى المكاتب •

التليفزيون لا يربى •• انه يفسد •• اقيم تضيع •• المثل
تضيع •• الاخلاقيات ضائعة ••

وما هو دور لجنة الثقافة والاعلام فى مجلس الشعب بهذا
الصدد ؟

— أقول لك اتنا ونحن فى مجلس الشعب أعددنا عدة جلسات
استماع فى داخل لجنة الفكر والثقافة والاعلام قبل أن نحكم على
الأمور •• نريد أن نتعرف ، لا نريد أن نقول بما نحس به ولكن
نريد أن نقول بما نعرفه ونستنتج من التعامل مع كل المشتغلين فى
مجال الثقافة وهذا هو دور لجنة الثقافة والاعلام بالمجلس قبل أن
نتعامل مع المسئولين عن الثقافة يجب أن نتقابل مع الذين يشتغلون
بالثقافة ولهم هموم يريدون أن يطرحوها •

المشتغلون بالثقافة فى الصحف والمجلات الفنية والاذاعة
والتليفزيون والسينما والكتب تقابل الجميع تستمع اليهم ثم تضيع
يدها على مكن الداء وتقترح الدواء •

وبالمناسبة احب أن أحكى لك حكاية ونحن نتحدث عن الفنون
المختلفة •• عن الخط العربى وأين هو الآن •• سعد باشا زغلول
فى يوم من الأيام طلب منه أن يكتب كلمة •• وقدموا له قلمًا وورقًا
فكتب هذه الجملة : خط هذا القلم جميل فى غير يدي ••

وخط سعد باشا زغلول (كان سيئًا) وأنا لا أشبهه بسعد باشا
زغلول هو كبير طبعًا ، ولكن أنا خطى أسوأ من خط سعد باشا زغلول
وكننت أتمنى انه يصحح لى هذا الخط وأنا صغير وحتى لو كنت
أكتب الآن بخط سيء •• فانه بيطلع فى الجرنال وسيشتر عكس

المكتوب بمعنى أن الخط اذا لم يكن جيدا ممكن يؤدي الى عكس المعنى المقصود .. ولكننى أريد أن نفهم أن الثقافة تبدأ منذ الصغر ومن كل هذه الأشياء الصغيرة والبسيطة ..

وفي المدارس الأجنبية مثلا يبذل الجهد الكبير جدا .. قبل التعلم والتعليم .. مثلا دراسة شكل الحرف كيف تكتب بشكل جميل .. ونحن صغارا كنا نمسك بالقلم البسيط وهو قلم من الغاب .. كانت محاولات من أجل ايجاد الخط الجميل ، لكن التوجيه مطلوب بشكل دائم .. الآن لم نعد نتكلم عن الخط العربى أو الكتابة العربية الصحيحة والسليمة .. أصبح الآن « الكمبيوتر » هو المسيطر وحروف معروفة وشكلها معروف .. انتهى عهدنا وعهد الخط العربى .. هل أصبح شيئا قديما ولا أیه .. ؟

ويستطرد د. الزياد بحماس شديد قائلا :

مرة كنت في مطار شهير في تركيا وجدت لوحة جميلة جدا عبارة عن خط عربى والأتراك كان اهم قدم وساق وتقدم كبير في الخط العربى ، اكن الكمبيوتر الآن يعلن أن الخط العربى في حاجة الى انقاذ .

الكمبيوتر

بمناسبة الحديث عن الكمبيوتر .. هل ترى سيادتكم انه اضافة أم نقصان ؟

— أقول لك .. زمان كان يقال أن الامى هو من لا يعرف القراءة والكتابة .. الآن فيه تعريف آخر .. وهو أن الامى هو الذى لا يعرف لغة الكمبيوتر ..

الكمبيوتر أصبح هو اللغة المقروءة في مجالات العلم والتعليم في مجالات الصناعة في مجالات كثيرة ، وصل الآن الى كل بيت وأصبح

في تناول الجميع ويكفى انه يختصر ما يمكن أن نصل اليه من الحساب في ساعة مثلا الى ثانية فقط ، وما ندخره في ذاكرتنا يزاحم بعضه بعضا أصبح هو يدخره في ذاكرته دون مزاحمة تقليدية ..
إلما يبقى كل ذاكرة لها سعة معينة ومعروفة ..

نحن على مشارف عصر جديد .. بل دخلناه بالفعل ..

أين من هذا العصر أن نجلس ونكتب في خط جميل .. هناك اصطدام الآن ، اصطدام للقيم دون أن يكون منها قيمة عليا وقيمة سفلى دون أن يكون هناك خير وشر ، هناك الآن قيم متصارعة على حياة الانسان ووقته وعلمه وأدائه .. وهذه القيم جميعها .. مختلفة عما كانت في الماضي ..

حفيدي الآن يدير الفيديو بطريقة أنا شخصا لا أعرفها وأنا لا أريد قتل القديم علشان الجدد أو معاداة الجدد بسبب القديم ولكن كيف نحافظ على الجانبين ونجعل لكل منهما قيمة ومكانة في الحياة .. هذه هي القضية ..

السينما والمسرح

قلت له وما رأيك في السينما والمسرح التجاري ؟

— قال : شأهدت مرة فيلما سينمائيا جميلا .. ولكنه كان مجرد أحداث عادية مثيرة ولما قابلت المخرج قلت له : أين مجهودك المعروف وأين أفكارك ؟ قال : لازم أعرف من الجالس في الصالة الآن ؟ أنا كمخرج أو فنان نفسي أعمل عمل كويس ولكني أيضا مضطر أن أكون تاجرا في نفس الوقت وإلا فسيفضي على وتبور تجارة المنتج .. وهذا كلام خطير .. هو يعطى للناس ما يطلبونه ابتعادا عن المعنى الجليل للثقافة ..

أما المسرح التجاري فارتفاع أسعار التذاكر يفرض جمهورا

معينا .. هذا الجمهور لابد أن تقدم له وجبة تشبعه وتشبع ذوقه
مقابل ما يدفعه ..

ومن الذى سوف يدفع ويدخل المسرح ؟

أذن ما يقدم يكون لهذه الفئة .. الثقافة ليست مسئولية الكاتب
فقط .. انما هى أيضا مسئولية القارئ أو المشاهد وليست مسئولية
المؤدى سواء كان ممثلا أو موسيقيا أو غير ذلك ، انما هى مسئولية
المستمع أيضا والمتلقى ومسئولية الحالة الاجتماعية التى تمر بها
الأمة .

وعندما أقول مسئولية الثقافة عند المشاهد والقارئ والمستمع
الدليل على ذلك عندما شاهدت مسرحية « الوزير العاشق » وكانت
القاعة ممتلئة عن آخرها .. هذا دليل كاف على أن الجمهور المصرى
يقبل على العمل الجيد .

شكسبير وليالى الحلمية

على جانب آخر لا يمكن مثلا أن تأتى بشكسبير وتعمله مسلسل
تليفزيونى لابد أن تنزل به الى واقع الحياة الموجودة سرعة القافلة
دائما يجب أن تضبط على سرعة أقل .. يجب أن تكون الواقعية
هى أساس العمل التليفزيونى وللأسف المخرج والمؤلف كلاهما يفترض
أن الجمهور كله يريد بضاعة بسيطة ولا أقول رديئة ، لكن وصول
بضاعة جيدة مثل « لىالى الحلمية » وقبول الناس لها .. تدل
على أن هناك ظلم للجمهور ، فالجمهور يميز العمل الجيد ويقبل عليه
ويرغب فى المزيد منه .

ويجب أن نستجيب لرغبات المشاهدين ومرتفع بمستواهم
بقدر الامكان .

فالأدب والثقافة فى جميع العصور لهما رسالة محددة هى

الرقى بمستوى الناس وهناك حكاية معروفة جدا عن أبى تمام الطائى كان يقدم شعره الى بعض الخلفاء ولا بد أن يمر على الناقدين ..

أبو تمام وقف على باب الخليفة مرات ومرات ولم يقبل شعره .. وأخيرا قبل ودخل وخرج وقابل الناقد الذى كان يمنعه من الدخول فقال له : لماذا لا تقول ما يفهم .. ؟

ورد أبو تمام : وأنت لماذا لا تفهم ما يقال ؟

المشكلة واضحة .. هل يجب على القارئ .. على الجمهور أن يبذل المجهود الكافى لكى يفهم العمل الجيد الصعب ؟

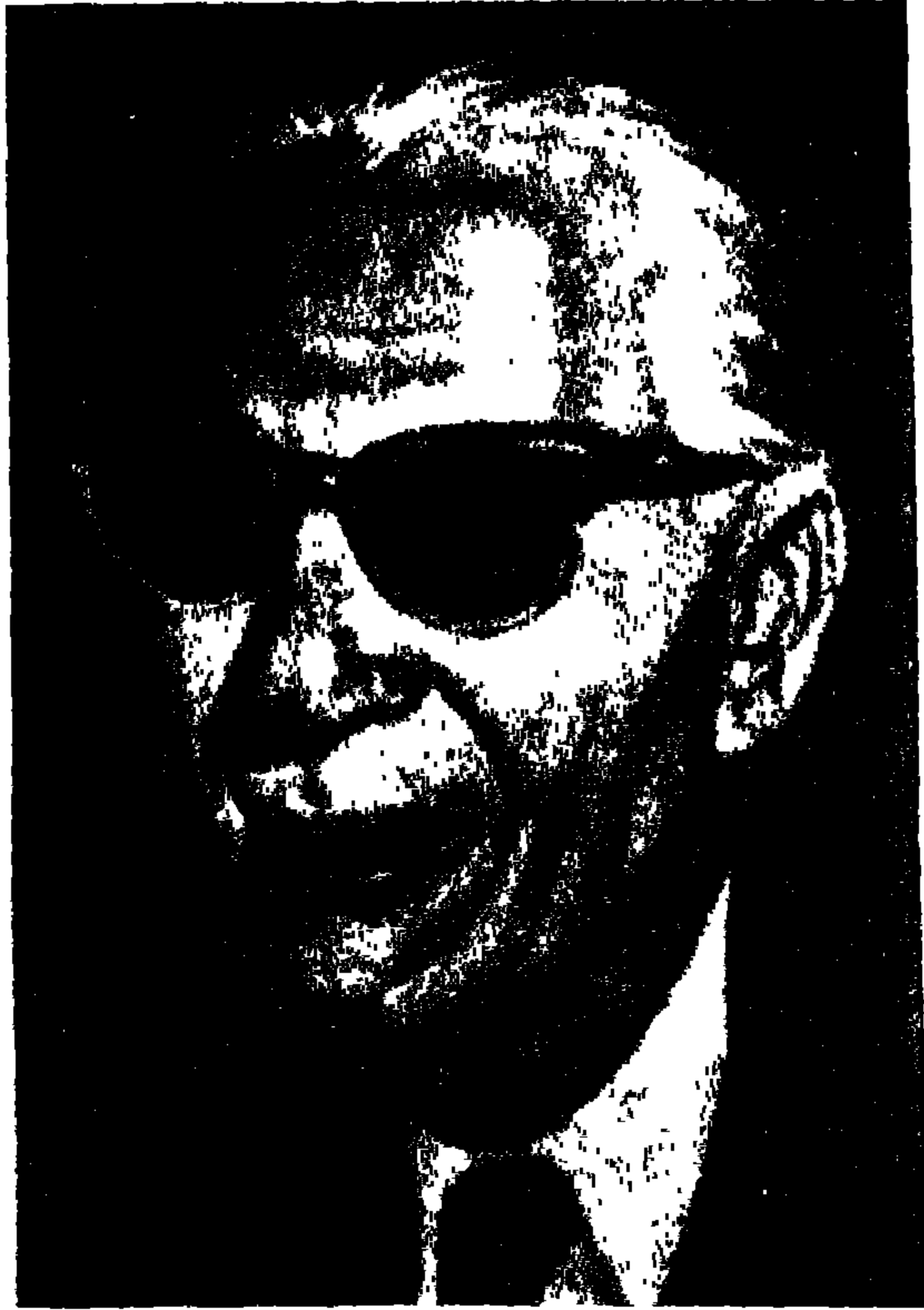
أم يجب على القارئ والكاتب والمصنف والمؤلف النزول الى المستوى العامى فى لغته وفى أسلوبه وفى قضاياها .. وما هو المطلوب ؟

هذا الموضوع ليس بسيطا .. لأن الجمهور حينما يبذل هذا الجهد لابد أن يكون عنده الاهتمام الخاص والحب الخاص للثقافة .

الى فينا مكفينا

ليس معنى أن تكون الثقافة جادة أن تصبح مصدر نكد للناس ففى مرة وأنا فى مصيف رأس البر كان يوسف بك وهبى يعرض أحد أعماله فيها .. أحد العمال الدمايطة ذهب الى رأس البر بتحويشة الاسبوع يريد أن يسعد ويضحك ودخل مسرحية يوسف وهبى وعندما شعر أن دموعه تتساقط وقف فى تلقائية بسيطة قائلا : « يا يوسف بك .. يا يوسف بك .. الى فينا مكفينا » .. !

الباب الثامن



الزيّات مدافعاً عن طه حسين

**** آراء دكتور طه حسين :**

حول التجديد والعروبة والاسلام والتعليم كانت مثار نقاش طويل خلال حياته .. ولم يزل البعض ، حتى الآن ، يستعيد هذه النقاشات ويوجه اتهامات شتى له ، ليس أقلها أنه مع الغرب ضد الشرق !!

***** وقد أجرى هذا الحوار الذى نشر فى لندن(*) .. مع الدكتور محمد حسن الزيات بصفته زوج ابنة طه حسين ومن أقرب الناس إليه بالإضافة الى شخصية د. الزيات المرموقة كمفكر وكسياسى وكأديب متمرج الدبلوماسية عنده بالأدب والثقافة .. وقد عرف « العميد » عن كتب ورافقه فترة طويلة ، فى هذا الحوار يتحدث د. الزيات عن مواقف صهره طه حسين من ثقافة الشرق والغرب ومواقفه من الأزهر ، وكذلك مواقف الأزهر منه .. وبعض ذكرياته مع عميد الأدب العربى .

*** * ***

***** كتب د. طه حسين الكثير حول التجديد الأدبى مما أثار حفيظة الكثيرين عليه ، وبعضهم لم يزل حتى اليوم يحاول النيل من هذه الشخصية الأدبية الكبيرة ، من خلال معرفتك بطه حسين ومرافقتك له ، ما هو رأيك بالتهم الموجهة إليه ؟

— من حسن الحظ أن الدكتور طه حسين ليس فى حاجة لأى مدافع عنه ، لأنه ما زال يعيش معنا ، يدافع عن نفسه بما كتبه . فلو تناقشنا نقاشا علميا وقرأنا فى كتب طه حسين وقلنا ما قاله عن

التجديد ، لوجدناه قد قال أن التجديد غير مطلوب لذاته وإنما هو مطلوب إذا كان نافعا . فالقديم لا يترك لأنه قديم والجديد لا يؤخذ لأنه جديد . وإنما القديم يترك إذا كان قد أصبح غير صالح والجديد يقبل إذا كانت قد أصبحت له فائدة معينة . . وهناك قصة هندية عن رجل كبير مستور الحال كان تاجرا للبطيخ وعنده ثلاثة أبناء . فوزع عليهم ثلاث بطيخات ونصحهم بالمحافظة عليها فاعتقد الابن الأكبر أن والده قد أصبح مخرفا واندحش من طلبه فكسر البطيخة وأكلها . أما الابن الأصغر فقد قال هذا والدي وقد أعطاني نصيحة فلا بد أن أتمسك بها ووضع البطيخة في « دولاب » إلى أن فسدت فتركها في المكان نفسه اتباعا لنصيحة والده كما فهمها ، أما الابن المتوسط فقد أكل البطيخة ، لكنه أخذ البذر وزرعه في الأرض . . وبالتالي حافظ عليها مدى الحياة ، هذا الابن الأوسط هو المجدد الذي فهم أن المحافظة على القديم حتى لو أصابه العطب شيء غير مطلوب وإن أهمل القديم يقطع الصلة بينه وبين جذوره ويجعله في مهب الريح حتى يضيع وإنما الأوسط هو من يضع القديم في الأرض فيخرج جديدا دائما وهذا ما أعتقد أنه كان رأى طه حسين . وعلى كل حال فإن حياة طه حسين أمامنا . فلماذا لا نعود إليها . لم يتخل طه حسين عن القديم طيلة حياته كما اعتنى بالجديد أيضا .

✽ كيف كان طه حسين يوزع وقته في القراءات ؟

— إلى آخر وقت كان لابد لطه حسين أن يقرأ في كتب التراث . وكان يخصص ساعتين لمدة ستين يوما لقراءة التراث لم يتخلف عن هذا أبدا وفي الوقت نفسه لم يتخلف عن قراءة الأدب الحديث من جميع مصادره . فلم يكن المنهج الوحيد لديه هو المنهج الفرنسي مثلما يهاجمه البعض . وإنما كان يريد كل النوافذ التي تؤدي إلى ثقافات جيدة تأتي لتدخل على الثقافة الموروثة وتتفاعل معها . لا تفريط في القديم لقدمه ولا « فتنة » بالحديث لحداثته . بل كان

يطالب الانسان العربى أن يؤمن أنه وريث حضارة ضخمة جدا وصاحب فضل كبير جدا على الغرب . حضر طه حسين فى أحد المرات اجتماع اللجنة الثقافية الجامعة العربية فى المملكة العربية السعودية وقال لهم ان كل واحد منكم يستطيع أن يطالب أى أميركى أو فرنسى بثقافته لأن هذا الأميركي أو الفرنسى أو الانجليزى لم يحصل على هذه الثقافة إلا بفضل ما أعطيت أنت وأجدادك له من الحضارة الاسلامية التى أثرت فى إنشاء الثقافة المعاصرة ، وبالتالي نحن نطالب ببضاعة أصلها من عندنا وهم قد أخذوها فمن حقنا أن نشارك فيها الآن .

أما توزيع وقته فكان ساعات للقراءة العربية وساعات لقراءة الآداب العالمية ، فيقرأ قصة جديدة من الصين أو اليابان أو انجلترا وكانت الأداة لذلك هى اللغة الفرنسية . فكانت الفرنسية هى الأداة وليست المصدر فالمصدر هو الحضارة المعاصرة كلها اينما كانت .

أما الصحف والمجلات فكان يقرأ يوميا عناوينها كلها . ثم يتوقف من العنوان عند شىء فيقرأه بالكامل . . . وبالتالي لم يكن ينقطع عن العالم المعاصر اليومى ولا ينقطع عن العالم القديم الذى يمتد الى جذور التراث . . الصباح كان لقراءة الصحف والمجلات والرسائل . . والساعة الثالثة للقراءة العالمية وحوالى الساعة قراءة فى التراث العربى . والمساء للزوار . وكان يفتح الراديو باستمرار للاستماع إلى القرآن الكريم . كان عنده راديو صغير مؤشره باستمرار على محطة القرآن الكريم منذ انشائها ولم يتحرك مؤشر الراديو عن هذه المحطة اطلاقا . .

* هل كانت السيدة سوزان هى التى تقرأ له ؟

— كانت القراءات قد أصبحت واجبا . هو لم يكن يجب أن يضع عليها واجبات بهذا الشكل لذلك كانت هناك قارئة فرنسية تقوم هى بمهمة القراءة له .

* والى أى مدى صحة اتهام طه حسين بأنه كان يميل الى الغرب أكثر من الشرق ؟

— تهمة طه حسين فى هذا المجال هى انه كان يدعو الى أن نكون جزءا من الغرب وليس جزءا من الشرق • هذا اتهام صحيح اذا قسناه بمسألة « لا تقربوا الصلاة » فالذين يذكرون هذا الكلام لا يذكرون بقية ما قاله أو لا يشرحونه إما لعدم متابعة ما قال ، أو لمجرد التقاط نقاط للطعن فى طه حسين •• !

فى كتاب طه حسين « مستقبل الثقافة فى مصر » يذكر أن القول بأن مصر جزء من الشرق البعيد كلام غير صحيح ويحدد أن الشرق البعيد هو الصين واليابان والمنطقة المحيطة بهما • ويقول أننا لسنا جزءا من هذا العالم الثقافى • ليس لأن هذا العالم الثقافى سىء أو جيد وإنما لأننا فى الواقع لسنا جزءا من العالم الثقافى فى الشرق البعيد • وكلمة « البعيد » هذه يذكرها باستمرار • أما ثقافة البحر المتوسط التى تبدأ من مصر القديمة وتتضمن اليونان وتمتد على سواحل البحر المتوسط شماله وجنوبه وشرقه وغربه •• فعندما ننضم لثقافة البحر الأبيض المتوسط أو نصبح جزءا منها فنحن جزء من الثقافة العربية وليس العكس فالساحل الجنوبى للبحر المتوسط يشمل المغرب الأقصى — الجزائر — تونس — ليبيا — مصر ثم الى الشمال — الشام بما تتضمن « لبنان — سورية — فلسطين حتى سواحل تركيا » •

لكن سواحل البحر الأبيض الثقافية ليست سواحله الجغرافية • ليست حدود الماء ولكن حدود الانتماء الثقافى • فاذا كانت هناك ثقافة البحر المتوسط فى لبنان فهى موجودة أيضا فى سورية وممتدة الى العراق • وطه حسين نفسه يتكلم عن ثقافة البحر المتوسط كما ظهرت فى بغداد • فسواحل البحر المتوسط والتى نسميها الحدود الثقافية للبحر المتوسط ممتدة لتشمل العالم العربى • انتمائنا

الذى يذكره طه حسين لحضارة البحر المتوسط هو انتماء المنشئ والمستفيد • انتماء المنشئ في مصر القديمة وفي أيام الدولة الأموية والدولة العثمانية • هذا الانتماء واضح • ويتحدث عنه بأنه الشرق القريب • ويذكر في بداية كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » أننا جزء من الشرق القريب ويضيف أننا لسنا جزءا من الشرق ويقصد الشرق البعيد • لذلك فإنه من الظلم أن ينسب إليه ما لم يقل وما لم يفكر فيه •

وبهذا فإن دعوة طه حسين بأننا جزء من ثقافة البحر المتوسط ودعواه بأننا لسنا جزءا من ثقافة الشرق البعيد أى اليابان والصين هما صحيحان بدون شك والاختلاف فيهما اختلاف في الحقائق يسقط بنفسه • واذن الادعاء بأنه قال أننا جزء من حضارة البحر المتوسط ثم الفهم من ذلك أننا لسنا جزءا من حضارة الشرق الأدنى ، كلام غير صحيح لم يقل به • وبالتالي لا يحتاج الى دفاع •

ومن يقرأ كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » جيدا سيقنع أن كلامه حول أننا لسنا جزءا من الشرق المقصود به الشرق البعيد وأن كلامه حول أننا جزء من حضارة البحر المتوسط لا يعنى أننا جزء من حضارة « نيس » و « كان » فقط بل من حضارة الشام والعالم العربى •

* بعضهم يتهم طه حسين بأنه ضد العروبة ؟

— لدى طه حسين دون شك شعور مصرى قوى جدا • لكنه عندما كان يتحدث عن نفسه وعن عائلته كان يقول أن أسرته أصلها قبائل عربية وصلت الى صعيد مصر • فالطريق من القاهرة الى أسوان يمر على عدة مدن تحمل اسم « بنى » مثل « بنى سويف » والمقصود بكلمة « بنى » أبناء قبائل عربية معينة استقرت في هذه الأماكن وأنا أعرف أن طه حسين كان ينسب نفسه الى الرسول

عليه الصلاة والسلام • ولا أعرف ما اذا كان قد كتب عن هذا الانتساب أم لا • لكنى أعرف هذا النسب وأنه كان من ناحية الأم • فإذن هو يعرف أن دمائه عربية •

وهل انتماءه الى مصر يمنع انتماءه للعرب ؟ هل انتماء أى مواطن للقاهرة يمنع انتماءه لمصر ، وهل الانتماء لمصر يمنع الانتماء للعالم الاسلامى ؟ طه حسين شديد المصرية منذ كان شابا يكتب الشعر الملىء بحب مصر • المتعطش لخدمة مصر • وغير صحيح أن انتماءه لمصر كان يمنع انتماءه العربى • كان الدكتور محمود عزمى يتحدث عن عالم العربية • وليس العالم العربى • أى أنه كان يتحدث عن عالم اللغة العربية • لأن فى حقيقة الأمر ما الذى يربط الشامى بالمغربى مثلما يقال ، هو اللغة العربية • واذا سألنا من هو محامى اللغة العربية فى القرن العشرين ووجهنا هذا السؤال لخصوم طه حسين وليس لاصدقائه أو تلاميذه فانه لن يكون هناك شك أن اجابتهم ستكون ان محامى اللغة العربية فى القرن العشرين هو الدكتور طه حسين • فهو محامى اللغة العربية بمعنى المحاماة أى المشادة مع خصوم موجودين • فقد خاصم طه حسين الذين طالبوا باللغة العامية سواء كانوا من أقصى اليمين أو أقصى اليسار • حارب اللغة العامية بدعاوى هامة جدا أهمها أنها تفرق بين الشعوب العربية وتجعل الجزائر فى يوم من الأيام فى حاجة الى مترجم اذا قرأ انتاج العراقى • فهو يرى اذن ضرورة بقاء التفاهم والتعامل بين شعوب العربية • وهذا يرد على التهمة السابقة من أنه لم يكن يحب العرب • بينما هو يطالب بأن تبقى اللغة العربية فصيحة حتى لا تنقطع الصلة بين العربى من أقصى المغرب مع العربى من أقصى المشرق •

وفى العهد الحديث فى مصر ، كان بعض اليساريين يرون أن اللغة العامية ضرورية وهامة لابراز شخصية الطبقات الكادحة لكنه

حارب هذه الدعاوى أيضا • فهذه الدعاوى ليست عنده من القوة بحيث يتم الالتفات اليها عندما يكون المطلوب هو الدفاع عن اللغة العربية والعالم العربى المرتبط باللغة العربية الفصحى • وعندما كان يدافع عن اللغة العربية لم يكن يدافع عن ارتباطات جغرافية فقط • بل كان يدافع أيضا عن ارتباطات تاريخية • بمعنى أنه لم يكن فقط قول أنه يريد أن يفهم المواطن في « القيروان » المواطن في « بغداد » لكنه أيضا كان يريد أن يفهم الانسان العربى الذى يعيش في القرن العشرين العربى الذى كان يعيش في القرن العاشر • فهو يريد ألا نقطع الصلة بيننا وبين التراث العربى العظيم فلو تحدثنا الآن بالعامية فاننا سنحتاج في يوم من الايام لما يحتاجه الانجليزى اليوم اذا أراد أن يقرأ كتابا لاتينيا قديما حيث يحتاج لتخصص في التراث • وهذا شيء غير مرغوب فيه في رأيه وفي رأينا أيضا •

إذن لقد حارب طه حسين الذين طالبوا باللغة العامية محاربة معتقد أنه قدر له فيها الانقصار • حارب زميله وأستاذه الذى يحبه جدا • وهو عبد العزيز باشا فهمى ، عندما طالب باستعمال الحروف اللاتينية ، حربا شعواء في مجمع اللغة العربية فسقطت حجة من كانوا يريدون أن يسقطوا الحروف العربية ويستعملوا الحروف اللاتينية •

ودفاع طه حسين عن اللغة العربية يجعله في الواقع أكبر محام عن اللغة العربية • وهو محامى يستعمل حجة ضرورة بقاء العالم العربى متحدا جغرافيا ومتواصلا تاريخيا • فكيف يقال بعد هذا أنه لم يكن يجب العرب •

لقد أحب طه حسين الناس لأفكارهم ورفض أن يحب الناس لعنصريتهم • فهو قد أحب اللغة العربية • أحب العالم العربى • أحب التراث الفكرى العربى • وبكل تواضع بالنيابة عن طه حسين

لا أعتقد أنه يوجد شخص واحد خدم اللغة العربية الفصحى ودافع عنها مثل طه حسين •

✽ لكن هل صحيح أن طه حسين كان معاديا للأزهر ؟

— الأزهر شامخ وله جذور • الأزهر أثر في العالم كله • وفي يوم من الأيام كانت الجامعات الأوروبية رجعية جدا بينما كانت الجامعات التي كانت ينتشر منها النور الى العالم كله هي الأزهر والجامعات الإسلامية •

ولأن الأزهر عظيم وقديم فقد دخلت فيه بعض فترات الركود التي تركت آثارها عليه • من يحب الأزهر هو الذى يطالب باصلاح هذا الركود • ومن لا يهمه أمره يتركه ويشاهده كما يشاهد الهرم • أثرا من الآثار البالية •

الذين أحبوا الأزهر والتعليم بحق ثاروا في فترات متعاقبة وكثيرة مثل محمد عبده وتلاميذه وغيرهم ممن يريدون اصلاح الأزهر من الداخل • ولو كان طه حسين حيا لدافع هو بنفسه ورد على هذه الأسئلة ولوجدنا في كتاباته كيف زار الأزهر بعد أن كبر وقلبه يخفق للأزهر ويحاول أن يسمع المهمة الموجودة في الساحة • وعندما وجد أن تقاليد الأزهر لم تعد موجودة حزن كحزن المحب على شيء لم يكن يتصور أن تتغير طبيعته عما كانت عليه •

أنا لا أعتبر طه حسين قد عادى الأزهر • بل اعتبر أنه أحب الأزهر حبا أكبر من الناس الذين خضعوا لتقاليده • فالمحب لشيء من الأشياء هو الذى يريد أن يكون على أحسن ما يكون من الكمال • والذى يكره أن يكون فيه أى عيب والذى يحاول أن يزيل هذه العيوب •

الطريقة الأزهرية أصبحت طريقة تقليدية غير قادرة على

استيعاب المعلومات الحديثة • فالأزهري لم يكن يدرس الهندسة مثلاً • علماً بأنه في وقت من الأوقات كان من أساتذة الأزهر « الحسن بن الهيثم » أمام علم البصريات في العالم •

ما أريد أن أقوله هو أن طه حسين كره من الأزهر أن ينزع مكانته العلمية بحكم القدم وبحكم العصور المتخلفة وأراد له أن يعود إلى مجده والجامعات المصرية الحديثة هي في الواقع محاولة للوصول إلى الأزهر مثلما كان في عصره الذهبي • وبالتالي أننا لا أوافق على دعوى أن طه حسين كان يكره الأزهر • بالعكس كان يحب الأزهر وما كان يرويه عن الأزهر من قصص فيها فكاهة أو فيها جد تعبر عن حبه له • كان معجباً جداً بأن درس الأزهر يبدأ مع الفجر ويستمر حتى المغرب • وهذا يوضح أن الأزهرى كان يعطى نفسه للعلم • وعندما كان طه حسين شاباً قادماً إلى المدينة للدراسة في الأزهر كان يريد أن يلقي نفسه في بحر العلم ، ويذكر في « الأيام » أنه كان يتصور أن للعلم بحراً له وجود سيلقى بنفسه فيه •

ولا يستطيع أحد أن يحكم على الحب أو الكراهية • لكن من بعيد أعتقد أن طه حسين لم يكره الأزهر ، بل أحبه وأحب إصلاحه • والمؤلم أنه عندما أقيم الاحتفال الأخير في الأزهر لم يذكر اسم طه حسين كأحد الخريجين •

* من أين جاءت هذه المواقف للأزهريين من طه حسين ؟

— طه حسين رفض طريقة الأزهر في التعليم كما كانت في عهده ، وكان واضحاً جداً في هذا وذكر بعض الأمثلة التي كان فيها انتقاد شديد مما أخرج البعض •

** لم يحدث أن أثار كتاب الخلاف في الرأي مثلما أثار

كتاب طه حسين « في الشعر الجاهلي » الذي أعاد طبعه بعد عام
بعنوان « في الأدب الجاهلي » .

بدأ الدكتور محمد حسن الزييات الحديث عن كتاب « في الشعر
الجاهلي » قائلا :

— الكلام عن كتاب « في الشعر الجاهلي » هو كلام عن الأسلوب
العلمي . فمن الأساليب العلمية الإسلامية انظر في كل شيء بغير
تأثر برأى سابق أو عقيدة سابقة . وهذا ما فعله طه حسين وأثار
الناس في ذلك الوقت . لكن لو نظرنا الآن الى جميع الجامعات
ومعاهد الدراسات في مصر وفي العالم العربي كله . بل وفي الجامعات
الأجنبية التي تدرس اللغة والثقافة العربية والإسلامية . وسألنا
أنفسنا وباخلاص : هل يوجد باحث واحد لم يستفد من كتاب « في
الأدب الجاهلي » ؟ كانت الاجابة بالقطع لا . الى درجة أنه في
« العام الماضي صدرت من الكتاب الطبعة التاسعة عشرة »(*) .
فما زال الناس يقرأونه ويحتاجون إليه . بالتأكيد لا يقرأه العامة
على « البلاج » . وانما يقرأه من يستفيد منه في أبحاث سواء
من حيث المنهج أو من حيث الأفكار التي جاءت فيه .

وهذا ينطبق على كتاب آخر نشره وهو ما زال شابا في سن
الخامسة والعشرين ، وهو كتاب « مع أبي العلاء » الذي ما زال
حتى اليوم مقروءا ومدرسا .

♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦
♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦

* قيل بعد هذا أن تأليف د. طه حسين لكتبه الإسلامية
المعروفة كان أقرب الى درء الشبهات بعد كتابه « في الشعر الجاهلي » .

— هذا كلام لا يقبل • ترجع مرة أخرى للغة العربية و « لغرام »
دكتور طه حسين بها حيث كلمة « حب » لا تكفى •

أولا : ان طه حسين قال أنها لغة حية صالحة للعصر الذى
نعيش فيه وأعطى لنا دليل صلاحيتها للعصر باستعمالها فى فنون الأدب
المختلفة • فكان عنده أدب المقالة • ثم فكر فى أدب القصص • ثم فكر
فى أدب البحث التاريخى • ثم فى فن جديد من فنون الأدب مثل
« جنة الشوك » الذى يقول فى مقدمته : انه قاصد متعمد يحاول
تطويع جميع فنون الأدب للغة العربية لجميع فنون الأدب ، فمن
الفنون التى تناولها ، فن السيرة ، بدأها بسيرته الذاتية « الأيام » •
ثم سيرة الرسول ﷺ فى « على هامش السيرة » وامتد بذلك الى
سيرة عثمان بن عفان ، وسيرة على بن أبى طالب • وكان عنده مخطط
أن يكون كتاب « الثقفة الكبرى » أربعة أجزاء وليس جزأين •

إذن هو كان يريد أن ينشئ أدبا عربيا فى السيرة • ثم لا يسأل
المؤلف أو الأديب أو الموسيقى عما جعله يؤلف قطعة موسيقية بذاتها •

✽ البعض يتهم طه حسين بأن دعوته الى أن يكون التعليم
كالهواء قد أدت الى نتائج سيئة فما رأيك فى هذا الاتهام ؟

— رأى طه حسين فى التعليم هو ركيزة حياته • فهو فقد بصره
الآن من حوله لم يكونوا متعلمين • ونشأ فى بلد محتل من أجنبى وفى
رأيه أن أهل هذا البلد لو كانوا متعلمين لرفضوا الاحتلال وعملوا
على ازالته • كانت الأمراض منتشرة والوباء منتشر والناس يموتون
مثلا مات شقيقه بالكوليرا • والسبب أن الناس غير متعلمين • فعدم
التعليم أدى الى ضياع بصره وحياة أخيه واستقلال بلده وعدم
التعليم أيضا جعل الناس يتحدثون عن الاسلام والدين بشكل
خرافى مثلا الحال فى البيئة التى نشأ فيها •

منذ البداية قال لا صلاح لكل هذا إلا بالتعليم • وأن عقول الناس لن تصح إلا بالتعليم • ولن تصح الحياة الاجتماعية للبشر ويتساوى الناس في الحقوق والواجبات إلا بالتعليم ولن تصح الحياة السياسية لأمة وتطرد الاحتلال وتطلب الاستقلال وتضطلع بشئون نفسها إلا بالتعليم • بل ان الديموقراطية لن يكون لها معنى إلا اذا كانت ديموقراطية المتعلمين • فإن يمارس مواطن الانتخاب معناه أن يفكر ويستعمل عقله وكفاءاته الذهنية • كيف يكون له ذلك وهو غير متعلم ؟ بدون التعليم تصبح الديموقراطية خرافة وسخرية فمحاولة الوصول الى طلب العلم كانت عقيدة طه حسين • لكن هل يحصل على هذا العلم ناس معينون دون آخرين •

منذ أيام كنت أسير في الشارع جاء شخص وصافحني • وقال لى الناس يقولون أن طه حسين جعل التعليم مهزلة وفي رأيى أن هذا غير صحيح • ففى وقت من الأوقات لم نكن نملك المال • وكنت فى الطابور فى المدرسة ونادوا على اسمى مع آخرين كى نترك المدرسة الآننا لا نملك المصروفات • هذه حادثة لا يمكن أن أنساها بما فيها من اذلال نفسى وعقلى • ثم أضاف : لو لم يكن طه حسين لما استطاع أبى أن يجعلنى أحصل على شهادة المدرسة الثانوية ثم الجامعية •

ويستطرد الزيات قائلاً : فى كلية الآداب وضع طه حسين نظاماً أسماه « نظام الامتياز » • فى هذا النظام كان الطالب المتفوق فى الصف الثالث يلتحق بقسم « الامتياز » وليس بالقسم العادى • فى هذا القسم يدرس مادة لاتينية ومادتين أخريين • فيصبح مميزاً عن زملائه الآخرين • ثم يحصل كل منهما على « الليسانس » لكن هذا « ليسانس » ممتاز وهذا « ليسانس » عادى • اذن هو يعرف أن هناك شخصاً ممتازاً وآخر عادياً • ويعلم أن النتائج ليست متصلة دائماً بالبداية • وانه عند زرع عشرين شجرة فى أرض عادية مع

وجود كمية الرى نفسها وتعرض الشجر للشمس نفسها ستنمو واحدة طويلة وأخرى قصيرة ، شجرة مستقيمة وشجرة غير مستقيمة • وكذلك الانسان • لكن من حق كل الناس أن تبدأ بداية واحدة • فى السباق فى أى مكان هناك خط يبدأ منه الجميع • الى أين ينتهى كل شخص ؟ هذه مسألة متعلقة بما فيه من صفات • منهم الجاد ومنهم غير الجاد • منهم المثابر ومنهم غير المثابر • ولا يستطيع انسان أن يتحكم فى النتائج • لكن المهم أن يبدأ الجميع بفرص متماثلة •

✽ اذن طه حسين كان يدعو الى تكافؤ الفرص ؟

— فى مناقشة لطله حسين مع وزير المعارف ، « أحمد نجيب الهلالي » وردت عبارة « تكافؤ الفرص » • هذه العبارة لخصت الفكرة • وهى ضرورة أن يبدأ الجميع بفرص متكافئة • وأن يواصل كل شخص بعد هذا بمجهوده وبطبيعته • فلا يخرج الانسان ويجد نفسه نجارا ، لأن والده نجار • طه حسين يريد أن يكون النجار متعلما والسائق متعلما والانسان فى كل مهنة متعلما •

ولطه حسين قصة يرويها عن مصطفى النحاس باشا مع الأمير محمد على ولى عهد مصر فى أيام الملك فاروق • فقد عاد الأمير محمد على من أوروبا وزاره مصطفى النحاس رئيس الوزراء وقتها لتهنئته بسلامة العودة • فسأله ما الذى سمعته عن رغبة طه حسين فى أن يتعلم كل الناس ؟ فقال له مصطفى النحاس خيرا يا سمو الأمير • فقال محمد على : لو حدث هذا فمن الذى يخدمنى هنا فى القصر ؟ فرد النحاس باشا ، هل كانت الخدمة فى أوروبا جيدة ؟ قال : كانت الخدمة ممتازة • أتمنى أن يصبح لدينا خدمة مثلها فقال : الذين كانوا يخدمونك فى أوروبا هم من المتعلمين • وهذا ما سيحدث فى مصر أيضا •

معنى هذا أن طه حسين لم يكن يريد أن يجعل المجتمع المصرى

كله شكلا واحدا أو لونا واحدا • وانما أن يكون مجتمعا حيا تتفاعل فيه كل الكفاءات • فمن لديه هواية الغناء يصبح مغنيا • ولا نقول له لا ، يجب أن تكون مثل كل الناس • المهم أن يبدأ الجميع من فرص متكافئة ثم يتفرعون في حياتهم بعد هذا الى الفروع التي يريدونها والتي يجيدونها • ولم يكن رأى طه حسين أن يدخل الجميع الجامعة • لكنه لم يكن يريد حرمان أحد من دخول الجامعة بحجة أنه لا يملك المال أو انه ليست لديه الوساطة • فكان يريد أن يتمتع كل مواطن بالفرصة المتكافئة نفسها مع الآخرين •

نحن الآن في الطريق الوسط • فكل شخص تعلم الآن أصبح محفورا في ذهنه أن العلم يساوى شهادة • والشهادة تساوى الوظيفة والمركز الاجتماعى فى الحياة • هذا ما كان موجودا أيام الانجليز • فالذى كان يحدث فى ذلك الوقت هو أن الشخص طالما التحق بالتعليم اذن فلقد انتقل من طائفة الفلاحين الى طائفة الأفندية • ثم يحصل على الشهادة الكبيرة التى يصبح بها جزءا من المجتمع الحاكم • هذا هو الحال فى الماضى • لكن هل التعليم الآن يؤدى الى أن يترك الانسان الطبقة التى كان ينتمى اليها ويدخل طبقة أخرى • هذا كلام انتهى • من يشكو الآن فان شكواه هى من شكل انتقالى • وبعد فترة فان من يحصل على « الليسانس » أو الدكتوراه سيحصل عليها من أجل راحته النفسية والعلمية وليس راحته المادية وينطلق بعد هذا فى العمل الذى يريد سواء تجارة أو حتى سبابة أو أى مهنة أخرى •

فالتعليم لم يعد جواز السفر من طبقة فى المجتمع الى طبقة أخرى • ولم يعد ميزة الحاكم عن المحكوم الذى ينبغى أن يبقى جاها حتى يبقى محكوما لأن التعليم لم يعد رخصة يعطيها الانجليز لمن يشاركون فى حكم الجهلاء الذين يجب أن يبقوا جهلاء • فهذا أمر غير مقبول مصريا وانسانيا • فالعلم الذى طلبه طه حسين

للمجتمع لم يطلبه كى يجعل كل المجتمع حكاما • بل طلبه لكى يكون المجتمع حكاما ومحكومين متعلمين • أى عادلين الآن العلم يدعو للعدل • فلا يجعل المظلوم مظلوما لأنه جاهل • ولا يجعل الظالم ظالما لأنه عالم • وانما يجعل كل من الحاكم والمحكوم متمتعاً بالعلم وقادراً على الحياة والتعاون بكرامة العلماء •

✽ يقال ان هذه الدعوة جعلت التعليم ضحلاً أو متخلفاً ؟

— كل أب فى الدنيا يقول لأبنائه ان أيامه كانت أفضل من أيامهم • الانسان ينسى دائماً ويظن أن تعليمه كان أفضل ممن جاء بعده وهذا غير صحيح • فالأطفال الصغار الآن يدرسون علوماً لم نكن نعرفها نحن • وحتى لو كان التعليم قد أصبح ضحلاً ولا بد من الدروس الخصوصية • فهل هذا هو ذنب طه حسين • لقد طلب طه حسين أن يكون التعليم كالماء والهواء • فهل ذنبه أن الهواء قد صار فاسداً والماء صار ملوثاً • هو طلب الماء الصافى والهواء النقى •

المرأة فى الجامعة لأول مرة

✽ هل كان طه حسين متهماً أيضاً بالبذاء فى تعليم المرأة فى الجامعة ؟

— طه حسين كان مسلماً وفقهياً بالقرآن أكثر من خصومه • وأى قارئ للقرآن يجد المذكر والمؤنث مكرراً فيه باستمرار • المسلمون والمسلمات • المؤمنون والمؤمنات • رغم انه اذا وجد المذكر والمؤنث فان التعبير بالمذكر يكفى • وهذا ما استعمله طه حسين لدخول الفتاة الجامعة ، حيث قال أن كلمة يدخلها « المصرى » معناها المصرى والمصرية لأن النحو العربى يجعل جمع المؤنث على جمع المذكر يكفى فيه جمع المذكر •

لكن القرآن حتى مع وجود ذلك كان يكرر ذكر (المسلمون

والمسلّمات) • وطه حسين الذى كان يؤمن بالتعليم كان يؤمن انه لا يجب أن تبدأ تربية الطفل على يد سيدة جاهلة • والأم هي المثل الأعلى للطفل • والمرأة هي نصف المجتمع • وعدم تعليم المرأة معناه تعطيل ٥٠٪ من المجتمع المصرى وكان يرى أن المرأة لابد أن تتعلم وتصل في العلم الى أقصى ما تسمح لها به امكانياتها • فتكافؤ الفرص لا يكون بين الذكور فقط •• وانما بين الانسان بشكل عام •

في الماضي كانوا يعتقدون أن الجامعة لا تتعدد فتكون في مصر جامعة واحدة في القاهرة • لكن طه حسين أنشأ الجامعات الاقليمية في الاسكندرية وأسيوط وعين شمس • وكان ادخال طه حسين ومعه لطفى السيد وزملائه الفتاة المصرية الى الجامعة المصرية ثورة كاملة •

وأصبح تأثير طه حسين أبقي على الزمن من حياة طه حسين نفسه • ففي وقتنا هذا تقام جامعة في الامارات دون تفكير في طه حسين ، في حين لم يكن من الممكن انشاؤها قبل طه حسين • ولو انشاؤها لما ادخلوا فيها أية فتاة لكنى الآن عندما زرت جامعة « العين » في الامارات وجدت الفتيات في الجامعة • اذن هذا العمل كان الحبة الصالحة التي تنبت سنبلة •

* * *

وفاة طه حسين

يقول الدكتور الزيات :

في فجر اليوم الثامن والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٩٧٣ بتوقيت نيويورك طلبني مدير مكتبي في وزارة الخارجية بالقاهرة السفير محمد شكرى لينعى الى د. طه حسين ..

كنا في اليوم الثانى والعشرين من أيام الصراع العسكرى والسياسى الذى بدأ فى السادس من أكتوبر ، العاشر من رمضان ، وكان مطار القاهرة مغلقا أمام طائرات المدنيين ولكن القاهرة أبلغتني أن طائرة عسكرية مصرية ستنتظرني في مطار روما فركبناها ولم يكن فيها من الركاب سوى أنا وزوجتي وابنتي « منى » ..

وتحركت ! الطائرة ثم حلقت وأرسلت البصر من نافذتها الى حقول ايطاليا جرداء بعد موسم الحصاد ، والى جبالها وقد أبيضت قممها بعد ابتداء موسم الثلوج ثم لم أعد أرى وقد أصبحنا فى سماء البحر الأبيض المتوسط ، سوى الماء والسحاب فأغلقت عيني استدعى اليهما النوم دون أن يستجيب وتراحمت على جفني المغاين خواطر الحرب والسلام وفقد واحد من أعز الناس ..

ورحت أتذكر تلك الرحلة التى بدأتها فى أول الصيف بالقاهرة وانتهت الى بكين ، وزرت فيها موسكو وبلجراد ولندن وفيينا وباريس ثم بنىويورك ، فى جهاد للوصول الى العدل أساسا للسلام الكامل الذى لن يدوم السلام على أساس سواء وأرى هذه الرحلة بما صاحبها من صراع تقارب الآن نهايتها واتساءل كيف يكون الختام .. ؟

وتتراحم على جفني المغلقين فى نفس الوقت صورة من حياة الرجل الذى ينتظر جثمانه فى أحد مستشفيات القاهرة وصولنا

انتشيعه الى مثنواه الأخير والذي حرمتنى هذه الرحلة من أن أراه
قبل النهاية المحتومة .. وقلت « انا لله وانا اليه راجعون » ..

وتذكرت كيف ذهبت أودعه فى غرفة نومه قبل سفره الى
إيطاليا فى أول الصيف واعتذر عن مصاحبته لوداعه بالاسكندرية كعادة
كل عام لانتشغالى ..

عدد الجامعيين

قال لى : ماذا يشغلك وماذا يفعل وزير الخارجية فى القاهرة ؟
ماذا يفعل كل المسئولين فى مصر ؟ وفى العالم العربى ، وقد مضى
على احتلال أراضينا سبعة أعوام ؟ ..

قلت : ان القاهرة تردد بيت الشعر الذى تعلمته أنا منك وهو :
« ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يهدم » فسكت لحظة وارتفعت
هامته وسأل فى جد شديد ، واذن لا نسافر هذا الصيف قلت : بل
تسافر فى حفظ الله ، وتعود مستريح الجسم مطمئن النفس والضمير +

وساد صمت قطعه بالسؤال عن عدد الجامعيين الذين تم
تجنيدهم فى القوات المصرية المسلحة ..

فيجب

وفى الثالث من أكتوبر عام ١٩٧٣ وصلت الباقرة « اسبيريا »
الى الاسكندرية تحمل طه حسين وزوجته عائدين من رحلة الصيف ،
وفى السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ عرف طه حسين أن جيش مصر
قد تحدى ما جمع العدو له من قوة لترهبه وتقهيره وتضطره الى ذل
الاستسلام وأن جيش سوريا يقوم بنفس التحدى ..

ولست أشك فى أن طه حسين قد تخيل الجيش المناضل وهو
يضم الشباب المتعلم الذى سبق أن سأل عن عدده ، تخيله يحارب
وهو يدرك لماذا يحارب وبماذا يحارب ولم يحارب .. لست أشك فى
انه تخيل من بينهم شباب جامعتة الأولى ، جامعة الأزهر ، وشباب

جامعته الثانية جامعة القاهرة ثم شباب الجامعات التي أنشأها هو ،
جامعة الاسكندرية وجامعة عين شمس وجامعة أسيوط تخيل شباب
هذه الجامعات يحاربون الى جانب اخوانهم الذين لم يحصلوا على
ما حصلوا عليه هم من التعليم ، ولكنهم يساوونهم في الاخلاص
والعزيمة والتصميم ..

فمنذ سمع طه حسين بشاعة مصرع زميله أحمد ضيف في
الحرب العالمية الأولى ، التي لم يكن لمصر فيها ناقة ولا جمل ، ومنذ
قتل ابن أخته في الحرب العالمية الثانية ولم تكن مصر عند ذاك طرفا فيها ،
وطه حسين يسأل نفسه ألن تحارب مصر دفاعا عن نفسها هي ،
ولخلاصها هي ؟ ولقد كان يدرك مع ذلك أن للحرب ضحايا من البشر
ويعرف آلام الامهات الثكالى وجزع الآباء واليتامى .. وهو لا شك
قد تساءل هل يستطيع الانسان يوما أن يتغلب على نفسه فيردها
عن العنف ويروضها على الايمان بالقانون ويعلمها أن تحترم ما تلوكة
ألسنتها من عبارات ميثاق الامم المتحدة ..

* سألته : هل كان طه حسين يؤمن بدور الأمم المتحدة أو
بميثاقها ؟

— قال : لقد آمن هو بهذا الميثاق ، قبل أن تحرر وتعلن
نصوصه فقد كتب نصوصا مشابهة في خطاب الكتاب المصريين الى
نادى القلم الدولى اعلانا لموقفهم أثناء الحرب العالمية الثانية ولرؤيتهم
لعالم ما بعد تلك الحرب .

ولكنه كان يشك دائما في قدرة الدول على أن تعيش بهذا
الميثاق وطبقا لأحكامه ، وأدرك دائما .. أن القوة تغرى بالعدوان
فلا يكد العنف الا العنف ، ولا بد أن تمضى سنوات وسنوات وأن
تقع الكوارث بعد الكوارث حتى تبلغ الانسانية مرحلة الرشاد .

جائزة حقوق الانسان

✽ وماذا عن الجائزة التى منحتها له المنظمة الدولية ؟

— كنت أجلس فى مقعدى بالجمعية العامة للأمم المتحدة عندما أقبل الاستاذ عمرو موسى ليخبرنى أن الأمم المتحدة قد اختارت طه حسين بين العشرة الذين ستهنحهم المنظمة الدولية جائزة حقوق الانسان ذلك العام ، وأن رئيس الجمعية العامة سيبرق اليه يهنئه بالجائزة ويرجوه الحضور الى نيويورك فى شهر ديسمبر ١٩٧٣ ليتسلمها بنفسه .. وقد وصلت البرقية فقرأتها السيدة « سوزان » عليه وهو فى الرمق الأخير ، وكانت ابتسامته الخفيفة هى آخر حركة له قبل أن يلبي نداء مولاه .

✽ نعود للحديث عن وفاة العميد ؟

— نعم .. فى « رامتان » فى الدار التى خلت من صاحبها ، استقبلت الاستاذ يوسف السباعى وزير الثقافة والدكتور صوفى أبو طالب وكيل جامعة القاهرة فى ذلك الوقت .. وكان يوسف السباعى يرى أن يبدأ تشييع الجنازة من جامع عمر مكرم حيث توجد الجماهير التى يمكن أن تشارك فى تشييع جنازة الدكتور طه حسين ، ولكنى كنت أفضل أن يبدأ تشييع الجنازة من بيته الذى أحبه ، من جامعة القاهرة .

وبالفعل .. وافقنى يوسف السباعى على هذا رأى .. وتجمع المشيعون فى قاعة الاحتفالات الكبرى فى جامعة القاهرة حيث لم يكن بها موضع لقدم ، وتحرك موكب الجنازة ينتدمه نائباً رئيس الجمهورية السيد حسين الشافعى والدكتور محمود فوزى ومؤنس طه حسين الذى عاد من باريس رغم صعوبة المواصلات .. والى جانبهم ومن خلفهم رجال الدولة وممثلو الدول الأجنبية وأساتذة الجامعات المصريون وغيرهم ، ورجال القلم والاعلام والطلاب من تلاميذه ومريديه ..

مظاهرة شعبية

ولم يكد الموكب يخرج من حرم الجامعة حتى انضمت اليه جماهير الشعب ألوفاً مؤلفة اكتظت بهم الشوارع من أول باب الجامعة وفوق كوبرى الجامعة حتى مسجد صلاح الدين حيث كان سيتم الصلاة على الجثمان ، ولقد تحولت جنازة العميد الى مظاهرة وطنية شعبية عارمة تضج بالهتاف لمصر •

لقد سمعت أحد البسطاء من أبناء الشعب المصرى العريق يقول لولده وهما يشاركان فى تشييع الجنازة : « أنت — يا بنى — تبكى طه حسين لأنك تعلمت منه وقرأت له وسمعت أحاديثه فى الاذاعة » .. أما أنا يابنى فلم أتعلم من طه حسين ، ولم أقرأ كتبه ولم أسمعه يتحدث فى الاذاعة الا نادرا ومصادرة .. ولكنى أشعر انه أقرب الى قلبى من أبى بل أنا أقرب اليه من أى أحد .. ثم ينخرط فى البكاء ويقول لولده :

« ان طه حسين هو الذى مكنتنى منذ ثلاثة وعشرين عاما — من تعليمك وهذا أنت قد حققت لنفسك ولاسرتك من الثقافة والكرامة والخير ما حققت » ..

« أبكيه — يابنى الآن الله تعالى أكرمه بالعلم فلم ينس محاربة الجهل وأغناه فلم ينس المعوزين ، وأسعده غلم ينس من الأرض من المعذبين » •

✽ وماذا عن كتابك « ما بعد الأيام » ؟

— فى مقدمة « ما بعد الأيام » تجد اننى أعرض لذلك اللقاء الأول بينى وبين د. طه حسين فى صيف عام ١٩٣٤ وكذلك لقائى الأخير به فى خريف ١٩٧٣ وبين هاتين المرتين تسعة وثلاثون عاما

راقبت فيها كفاحه الطويل الذى حاولت أن أسجل صوراً منه فى هذه
الفصول •

لقد لجأت اليه فى عام ١٩٣٤ وأنا على عتبة الحياة الجامعية ،
أعانى ما يعانى به الشباب فى تلك السن من حيرة وقلق ، ورأيتة آخر
مرة فى خريف ١٩٧٣ وأنا وزير لخارجية مصر أعانى ما كانت شعوب
العرب تعانى من الأسى والضيق والغضب الشديد •

فى المرة الأولى تركت طه حسين وقد ألقى فى نفسى السكينة
وملأ قلبى بالأمل والطموح وأثار لى طريق المستقبل بحديثه عما
يجدر بالشباب أن يتطلع إليه من غايات تتجاوز مطامع الناس عادة
فى اتساع الرزق وارتفاع الجاه •

وشهدته فى المرة الأخيرة راسخ العقيدة فى أن النصر مكتوب
لن آكن بحقه وبنفسه وجاهد جهاد الصادقين المخلصين ليخلص أمته
مما أخضعت له من القيود ، وليستخلص لها حقها من غاصبيه •

الضمير المنشغل

تركته فى مقابلتى الأولى له خلف مكتبه فى جريدة « الوادى »
جلس مهيباً مرتفع الرأس ، لضحكته العريضة فى الغرفة رنين وصدى
وانى لأعلم الآن أن الذى ألقى فى نفسى السكينة وملأ قلبى بالأمل
وأثار لى طريق المستقبل كان فى ذلك الوقت نفسه « يستقبل الحزن
مع ضوء الشمس ويعتشره طوال النهار ، ثم يستقبل الهم مع ظلمة
الليل ، ويقضى معه ساعات الاحلام ، يضطرب بين بيت حزين وبين
دار للعمل — هى دار جريدة الوادى — يريد اليأس أن يتخذها
مسكناً ومستقراً ، لا يعرف كيف المخرج ويكاد يستسلم لكيد الكائدين
ومكر الماكرين ، وعندما تركته آخر مرة فى غرفة نومه فى خريف
سنة ١٩٧٣ كان المرض قد ألح على جسمه فأضعفه وأضناه ، ولكنه

كان مشغول الضمير بأزمة بلاده ، مهموما بهموم شعبه ، قسوى
الثقة والايمان بأن العدوان لابد مهزوم •

تسعة وثلاثون عاماً عرفت فيها طه حسين ، رأيته يناضل طوالها
لغايتين ، لا يرضى حتى يصل اليهما ويصل اليهما معه كل الناس ،
الغاية الأولى هي الحرية وهي عنده أساس الكرامة والمسئولية للامة
والفرد ، والغاية الثانية هي العلم — وهو عنده أساس النهضة في
ميدان الثقافة وميدان السياسة وميدان الاجتماع وميدان الاقتصاد
— في غرفة نومه ، في صيف ١٩٧٣ كان يسألني عن عدد متخرجي
الجامعات الذين انضموا الى زملائهم المجندين في جيش مصر لأنه
— فيما يظهر — كان يرى أن العلم هو أساس النهضة العسكرية
أيضاً ••

طه حسين فارقت روحه جسده عندما فارق اليأس روح مصر
ولم تفارق جسده الروح ، كما قال توفيق الحكيم ، حتى فارق
اليأس روح مصر حتى اقتحم شباب مصر ما أقيم في وجه بلاده من
عقبات ••

اختار الله طه حسين الى جواره في الثامن والعشرين من أكتوبر
١٩٧٣ ولنا في ذلك الوقت شباب محارب في الصحراء ، سمعوا نعيه
وهم لا يزالون يرابطون في خنادق سيناء ، نكتب واحد منهم وهو
المقاتل « عبد الصبور منير » أبياتاً الى طه حسين من سيناء يقول
فيها :

بين يدي والصدر

تقول قطعة السلاح

ان الذي علمها الكفاح

يستشهد اليوم هناك

وهكذا يرى المقاتل عبد الصبور منير أن « العالم الضير »
الذى كان قد لزم بيته قبل حرب أكتوبر بسنوات ، هو الذى علم
الكفاح لقطعة السلاح ..

كما يرى انه هو الذى كان جديراً أن يبارك ما قامت به أيدي
المحاربين من حمل للسلاح وما كانت تضره قلوبهم من العمل بعد
النصر لاعادة بناء البلاد .. يقول عبد الصبور منير : « ان كل شيء
في سماء الوطن الجميل ، محمل بما منح طه حسين الجيل من
الأصالة والعزة والفكر » واذا كان طه حسين أعطى لبلده هذا
العطاء ، فان قصة حياته نفسها كانت أيضا من أجمل ما خلف لهذا
الجيل من أجيال العرب ولمن يليه من الأجيال لا فيها من مثل عليا
تحتذى في تحدى أصعب العقبات وتحقيق أبعد الأهداف .

* قلت له : كيف يمكن للشعوب العربية أن تستفيد من تجربة
غنية مثل تجربة طه حسين ؟

— قال : بمناسبة هذا الكلام احب أن أذكر على أن العلاقة بين
مصر والعرب لا يمكن على الإطلاق تجاهلها ونستطيع أن نلقى نظرة
عامة على العالم نجد أن قوى هذا العالم جميعها تبدأ بحرف « يو »
ومعنى ذلك أنها اتحادات تتكون من مجموعات صغيرة مثلا لو كان
هناك لولاية « كاليفورنيا الأمريكية » حكومة كاليفورنيا الحرة ..
فما قيمتها ؟ القمة هي في وجود اتحاد هو « الولايات المتحدة
الأميركية » وهذا ما ينطبق على الاتحاد السوفييتى كذلك ..

نحن في عالم تتحد فيه المجموعات الكبرى وهذا حال المجتمع
الدولى — يبدأ من العائلة نفسها ثم القطر الواحد ولا بد أن تجتمع
كل الاتجاهات التى لها القدرة على أن تتعامل معا .

بيان

اذكر في عام ١٩٧١ أن تقدم الرئيس الاميركي نيكسون الى الكونجرس ببيان عن الحالة الدولية .. وتحت عنوان الشرق الأوسط — ولاحظ أن هذه التسمية كان يقصد بها المجموعة العربية .. أكد نيكسون على أن دولها أصبح لديها رأس المال الكافي للتنمية والعناصر البشرية القادرة على العمل ، كما أكد في التقرير الذي قدمه الى الكونجرس على انه باجتماع هذين العنصرين الجديرين — ترتفع هذه المنطقة من منطقة الدول النامية الى منطقة الدول المتقدمة ..

كلام نظري

ولكن هذا الكلام كان نظريا .. إذ تصور الرئيس نيكسون انه يمكن أن يتحقق التكامل والتكافل في المنطقة أو تصور مستشارو الرئيس في ذلك الوقت أن هذه المنطقة ما دامت توجد مساحة تجمعها يمكن أن تتكافل وأن لديها العناصر الكافية للخروج من دائرة الدول النامية وهذا لم يحدث لأن التكافل مثل التكامل لم يتحقق ، الأمر الذي يرتبط بالثقافة حيث تبدو مستويات التعليم في الواقع ليست متساوية أو متكافئة أو متناسقة ..

والتعليم هو أساس النهضة كما أكد على ذلك طه حسين .. اذن لكي نستفيد من تجربة طه حسين لابد أن توجد لدينا كعرب مياه واحدة في النمو الثقافي والنمو الاقتصادي معا .. ولابد أن نتطلع جميعا الى الوقت الذي تتكافأ فيه تلك المياه ويصبح فيه التجمع ضرورة لازمة يملينا علينا الواقع وليس التاريخ فقط .

ولو أردنا أن يكون لنا مستقبل فلا بديل من أن يكون لنا نفس تصور الرئيس الاميركي نيكسون عام ١٩٧١ بشرط استعمال خير المنطقة واستعمال القدرات البشرية فيها لصالحها وبالتالي نستطيع أن نتعامل مع باقي دول العالم على قدم المساواة ..

هذا الكلام ذكرته من عام وأعلنته وأذكره الآن وأؤكد عليه ..
وعلينا وكما ذكرت كثيرا في أكثر من مناسبة أن نعى ذلك في عالمنا
العربي وأن نصل الى هذا المعنى .. وأنا أثق جدا من أن طريقنا هو
هذا الطريق مهما كانت الظروف والتيارات ، فلا بد أن ينتهي بنا الحال
الى اتحاد وتجمع كلمة العرب في أى وقت من الأوقات .. وبأى
شكل من الأشكال .. والأمل عظيم وكبير في عودة وحدة العرب
 واتحاد كلمتهم ومواقفهم وبتماسك هذه المواقف .

حرب أهلية

✳ وماذا عن دور الجامعة العربية في هذه المسألة .. ؟

— صمت قليلا ثم قال : تصور اننى جئت من أفريقيا أو استراليا
وعرفت أن الجامعة العربية تجتمع الآن لكى تنتظر مثلا في حرب الخليج
— كمثال — سأنظر الى اللافتات الموجودة على مقاعد أعضاء الجامعة
— سنرى لافتة باسم ليبيا ، وحين أتأمل موقف ليبيا سأجد أن هذه
الدولة تتعاون مع ايران في هذه الحرب وسأجد لافتة أخرى باسم
الاردن كمثال أيضا — وأعرف انها تتعاون مع العراق وايران والعراق
متحابتان معنى ذلك وجود حرب أهلية في داخل جامعة الدول العربية
.. فكيف ولماذا اذن توجد جامعة عربية مع وجود هذه الحرب
الأهلية بداخلها .. ؟ ومن يسمح بوجودها وكيف يمكن أن يستمر ذلك ؟

الجامعة العربية ومنذ بدايتها عرفنا انه لابد أن تكون قراراتها
بالاجماع وبالتالي أعطى حق « الفيتو » لكل دولة عضو بها سواء
كانت دولة كبيرة أو صغيرة وهذا الشيء كان يبدو معقولا عندما كان
من الممكن أن يقتنع الناس ونحن نتحدث عن الصالح العام للعرب
وأن الضرر أو الألم لا يصيب دولة لوحدها ، بل والعرب جميعهم في
حرب أكتوبر ١٩٧٣ العرب المتحاربون لم يستغلوا منافعها وحدهم ،
بالمقابل فضرر حرب ١٩٦٧ لم يقتصر على الخاسرين وحينما نصل

الى ذلك يتحتم تقدم الوعي ، وتقدم العلم الذى نادى به الدكتور طه حسين وتطبيقه فى كل عالمنا العربى ..

وعلىنا أن نعرف ما اذا كانت الجامعة العربية قد جاءت بخير أم لا ؟ علينا أن أخذ بداية استقلال الدول العربية .. فكم كان عدد أعضاء الجامعة الأول مرة وكم العدد الآن ؟ سنجد أنه توجد حركة — وميثاق الجامعة العربية وضع أساسا باعتماد مبدأ التوافق حتى لا يحدث اختلاف بين الحكومات ..

ولا يستطيع أحد أن ينكر فضل الجامعة العربية وميثاق هذه الجامعة الذى وضع قبل ميثاق الأمم المتحدة وفى لحظة انصهرت فيه مواد الميثاق ووقفت كهيكل متكامل .. أما ميثاق الأمم المتحدة فقد ظهر ووضع بعد الحرب وانصهرت فيه مواده واذا أردنا أن نعدل حرفا من ميثاق الأمم المتحدة فسيسقط الميثاق كله والأمر نفسه ينطبق على ميثاق الجامعة العربية ..

حقيقة سياسية

السؤال هو كيف نتعايش مع ميثاق الجامعة العربية ؟

هذه مسألة تكتيكية ومسألة الاجماع تتضمن حقائق سياسية فكيف مثلا تجبر دولة عربية على أن تنفذ ما يريده غيرها من الدول .. تصور مثلا أن قرارا قد صدر يلزم الدول العربية بقطع العلاقات مع جنوب افريقيا — فكيف يكون الحال لو رفضت إحدى الدول العربية تنفيذ هذا القرار ؟

هل يكون الحل هو اخراجها من الجامعة العربية ؟

في ميثاق الأمم المتحدة يوجد « الباب السابع » الذي يحدد كيفية التعامل مع أى دولة عندما تخرج عن قرار أو رأى الأمم المتحدة؟ وهو مقاطعة اقتصادية لاجبارها فوراً على الانصياع للقرار — وربما بالقوة التى يمكن أن تتشكل من جيوش الدول الخمس الكبرى الموقعة على الميثاق ولكن العالم كله عجز عن تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بالقوة — وأعتقد أن العالم العربى سيعجز عن اخضاع أية دولة لا تريد الموافقة أو الانصياع لقرار المجموعة العربية ومن الضرورى أن يكون الاجماع موجوداً وأن تكون الحكمة العملية موجودة فى انه لا يمكن أن تخضع دولة بالقوة ما دام لها استقلالها وفى كل الظروف ليس شرط الاجماع هو السبب فى غياب وحدة العرب وانما فى عدم الاجماع نفسه ..

ان عودة مصر الى اجتماعات مؤتمر القمة الاسلامى بالكويت — مثلاً — أمر أسعدنا فى حينه ، فالتجمع العربى هو الشئ الحقيقى الذى يجب أن يكون هدف الوطنية العربية نحو مستقبل أفضل ..

وفى اعتقادى أن عودة الأمور الى شكلها الطبيعى داخل جامعة الدول العربية ، لابد أن ننظر اليه بموضوعية ..

* * *

الباب التاسع



فقالوا ..
في الدكتور الزيّات

وداعا فقيد دمياط ومصر والعالم

الدكتور محمد حسن الزييات(*)

رحل عنا معلم الأجيال الذي أعطانا من بحر علمه الكثير والذي وهبنا حبه وعطفه بقدر لم نأخذه من أحد ..

رحل عنا علم من أعلام مصر عامة ودمياط خاصة قطاعا عرفناه يتغنى بدمياط نحن اليه العالم بأسره من أدناه الى أقصاه ويذكرها بالخير ويتباهى أمام العالم بأنه ابن من أبنائها .. رحل عنا الدكتور الزييات الذي أحبه أديب مصر الكبير المرحوم الدكتور طه حسين خاصة دون أحد وأعطاه قطعة منه تقاسمه الحياة كما لمس فيه من قلب كبير يحب أبناء وطنه .. رحل عنا الرجل الانسان الوالد الحنون استاذنا ومعلمنا وحبيب قلوبنا الدكتور محمد حسن الزييات الذي أعطى دمياط كل حياته والذي أحبها وأحب شعبها حبا عظيما حتى آخر نفس من أنفاسه الذكية الطاهرة . لقد عايشنا هذا الرجل الانسان عن قرب ووجدت أن قلبه الكبير ينبض بحب دمياط وأبنائها وكان لا يدخر جهدا أن يتكلم معنا جميعا في كل لقاء شامخا عظمة تاريخ دمياط وشعبها وفضل دمياط على أبنائها ونسبه تسمية قراها ومدنها وكيفية تعاملنا مع أهلها المحبين للخير المؤمنين دائما بالله سبحانه وتعالى .. رحل عنا الرجل الذي عمل مع المحجوب شهيد مصر وعمل مع حبيينا جميعا ورأينا من ملائمتهم ميناء دمياط حقيقة رائعة بعد أن كان حلما نحلم به ورأينا منهم جامعة دمياط تولد وتكبر وتعطينا والأولادنا العلم ، المستشفيات والمدارس وتطوير سنترال دمياط وسائر الخدمات العامة في كل محافظة دمياط . الأكثر من ذلك بناء الانسان الدمياطي العظيم الذي

(*) الأديب مصطفى الأسمر — عضو اتحاد كتاب مصر .

يقدر العمل من أجل وطنه لقد أحبنا محمد حسن الزيات الإنسان
الدمياطى الذى اعترف العالم كله به عالما كبيرا ومجاهدا عظيما من
أجل قضايا وطنه العربى كله لقد أحبه الله لأن عباده أحبوه واختاره
فى شهر الرحمة والمغفرة شهر رمضان الكريم ليكون ضيفه فى جنته
ان شاء الله اننا نعاهد روحك الطاهرة يا زيات أن تكون كما أردت
لنا أن نكون أبناء مخلصين لوطننا مصر عامة ودمياط خاصة وأن
نسير على دربك وعلمك الذى تعلمناه من بحر وأعطته لنا راضيا ..
فالى رحمة الله وجناته الى أن نلتقاك وان لله وأنا اليه راجعون يا أيتها
النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية غادخلى فى عبادى
وادخلى جنتى ♦

* * *

وترجلل الفارس ..

محمد حسن الزييات

راحلا عنا .. (*)

ببالغ الحزن تلقت الأوساط الثقافية والسياسية في مصر
والعالم العربي رحيل العالم الجليل والسياسي البارز محمد حسن
الزييات تغمده الله بوابل رحمته .

والدكتور الزييات كما كان متواضعا في حياته كان متواضعا في
موته .. فقد كان رحمه الله بعيدا عن المظاهر الاحتفالية بسيطا
في كل شيء .. في مظهره وفي حياته وفي حديثه وكأنه قد خرج لتوه
من مدينة دمياط . ولكن في نفس الوقت كان حكيما قوى الحجة
واسع الثقافة والاطلاع ، وعندما يتحدث كنت أظن نفسي أمام
مرجع عظيم يحتفظ بالدليل الوثائقي لكل ما يقوله في أى مجال من
مجالات السياسة والثقافة والأدب والفن .

في الصيف الماضى قرأ رحمه الله كما قرأت أنا أيضا في جريدة
الأخبار في شهر يوليو من العام الماضى بأن جامعة الاسكندرية
ستقيم مهرجانا للاحتفال باليوبيل الذهبى لها وأن الدكتور الزييات
سيستلم جائزة التكريم باسم عميد الأدب العربى الدكتور طه
حسين نظرا لكون الدكتور طه حسين رحمه الله أول مدير لجامعة
الاسكندرية وأن المرحوم الدكتور الزييات زوج ابنة الأديب الكبير
الدكتور طه حسين . ورأيت أيضا في نفس العدد في الأخبار صورتي
واسمى باعتبارى خريج جامعة الاسكندرية ، وأنه سينالنى التكريم

(*) د. عيسى درويش — سفير سوريا بالقاهرة .

من جامعتى الموقرة ، ويرن الهاتف فى المنزل وكانت محدثتى على الطرف الآخر الزميلة الكريمة الدكتور لوتس عبد الكريم رئيس تحرير مجلة « الشموع » تقول لى : ان الدكتور الزيات يريد السفر الى الاسكندرية ، ما رأيك أن نسافر معا ونصطحب الدكتور الزيات معنا ؟

ولم أتردد فالفكر مع الدكتور الزيات متعة لا تعادله متعة .. وبعد قليل كان الدكتور الزيات وأنا فى المقعد الخلفى من السيارة ، وتكرمت الدكتورة لوتس بترك سيارتها لمرافقتنا مصرّة على مرافقة أستاذها الراحل العظيم والاسمتاع لحديثه بالرغم من الآلام التى كان يعانيها فى ساقه واضطراره للامزمة المنزل وحرصه على الحضور وكان كريما ومجاملًا مظهرًا كل السعادة بمرافقتنا وقد كان محدثًا طيلة المسافة وأصدق القول بأننا انتقلنا من روض الى روض فى جنات فكره المتدفق المعطاء .

عندما سألت الدكتور الزيات عن المكان الذى ينزل فيه قال لى بأسلوبه المحبب خذنى معك سأنزل حيث تنزل .. وهكذا رفض رحمه الله أن ينزل فى بيوت أقاربه وأصدقائه ومحبيه وهم كثير فى الاسكندرية ، ونزل حيث نزلت فى الفندق .. ولأزمته أياما فى الاسكندرية .. شعرت أنها ساعات كان دقيقا فى مواعيده فى الافطار والغداء والعشاء . وكان كريما على بما استمتعت به من حديث فى التاريخ وما من عليه فى الامم المتحدة فى أيام العرب الصعبة وكذلك ما قابله من ملوك ورؤساء ووزراء وما كتب من كتب ومذكرات . وقد لفت نظرى أن تلامذته من أساتذة جامعة الاسكندرية الذين قابلوهم كانوا يحيونه بكل معانى التقدير والاحترام الذى يقابل بها الأستاذ من تلامذته وزملائه . وكان تواضعه وأدبه وأخلاقه ظاهرة للعيان .. حتى أنهم أصروا على بقاءه وأقاموا له الاحتفالات والمحاضرات مما اضطرنى بحكم مشاغلى للعودة الى القاهرة وحدى على أمل اللقاء ..

رحم الله الدكتور الزيات .. فلقد كان يشكو من الوحدة في آخر أيامه وبعد رحيل زوجته أمينة طه حسين رحمها الله . وكان يقول لى .. أشعر بالضيق الآنئى أسكن المنزل فى الزمالك والاولاد يقيمون فى المعادى .. وأريد بيع البيت الأنتقل للعيش معهم .. وكان يتكلم بمزيج من الحب والألم .. كان يريد أن يجمع شمل الاسرة بعد أن شعر باشتداد الحنين الى العواطف التى تعودها من زوجته وأولاده وسرق الزمن والعمل منها ما سرق دفع بها أغلى أيام الحياة سفرا واغترابا فى سبيل الوطن والانسان .

وكما كان يرغب الدكتور الزيات فى أن يمارس حياته من القلم والورق وبعيدا عن الضجيج .. وبدون انذار أو اعلام لأحد .. اختاره قدره أن يرحل عنا بصمت وكأنه أراد أن ينسحب دون أن يكلفنا عناء وداعه ولو بكلمة واحدة أو خطوة نخطوها نحوه قبل الوداع الأخير . فأغمض عينيه راجعا الى بارئه عز وجل .. وقد ترجل عن فرس العمر كما يترجل الفرسان المشجعان ..

رحم الله الدكتور الزيات وألهمنا الصبر لفقده وعوض الله مصر الحبيبة وأهله ومحبيه عنه خير عوض وعظم أجره وأحسن مثواه .. ويا حبذا لو اقيم للفقيد الراحل حفل تأبينى فى القاهرة أو فى مسقط رأسه .. أو فى احدى الجامعات التى درس فيها أو قام بالتدريس فيها .. تكريما وتعظيما لهذه الشخصية العظيمة .

محمد حسن الزيات
صاحب رؤية سياسية
ونموذج دبلوماسي فريد(*)

كان الدكتور محمد حسن الزيات رجلاً واسع الأفق الى أبعد الحدود التي ندركها .. وكان أيضاً بعيد النظر الى أبعد مما تدركه أبصار جيلنا من آفاق .. وكان يجمع الى هذين الخلقين اللذين أوثقا على الانقراض قدرتين أخريين انقضتا بالفعل .. كانت له ذاكرة قوية منظمة الى الحد الذي تحرص فيه على ألا تستوعب المعلومة الجديدة فحسب وإنما تستأذنك دقيقة أخرى لتضعها في موضعها المناسب من تلافيف الذاكرة في مخه الكبير .. وكانت له أيضاً قدرة رائعة على الالمام بالتفاصيل المتعددة الجوانب المختلفة للقضايا المتشابكة .. في الموضوع الواحد ..

هذه هي أبرز قدرات هذا الرجل العظيم الذي انتقل الى رحمة ربه سبحانه وتعالى بعد حياة حافلة بالعطاء ، وحافلة بالهدوء النفسى والصفاء النفسى والسعادة النفسية .. ثم أخيراً الرضا النفسى العميق .

أما ملمس هذا الرجل فقد كان عجبياً الى أبعد الحدود الى الحد الذي يصفه خيراً منى الوزير محمد حافظ اسماعيل الذى تزامن معه فى كثير من المواقع طيلة عهدي الرئيسين الراحلين عبد الناصر والسادات حتى توجت هذه الزمالة قبل وأثناء حرب أكتوبر حيث

(*) د . محمد الجوارى .

كان الزيـات وزيراً للخارجية وحافظ اسماعيل مستشاراً للامن القومي
للرئيس السادات •

يقول حافظ اسماعيل في معرض حديثه عن الدكتور الزيـات :
« ولم يكن الدكتور محمد حسن الزيـات غريباً على ، فقد التقينا في
مطلع الخمسينات في واشنطن ، ثم جمعنا ديوان وزارة الخارجية بعد
عشر سنوات والدكتور الزيـات يجتذبك دون أن تدري ، فترتاح اليه
أو لا تترتاح •• ولكنك تظل على احترام له • فهو المثقف من قمة
رأسه الى أخمص قدمه •• وقد عهدته حاد الذكاء ، حاضر البديهة ••
يتمتع بروح الفكاهة •• وتختلط سخريته بجديته ووضوحه بغموضه
•• حتى ليتوه الانسان إن كان يؤيده أو يعارضه ولكنه أبداً
يستحوذ على إعجابك » •

ما بعد الأيام

وإذا كان لابد من أن ننقل للقارئ بعض الفقرات التي تصور
أسلوب محمد حسن الزيـات كأديب ، فلنطالع كتابه « ما بعد
الأيام » الذي جعله تكملة لكتاب طه حسين « الأيام » والذي يمثل
طرازاً جميلاً من أدب التراجم الذي تختلط فيه الترجمة الذاتية
بترجمة محورية أخرى ، ثم هو مع ذلك حريص على التاريخ الموثق
الدقيق وحفي في الوقت نفسه بالعبرة الأدبية القصيرة وقادر على
تحريك الأحداث لتعبر له عن المعنى الذي يراه في أروع من أن تعبر
عنه الكلمات وحدها فهو يلجأ للأحداث نفسها لتعبر عن معانيه وكأنه
لا يفعل شيئاً غير القصص •• وهو نوع من الثقة الجميلة بالفكرة
الذاتية ••

مكانته في السياسة المصرية

وربما يصعب علينا اليوم تخيل حجم الجهد الذى بذله الدكتور محمد حسن الزيات كوزير للخارجية قبل حرب أكتوبر، وقد مضى من التاريخ عشرون عاما على هذا الزمان .. ولكنى أحب أن أدل القارئ على كتاب « أمن مصر القومى » لحافظ اسماعيل وهو يلخص فيه مناقشات مجلس الوزراء فى ابريل ١٩٧٣ فترينا قراءة هذا الكتاب المحايد كيف كان الزيات يجاهد مثلا حتى فى مجلس الوزراء ليعبر معنى من قبيل أن مصر المستهدفة وليس « النظام الاشتراكى » .. وكان الدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية أبرز المتحدثين ، كان تقديره أن المستهدف الآن هو « مصر » .. وليس النظام الاشتراكى . وأبدى أنه لا يوافق على « الاختيار بين مصر الخاضعة عسكريا ، ومصر المسيطر عليها اقتصاديا » . وأن الوقت يمر لمصلحة « مؤامرة الصمت السياسى والعسكرى » ، وأن علينا الدفاع عن أجيالنا القادمة .

و« عن الحلول السياسية ، قال انه ليس هناك حل يوائم بين السيادة والأمن فيما عدا الحل المرحلى .. الذى يراه شاه ايران أنه سيصبح — فى حالة تنفيذه — الحل النهائى . اذ أننا نعيش بين الهزيمة والنصر » .

وفى تقديره كان كسر وقف اطلاق النار تحركا لمصر والعرب « فالعالم العربى يدرك أنه معلق بمصر » وأن أوروبا ستنتحرك دفاعا عن مصالحها .. كما ستضطر للتحرك حفاظا على هيبتها . فضياعها ضياع للوجود السياسى الأمريكى وسيتحرك السوفيت بينما تقترب الحرب من منطقة الخليج .

وفىما بعد تركه الوزارة بأكثر من ١٥ عاما سئل الدكتور الزيات

فى حديث صحفى عن خلفه مع الرئيس السادات عندما ترك الوزارة فكان جوابه :

« فيما يختص باستقالتي من الوزارة نان أساسها أن لى الحق أن أرى الأمور السياسية حسب رؤيتى لها من ضرورة الحاصل الشامل والعادل للجميع ولكن هذا الحق لى ثابله واجب آخر وهو افتراض أن رئيس الدولة عنده من المعلومات ما ليس عندى ، وهو بذلك أقدر، على الحكم فاذا كانت المعلومات التى عندى تؤكد لى أن السياسة المقترحة غير سليمة ، فعلى أن أترك مكانى • ولكن ليس لى أن أفترض أن المعلومات التى عندى هى نفس المعلومات التى عند رئيس الدولة وبالتالي فله حق رسم سياسته ، وعلينا أن ننتظر نتائج السياسة التى يتخذها •

هو •• وطنه حسين

هذا إذن هو « محمد الزيات » خريج الآداب الذابه الذى أصبح مدرسا جامعيا فى مرحلة مبكرة فى جامعة ناشئة هى جامعة الاسكندرية وبدأ يكتب بعض مقالات فى المجلات التى كان يصدرها أو يرأسها الدكتور طه حسين ، ويتصل فى ذات الوقت بالبيئة الثقافية فى أرفع مستوياتها سواء عن طريق شقيقه الاستاذ عبده حسن الزيات مدير تحرير كوكب الشرق والوادي أو والد زوجته الدكتور طه حسين ••

ولكنه فيما يبدو يخلو الى نفسه فيؤثر أن يبتعد عن خضم الحياة العامة فى وطنه ليتعمق التفكير فيما تعترك به هذه الحياة من حوله ، ويؤثر الانخراط فى السلك الدبلوماسى الذى بدأ فى ذلك الحين يتسع لينضوى فيه شباب جامعى نابى من ذوى الأصول المصرية الأصيلة •• وحين يروى السفير الفطاطرى فى كتابه « مراحل

تكون السلك الدبلوماسى « نجده يضرب المثل على هذه المرحلة بالألقاب الجديدة (أى أسماء العائلات) التى بدأت تأخذ مكانا فى قائمة الدبلوماسية المصرية التى كانت تكاد تكون تقريبا حكرا على الأصول الأجنبية والشركسية والتركية ومن أطرف ما يمكن أن تتأمله من هذه الألقاب لقب الدكتور الزيات والسفير الفلماطرى نفسيهما .. هذا بائع الزيت أو تاجر به .. وهذا صانع الفطير أو بائعه !!

ويقودنا التأمل خطوة أخرى لنجد أن هذه الفترة واكبت أيضا فترة انخراط العنصر المصرى فى الجيش المصرى حين التحقت به بعد معاهدة ١٩٣٦ الأجيال التى خرجت بعد ذلك فى ٢٣ يوليو لتحكم هذا البلد من خلال ثورة يوليو ١٩٥٢ •

كان محمد حسن الزيات اذن بحكم « التاريخ الطبيعى » هو النظير الأمثل لرجال الثورة فيما بين الدبلوماسيين .. ولكن .. محمد حسن الزيات كأبرز أبناء جيله من الدبلوماسيين لم يأخذ مكانه المرموق فى صناعة السياسة المصرية أو فى صياغة الدبلوماسية المصرية الا فى مرحلة متأخرة عن مكانة نظرائه من العسكريين فى المجالات التى تولوا شأن الكلمة الأخيرة فيها (كعبد الحكيم عامر فى القوات المسلحة وزكريا محيى الدين فى الداخلية وكمال الدين حسين فى التربية والتعليم وحسين الشافعى فى الشؤون الاجتماعية وعبد اللطيف البغدادى فى الشؤون البلدية وصالح سالم فى الارشاد القومى) • • وإيكنه مع ذلك ظل قريبا بل وقريبا جدا من الموقع الوزارى على نحو ما سنقرأ فى تسلسل تاريخه المفصل فى المناصب الحكومية والدبلوماسية •

وقد شاعت ظروف الثورة أن تستعين على وزارة الخارجية فى أولى عهدها برجلين من خيرة رجال السلك الدبلوماسى من الجيل السابق على الدكتور الزيات ، قضى أحدهما شهورا معدودة — وبقي

الآخر مع الثورة قرابة ربع قرن ، وهما المغفور لهما الاستاذ أحمد محمد فراج طايح والدكتور محمود فوزى ، وقد دفعت الثورة باثنين من العسكريين الى المكانة المتقدمة فدفعت أولا بحسين ذو الفقار ليكون نائبا للوزير (الدكتور محمود فوزى) •• ثم بمحمود رياض ليكون وزيرا للخارجية من ١٩٦٤ وحتى بدايات عهد السادات وليظل الدكتور محمود فوزى فى موقع أرفع من موقع الوزير نائبا لرئيس الوزراء ومساعد لرئيس الجمهورية ثم عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا ثم رئيسا للوزراء ونائبا لرئيس الجمهورية •

وحين شرع الرئيس السادات تحت مظلة الشرعية الدستورية بعد الشرعية الثورية يبحث بين الدبلوماسيين المخضرمين كان « الزيات » واحدا من اثنين تراهم الدولة خير من يقوم لها بهذا العبء •• وعين الدكتور « الطيب » مراد غالب السفير المصرى العتيد لدى الاتحاد السوفيتى وزيرا للخارجية بينما عين الدكتور محمد حسن الزيات وزير دولة للاعلام •• وما هى الا شهور حتى أسندت الخارجية الى الدكتور الزيات •• وكانت هذه الشهور لحسن حظه هى الشهور السابقة مباشرة على حرب أكتوبر !!

وحين كانت حرب أكتوبر تنتهى الآن تضع أوزارها كان أنور السادات يبدأ السير فى خط جديد مواز لخطوط كثيرة كان يمضى فيها بذكاء شديد ، وكان اسماعيل فهمى وزير الخارجية يأخذ طريقه الى نيكسون فى الولايات المتحدة ليبدأ خيطا يتواصل مع خيوط أخرى ليشكل مرحلة هامة من تاريخ هذا الوطن •

وعلى حين انتهت علاقة الرئيس السادات يرحمه الله مع كل من سلف الدكتور الزيات (الدكتور مراد غالب) وخلفيه (اسماعيل فهمى ثم محمد ابراهيم كامل) بنهايات قرب الى القطيعة المتامة كارتداد طبيعى لحدة الخلاف فى رأى بين الرئيس ووزراء

الخارجية !! فإن علاقته مع الدكتور الزيات مضت ربما بحكم شخصية الزيات وثقافته في منحى آخر فقد عين مساعدا لرئيس الجمهورية بقرار جمهورى يسبق فى رقمه المسلسل قرار تعيين خليفته وزيرا للخارجية .. ثم بقى فى هذا المنصب الى أن بلغ الستين أو شيئا من هذا القليل .. ومنح مع ذلك أرفع الأوسمة .. ولم يجد بعد ذلك غضاظة أبدا فى أن يدخل معترك السياسة المحلية فى عهد الرئيس حسنى مبارك يخوض انتخابات المجلس التشريعى ، وأن يتولى رئاسة عدة لجان من لجانہ !!

هذا إذن هو محمد حسن الزيات « نموذج فريد بين الدبلوماسيين جميعا فى جيله .. أسبقهم جميعا الى منصب رئيس هيئة الاستعلامات ووكيل الخارجية وأكثرهم حظا فى هذا المجال ..

رابع السفراء التسعة الذن أتيح لهم أن يرأسوا الدبلوماسية المصرية (من خلال منصب وزير الخارجية) على مدى تاريخها الطويل وفى عهد الثورة : (طايح — فوزى — رياض — غالب — الزيات — فهمى — كامل — عبد المجيد — عمرو موسى) وهو خريج الآداب وخريج اكسفورد الوحيد بين هؤلاء جميعا ، وهو أيضا الوحيد الذى تولى وزارتى الاعلام والخارجية ، وهو أيضا الوحيد الذى مارس الحياة البرلمانية . وهو أيضا الوحيد الذى مارس الحياة الحزبية على مستوى القواعد الإقليمية .

الزيات

شخصية دمياطية عالمية(*)

خسرت مصر علما من أعلام السياسة الخارجية العالمية والعربية والمصرية ، وخسرت محافظة دمياط ابنا من أبرز أبنائها وأعزهم عليها ، ومن أكثرهم ارتباطا بها ، وجهادا في سبيلها ، وذلك بوفاة الأستاذ الدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر الأسبق ..

لقد ذكرت الصحف المصرية والعربية وكذلك الاذاعات الاجنبية تاريخ الفقيد الدبلوماسي وعددت مناقبه طيلة يوم اعلان نبأ وفاته ، وقد عرفت اذاعة صوت أمريكا بأنه الدبلوماسي المحنك ، سريع البديهة ، قوى الحجة ، صاحب قدرة غير عادية في الدخول الى قلب محدثه ..

ولابد أن اسرائيل تذكره ويعرفه ساستها وبخاصة أبنا اييان الذي دارت بينه وبين الفقيد مساجلات ومناورات في مجلس الأمن وفي الأمم المتحدة في الفترة من أكتوبر ١٩٧٢ الى أكتوبر ١٩٧٣ وقد تحقق النصر العظيم الذي أسهم فيه بجهد كبير .

لقد كان الدكتور الزيات يؤمن بالدبلوماسية الشعبية .. كان وهو يمثل مصر في ايران ، وفي الهند ، ثم ممثلا لمصر وللأمم المتحدة في الصومال ، يتعامل مع القوى الشعبية والأحزاب السياسية ، يجمع بينها ويستفيد من وجودها في الشارع السياسي من أجل خدمة القضايا التي كان يعمل من أجلها ، ولقد ساعده على ذلك سعة اطلاعه ، وانتقانه للعديد من اللغات ، وحدة ذكائه ، وجلده على العمل ، ووقوف زوجته بجانبه .

(*) أخبار دمياط ، العدد ١٦٨٨ ، ٨ مارس سنة ١٩٩٣ .

زكريا محمد الحزاوي رئيس تحرير أخبار دمياط .

لقد كان الدكتور محمد حسن الزيات صداقات شخصية وصلات متميزة مع كثير من الشخصيات العالمية ، فقد أظهر صدام حسين تقديرا خاصا له في كل مباحثات أجريت معه سواء رسمية أو شخصية ، ومن هنا تنبأ بنية صدام غزو الكويت قبل وقوع ذلك بفترة .. تحترمه الفصائل الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات وتحترم آراءه وأفكاره ، وتربطه صداقة شخصية وعائلية بالرئيس الأمريكى السابق بوش .. وله مكانة خاصة في محافل الأدب والسياسة الهندية ، ولذلك أختير عضوا في لجنة التحكيم لمنح جائزة أنديرا غاندى للسلام ونزع السلاح والتنمية مع جوليوس نيريري رئيس جمهورية تنزانيا السابق وبيرونو كرايسكى مستشار النمسا السابق ، وعين عضوا بأكاديمية الملكة المغربية ممثلا لمصر مع سنجور. رئيس جمهورية السنغال السابق وادجار فور رئيس وزراء فرنسا السابق •

أما محافظة دمياط فقد بقي مرتبطا بها طيلة حياته ، لم ينفصل عنها في أى وقت .. وهو يعمل في أماكن مختلفة من العالم ، وانما كان يزورها بين الحين والحين ، يشارك في اللقاءات السياسية ، ويلقى المحاضرات ، ويبصر بالحقائق العالمية .. وعندما أراد الرئيس حسنى مبارك أن يستفاد بجهوده في العمل السياسى قبل أن يكون أمينا للحزب الوطنى الديمقراطى بمحافظة دمياط ، ويومها حصل لدمياط على عربات السنترال التى أنقذتها من العزلة عن مصر والعالم ، ودافع عن ميناء دمياط ، وأسهم في توسيع قاعدة التعليم الجامعى بالمحافظة .. وكان أثناء عضويته بمجلس الشعب مجمعا للهيئة البرلمانية للمحافظة التى استطاعت أن تحقق الكثير من المكاسب العامة .. وأن تكون صوتا قويا معبرا عن مصالح جماهير دمياط •

نظلم الفقيد حين نعدد مناقبه في مثل هذه العجالة ، لكننا فقط نذكر لعلم من أعلام محافظة دمياط بعض جهده وجهاده ، ونضرب المثل على وفاء ابن هذا الاقليم لأهله ولحبيه ، ونسجل، أن دمياط لن تنساه أبدا •

لمحات من الذكريات الغالية^(*)

جوانب شخصية الدكتور محمد حسن الزييات متعددة ومتنوعة ، لأنه موفور المواهب ، غنى بالقدرات ، ولذلك يحتار المرء من أين يبدأ ، وإلى أين ينتهى فى الحديث عنه ، لأننى أشعر اننى لو بدأت الحديث عن جانب من قدراته أو مواقفه التى عرفتھا عن قرب ورأيت أبعادھا التى لا يستطيع الالمام بها عابر سبيل ، أحتاج الى عشرات الصفحات ، ولا أجمع شتات فكرى فيها ، لأن الرجل عميق الفكر ، ذاخر بالمعارف والمعلومات ، ومواقفه فى كل قضية أو موضوع عابر ، تستحق الدراسة لأنها تكشف عن مدرسة عبقرية نبيلة يتحكم فيها ، ويضرب النموذج والمثل .

موسوعة من العلم والمعرفة

لقد كان الدكتور الزييات دائم الاطلاع على أمهات الكتب التى تصدر فى العالم ، فهو يخصص جانباً فى كل يوم لقراءة الصحف والمجلات العربية والأجنبية ، ويستطيع باللمحة على سطور صفحة الجريدة أو المجلة أن يعتصر الرحيق الذى فيها ، ويدخله فى كمبيوتر عقله ليتمترج بالمعلومات المخترنة فيه . . . وكم جلست إليه وبادرنى بقوله . . . هل قرأت هذا الخبر ؟ فأجيبه بالإيجاب . . . فيسأل . . . وما رأيك فيه ؟ ! وأحاول أن أحلل أو استنتج ماذا به يأخذنى الى منعطف آخر ، لا يقول فيه فكره وتحليله فقط ، وإنما يضع مجموعة من الحقائق والوقائع التى يوثقها بتواريخ أو أرقام

(*) محمد عبد الوهاب شبانة الأمين العام السابق للاتحاد الاشتراكى العربى بدمياط والأمين العام المساعد للحزب الوطنى وعضو مجلس الشعب السابق ونقيب المعلمين بدمياط .

أو نتائج قائمة وشاهدة ، وأجدنى قد حصلت على مجموعة من المعلومات الجديدة والأفكار الناضجة ، كما أخرج بنتائج يمكن أن أتميز بها على أقرانى فى مثل هذا المجال .. إنه أستاذ كبير ..

وهذه الحصيلة الرائعة من المعلومات والمعارف لا تقتصر فقط على مجال السياسة لكنه صاحب باع واسع فى الثقافة الأدبية ، فهو يحفظ من الأدب العربى الكثير من روائع الأبيات والقصائد الشعرية ، ويذكر روائع الحكم ، بل إنه لا يقف عند حفظ بدائع الأدب العربى القديم — وهو صاحب ذاكرة قوية ، بقى محتفظا بها الى أن ودع دنيا الناس — والذي كثيرا ما كان يستشهد به بدقة ، وفى بلاغة معجزة ، وإنما أيضا يحفظ من الحكم والأمثال الكثير .. منها اليونانى ، والاغريقى والفارسى ، وغيرها من الآداب وال فنسـون الحديثة ، ويحدثك عنها مستشهدا بها فى دقة وبلاغة .. وأذكر فى رسالة له وصلتني وأنا أعمل فى ليبيا فى أكتوبر ١٩٧٦ معلقا على خبر نشر فى إحدى الصحف اليومية بأن وزير الخارجية فى عام ١٩٧٦ ، كان بطل الدبلوماسية يوم أن كان وزيرا للخارجية فى أكتوبر عام ١٩٧٣ .. وهذه ليست الحقيقة .. كتب يقول : (هناك قصة يابانية عن جريمة قتل ، يرويها شهودها ، ويرويها ضحيتها ، ويرويها القاتل ، كل لا يعدو الحقيقة ، لكن كما رآها هو .. وما أدق الفرق بين الرواية والرواية ، وما أعمق احساس القارئ بالمأساة عندما يرى أن الصدق نفسه له صورته المختلفة) .

لا شك أن هذه القدرات والمواهب أصيلة فيه ، وبالطبع كان لصلته بأستاذه الدكتور طه حسين أثر فى حرصه على التحصيل المتنوع والمتعدد المشارب ، مع استمرار ممارسته لما يقرأ ويسمع ويرى .. وأعتقد أن من أسباب امتلاكه لثروة كبيرة من المعلومات زوجته الأستاذة أمينة طه حسين ، وهى الأدبية ، والقراءة والثقافة بشكل مبهر ويدعو الى الاحترام ، الى جانب أنها شخصية اجتماعية

على أعلى مستوى ، تحتفى بالضيف ، وتحسن استقبال الصـغير والكبير .. حضرت لقاءات للدكتور وزوجته أكثر من مرة ، ومنها مرة كانت قد انتهت لقوها من قراءة فصل من فصول أحد الكتب الفرنسية ، وإذا بها تخاطب الدكتور الزيات قائلة : أرأيت يا عطية كيف عالـج الكاتب كذا وكذا في هذا الفصل .. وتوجـز له ما قرأت ، وأحيانا يناقشها ، وأحيانا ينصت فقط وأراه مع صمته يختزن المعلومة ليضيفها الى معارفه الكثيرة ..

والقراءة في حياة هذه الأسر عنصر أساسى وهام .. وما زرت الدكتور الزيات وكانت زوجته معه — سواء في القاهرة أو رأس البر أو دمياط أو الناصرية — إلا وجدت في يد كل منهما كتابا يقرأه ، وغالبا ما يكون من أحدث ما أصدرته المطابع في العالم لأن زوجته تجيد سبع لغات وهو يجيد خمس .. ولقد كان أول مصرى ، بل أول عربى يحصل على كتاب (اسرائيل سنة ٢٠٠٠) وكان وقتها في زيارة أمريكا ، وقد قرأه ثم كلف وزارة الخارجية المصرية بترجمته الى العربية ، وسلم للرئيس السابق أنور السادات ، وعندما تحدث عنه في مؤتمر عقد في الكويت عام ١٩٧٣ دهش الحاضرون واستفسروا عن الكتاب وتاريخ صدوره .

ليست الكتب وحدها هي مصدر معلومات الدكتور محمد حسن الزيات ، وانما كان الى جانب ذلك من هواة الرحلات ، والتعرف على الأشياء والأحداث على الطبيعة ، ولذلك فانه في فترات عمله بالولايات المتحدة الامريكية زار جميع ولاياتها ، ومدنها الكبرى ، وعرف خصائص وطبائع وعادات أهل هذه المدن والولايات ، كما أنه كان كلما زار بلدا في عمل رسمى حاول أن يتعرف على مشاكله وكيف يمكن الربط بينها وبين زيارته أو العلاقات بين البلدين .. ليس هذا فقط ، لكنه في النصف الثانى من السبعينيات قام بعدد من الجولات في بلاد أوروبا الشرقية ، وكما قال لى : ذهبت اليها بعيدا عن المنصب ،

والمقابلات الرسمية ، وتجولت في أرجائها الأتعراف على حياة شعوب هذه البلاد على الطبيعة حيث أنه يقدر أن يحكم مثل هذه البلاد لا يطلعون ممثلى الدول الا على كل ما هو جيد ، ويخفون العيوب والمثالب ، وقد ذكر لى عن ملحوظة استرعت انتباهه ، وهى أن أغلب هذه الدول تهتم اهتماما بالغا بتربية وتعليم الأطفال ، وهو أمر لم يكن يتوقعه فى النظام الشيوعى .

تحميل المسؤولية بأمانة وحماس

الصومال قضية شخصية :

إذا تولى مسؤولية أى عمل يخلص فيه غاية الاخلاص ، ويعتبر الوصول الى أفضل النتائج فيه مسؤولية شخصية ، ويشعر بالسعادة فى تأدية الواجب فى المهام الصعبة ، ولعل من أبرز المواقف التى تؤكد ذلك أنه قبل العمل وزيرا مفوضا لمصر فى المجلس الاستشارى للأمم المتحدة فى الصومال عام ١٩٥٧ بدلا من المرحوم كمال الدين صلاح الذى أغتيل فى أحد شوارع العاصمة مقديشو ، ولم يكن الأمن مضمونا من جهة ، ومن جهة أخرى كان مخطا تخويف المصريين من التواجد فى الصومال فى هذه الفترة ليخلو الجو للاستعمار للبقاء فيه أطول فترة ممكنة ، ويعرف جميع الذين عملوا فى الصومال فى هذه الفترة من المصريين أن الرجل تهم مهمة شاقة للغاية ، لأن فصائل الصوماليين كانت متفرقة ، وكان أغلبها مرتبط بقوى أجنبية لا تريد لهذا البلد أن يستقل ، ولا أن يكون له علاقة بمصر بخاصة ، والأمة العربية بعامة . . ولقد أمكن عن طريق التحرك الواعى أن يزيد عدد المبعوثين المصريين الى هذا البلد سواء من رجال الأزهر ، أو من رجال التعليم وانتشروا فى جميع أرجاء الصومال ، ولقد كان لارتباطهم بالدكتور الزيات شخصا أكبر الأثر فى شحذ همهم وتفانيهم واخلاصهم فى العمل رغم قسوة الظروف هناك .

كان له علاقات شخصية ووثيقة بزعماء الأحزاب والقبائل المختلفة ، وكان يزورهم في مواقعهم ، سواء في أقصى الشمال أو أدنى الجنوب ، ويتعامل معهم بما يقربه منهم ، وقد أصبح الجميع يثقون فيه ويقدرّون حكمته في تصريف الأمور ، ولذلك فقد لعب دورا هاما في عدم تمزق الصومال بعد استقلاله المبكر في أول يوليو ١٩٦٠ ، اذ علم أن بعض القبائل في الشمال تريد أن يكون لها الاستقلال في ادارة المنطقة التي يعيشون فيها — وهو ما يحدث الآن — وكانت الحكومة المركزية المشكلة حديثا في مقديشيو ترفض ذلك .. واستشعر الرجل أن الجهود التي بذلت في سبيل استقلال الصومال تحاول أصابع خفية أن تنسفها وأنها تعمل لإعادة الصومال الى التبعية والاستعمار ، أو على الأقل تمزيق أوصاله من الداخل ليتمكن السيطرة عليه .. وهنا سافر الدكتور الزيات بنفسه الى منطقة الشمال وألتقى بزعماء القبائل ، وأوضح لهم الظروف التي تحيط بهم ، وأهمية المحافظة على الاستقلال عن طريق الوحدة الوطنية ونكران الذات .. وبقي معهم أياما محدودة لكنه كان يواصل العمل فيها ليلا ونهارا الى أن أمكن جمع شملهم تحت لواء علم الصومال الموحد ، وأن يطبق نظام الادارة المحلية في الأقاليم النائية .. وعندما عاد الى القاهرة وألتقى بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وعرض عليه تحركه مع رؤساء القبائل في شمال الصومال ، قال الرئيس له : لقد أحسنت صنعا ، وكنت موفقا غاية التوفيق أن سارعت وذهبت بنفسك عند بداية استشعارك بالخلاف لأنك لو انتظرت أسبوعا مثلا حتى تهدأ النفوس — كما يقولون — أو طلبت أن يحضر اليك هؤلاء الزعماء ، ما أمكن جمع الشمل ومنع الانقسام ، لأن بريق السلطة لن يجلس على الكرسي أو المتطلع اليه ، خطير للغاية ، ولا يسمح بتنازلات من أى طرف بسهولة •

لقد تبني قضية الصومال ، وكأنها جزء من بلده ، فقد حرص على أن يتعلم أبناؤها اللغة العربية لكي يتعلموا أصول الدين ويتقنوه

— وكانت نسبة عدد المسلمين الى السكان ٩٥٪ — وبتعلم اللغة العربية ، وبانتسابهم الى الاسلام ، وقربهم من الوطن العربى ، يجعل بلدهم جزءا من الوطن العربى .. وقد كان دائما يردد اقتناعه بتوجه الدكتور طه حسين فى أن تعلم اللغة العربية عنصر أساسى وهام فى تعلم الدين الاسلامى وانتشاره .. وقد بقى الدكتور الزيات على صلة بالصومال والصوماليين الى آخر أيام حياته ، ينشغل به ، ويفكر له ، وكأنه بلد ثان له .. وعندما نشبت المعارك فى السنة الماضية بين الفصائل الصومالية وراح ضحيتها آلاف المواطنين ، وخربت البنية الأساسية للبلاد ، وسألته : لماذا وطلت الأمور الى هذا الحد المفجع ، قال : لقد تأخر التدخل لمنع هذه الصراعات فى بدايتها ، لقد كان يجب أن تتحرك الأمة العربية ، والجامعة العربية بشكل مباشر لدى جميع الأطراف لمنع وقوع الصراع من أصله .. إن الصومال دولة فى الجامعة العربية ، وموقعها هام بالنسبة للامة العربية ، ومع ذلك فان الحلول تكمن فى الاتصال المباشر بأطراف النزاع وبخاصة زعماء القبائل ، ولا ينبغى أن تترك لقوى أجنبية ترى فى الصومال مصالح أخرى لها .

بوش وفوائد الديون :

وموقف آخر من أجل مصر وعلاقتها بالولايات المتحدة الامريكية .. لقد كان الدكتور الزيات صاحب رصيد كبير من العلاقات الشخصية والأسرية بكثير من الشخصيات العالمية ، ومن بين هؤلاء الرئيس الأمريكى السابق جورج بوش ، كما كان لسيادته والسيدة حرمه علاقات شخصية بالرئيس بوش وزوجته من قبل أن يشغل موقع رئيس الجمهورية وأيضا فى الفترة التى لم يكن يشغل فيها الدكتور الزيات أى منصب رسمى فى مصر .. زار الدكتور الزيات أمريكا لالقاء محاضرات فى إحدى جامعاتها ولإجراء بعض الفحوص الطبية ، وأثناء زيارته لبوش فى بيته تحدث معه عن المشكلة التى

تواجه الحكومة المصرية في علاقتها مع أمريكا وتتخلص في أن فوائد الديون المستحقة على مصر كل عام بالدولار يصعب تدبيرها من إيراداتها من مصادرها التي تدر عليها العملات الأجنبية ، وهو أمر يضغط على دولاب الحياة وعلى خطة التنمية في مصر ، وربما هدد ذلك الاستقرار فيها ، فأمسك بوش بقلم ، وفتح مذكرته الشخصية وقال : حدد لي وسيلة الحل الممكنة والتي يمكن أن أسهم فيها ، فقال الدكتور الزيات : ان الولايات المتحدة تدعم مصر كل عام بمنحة قدرها مليار دولار ، يعطى أغلبها على هيئة معونات و سلع ، فماذا لو دفعتها بالدولار ليمكن أن تكمل عليها مصر قيمة المستحق من فوائد الديون السنوية .. إن ذلك يحل المشكلة ، ويجعل الإدارة المصرية تتمكن من تصحيح أوضاع قديمة .. ورد بوش بأن ذلك يتعارض مع قانون المنح التي تقدم للدول المختلفة ، وسيكون سابقة تحتاج الى موافقة الكونجرس الأمريكى .. وبعد نقاش مركز وعلمى ، اقتنع بوش ، ووعدته بأن يبذل قصارى جهده لدفع مبلغ ٥٠٠ ألف مليون دولار عمله تسدد من فوائد القروض ، وعلى مصر أن تدبر أمرها فيما يتبقى وهو ما يقدر بحوالى ٧٠٠ ألف مليون دولار .. وبالفعل نجحت هذه الجهود ، ونفذ هذا الوعد .. وهذا موقف يدل بشكل واضح مدى إخلاصه لبلده وتبنيه لقضاياها الملحة ، وأنه لا يترك فرصة تسنح إلا ويغتنمها من أجل تحقيق الخير لها .. إنه الاحساس بالمسئولية الوطنية والأمانة في تأدية الرسالة .

دمياط في وجدانه

الارتباط الدائم :

بقى الدكتور محمد حسن الزيات محبا لبلده دمياط ، بل عاشقا لترابها رغم أن أصدقاءه المقربين المقيمين فيها كانوا عددا محدودا ، لكنه كان دائما يحن الى دمياط .. الى شوارعها ، والأماكن القديمة .. الى أكلها ، وجوها .. الى ذكريات بقيت في أعماقه

•• كان يحن اليها سواء كان في أمريكا أو أوربا أو آسيا أو افريقيا ويتحسس أخبارها من الصحف أو من كل قادم منها •• ولقد كانت أول علاقتي بسيادته عام ١٩٥٩ في الصومال في أول لقاء معه حين عرف أنني من دمياط ، وأننى أكتب في جريدة أخبار دمياط الاقليمية — وقد بقى يخصصها بمقالات في مناسبات مختلفة طوال حياته — ويومها طلب منى أن أقدم له كل عدد يصلنى بالبريد الجوى الآن وصول الجريدة بالبريد العادى يستغرق وقتا طويلا ، وقد كنت اتفقت مع صاحب الجريدة وسكرتير تحريرها أن يرسل لى الأعداد التى أكتب فيها مقالات بالبريد الجوى •• بدأت الصلة هكذا عن طريق دمياط وأخبارها ، ثم استمرت وتوطدت ، وأصبحت أعتر أن يقول عنى اننى بمثابة أخيه الأصغر ، وأسعد أكثر عندما كان يصل الى دمياط ويبحث فى طلبى لنجلس فنتحدث فى أمور كثيرة أهمها التطورات السياسية وبخاصة المتصلة بمصر ••

لقد حرص على أن يكون باسم اسرة الزيات منزل فى دمياط ، وآخر فى الناصرية ، تأكيدا لارتباطه بالمحافظة •• وكان كلما كتب الى رسالة وأنا فى خارج مصر يتحدث عن دمياط ، وأقتطف بعض عبارات من رسالة وصلتني منه وأنا فى ليبيا بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٧٦ •• يقول (حضرت الى دمياط ، وقد وجدت الشمس ساطعة ، ودمياط دفء كلها ، دفء جو ، ودفء وداد •• ووقفت ببحر رأس البر هذا المساء ، وهو نائم بأمواجه النعاس ، مطمئن مسترخ مستريح ، من أدري أين رأسه وأين أطرافه ، سوى أننى أعرف أنه يصل ما بين هذا البلد وبين بلدك الذى تعيش فيه ، وبلاد أخرى ، تذكر صحف هذا الصباح أن هناك تفكيرا فى أن نلتقى للتعاون •• والله المسئول أن يجعل تعاونها على البر والتقوى !) •

مشوار العمل السياسى فى دمياط :

عين أول رئيس للهيئة العامة للاستعلامات بعد يونيو ١٩٦٧ ، وكان نشاطها يمتد داخل مصر وخارجها ، وقد حرص فى هذه الفترة أن يكون فى دمياط بين الوقت والآخر ، وكان يلقي الأضواء أولا بأول على جهود مصر فى إعادة بناء القوات المسلحة بعد نكسة يونيو ، وكذلك موقف القوى الكبرى تجاه قضية الصراع العربى الاسرائيلى ، ولقد حظيت قيادات الاتحاد الاشتراكى بالمحافضة بعدد من هذه اللقاءات دعما للتثقيف الذاتى الذى يمكنهم من الالتقاء بال جماهير ، وتقديم المعلومة الصحيحة لهم ..

وفى هذه الفترة أيضا بدأ نشاطا جماهيريا شعبيا على أساس أنه كان المتحدث الرسمى باسم مصر ورئيسها فى المحافل الدولية ، وهو اختيار صادف أهله ، لأن هذه الفترة كانت تحتاج الى السياسى المحنك ، والى المتحدث القادر على اختيار العبارات ، بل الكلمات بدقة وعناية ، ويملك القدرة على التصرف والاستتباط والاستنتاج العلمى ، وقد كان الدكتور الزيات كذلك .. فى هذه الفترة رشح نفسه من خلال لجان الوحدات الاساسية جماهيريا فى تشكيلات الاتحاد الاشتراكى ، وقد نجح من القاعدة حتى وصل الى عضوية المؤتمر القومى العام .. وفكر يومها فى ترشيح نفسه لعضوية اللجنة المركزية فطبعا لم يكن ممكنا أن يرشح أحد نفسه ضده ، لقيمته الشخصية ، ولوقعه المسئول ، ولكن عندما عرض الأمر على الرئيس الراحل جمال عبد الناصر طلب ابلاغ الدكتور الزيات بأن يتترك الترشيح لغيره ، فهو أحد المسئولين عن السياسة العامة للدولة ، ويعرف أسرارها ، كما سيكون لسفره أثر كبير فى عدم الانتظام فى حضور اجتماع اللجنة ، وبذا تحرم دمياط من ممثل لها ، اذ كان مقررا أن يمثل دمياط فى عضوية هذه اللجنة واحد فقط عن الفئات وآخر عن العمال والفلاحين .. غير أنه لم يقطع صلته بالتنظيم

السياسى وقتها ، وكان يشارك فى ندواته ولقاءاته الجماهيرية ، ويطلع الناس على تفسيرات الأحداث .

وعلى ذكر العمل السياسى ، فلم يكن ذلك بالنسبة له هدفا يسعى اليه أو يؤهل نفسه له ، ولقد بعث الى فى رسالة كتبها يوم ١٥ أكتوبر ١٩٧٦ — وأنا أعمل فى ليبيا كما سبق أن ذكرت — قال (الحقيقة أن رئيس الوزراء طلب الى أن أقبل الانضمام الى اللجنة المركزية لمنبر الوسط ، وأن أكون سكرتيرا المحافظة (دمياط) ، وان شئت مرشحا ، ولكنى اعتذرت عن ذلك كله ، ولا أدري أخيرا فعلت أم لم يك خيرا ؟ !) ، وقد كان فى هذه الفترة يحس بمرارة وألم لأنه لم يقدم له سببا لخروجه من وزارة الخارجية فى أواخر عام ١٩٧٣ ، وهو الذى بذل جهودا خارقة للتعريف بقضية مصر واعتداءات اسرائيل عليها ، وحقق مصر فى استخلاص أرضها من أيدي المحتل ، وقد بقى يجوب جميع بقاع الدنيا ليكسب تعاطف الصغير والكبير لدرجة أن وزير خارجية انجلترا وصل الى القول له .. لقد أغتصبت أرضكم ، فهل تريدون منا استخلاصها لكم .. قال : لا .. قال : اذن أذهبوا واستخلصوها .. لقد دخل لص شقتك وجلس فيها ومنعك من دخولها ، هل تجلس فى شقة أخرى وتقول للناس أخرجوا هذا اللص منها ، واجبكم أن تبذلوا جهدا لاستخلاص أرضكم ، ووصل الدكتور الزيات الى ما يريد ، لكننا عندما نفعل ذلك ستقفون الى جانب المعتصب وتدعموه وكانت الاجابة .. اطلاقا .. هذا حقك ولن نمنعكم من الحصول عليه لأن اسرائيل ركبها الغرور .. فعل ذلك كله وقيل بعد ذلك أن الفاعل والبطل وزير آخر ..

أمين الحزب الوطنى :

فى عام ١٩٨٣ قبل أن يكون أمينا عاما للحزب الوطنى بمحافظة دمياط ، بعد أن استطاع ابن دمياط البار المهندس حسب الله الكفراوى أن يقنعه ، وأحسب أن ذلك كان أمرا صعبا ، فقد قضيت معه أياما

وليالى نقلب هذا الموضوع ، ونبحث مدى استعداده على تكيف نفسه لتحمل أعباء العمل الجماهيرى الذى يحتاج الى صبر ، والى التعامل مع المواطن العادى بأسلوب غير ذلك الذى تعود عليه سنين طويلة ، اذ أن المواطن العادى تشغله مصلحته الشخصية عن أى شىء آخر ، وهو لا يمل أن يقص حكايته التى يكفى أن تعرض فى جملتين ، يقصها فى ساعة أو زيد ، ويعيد فيها ويكرر ، ولا بد أن يعطيه المستمع كل حواسه ، وأن يفعل لها فورا ، وربما يصر على حلها قبل أن يقوم من مقامه والا خرج ساخدا غاضبا ، وأنا أعرف أن تركيبة الدكتور الزيات لا تعرف ذلك ولم تتعود عليه ، فقد رأيته فى أروقة جامعة الدول العربية يتحدث مع رؤساء الوفود العربية من وزراء الخارجية العرب بجمل أشبه ما تكون بلغة البرقيات ، هم يفهمون ، وهو يقصد الهدف اما بكلمات صريحة أو بتلميح بليغ ، وكم جلست إليه أحاوره بنفس هذا الأسلوب ، وأذكر أنه بعد توقيع معاهدة السلام مع اسرائيل قال لى .. لقد وجدت الناس فى القاهرة يوزعون الشربات ، قلت : نعم الناس فى فرح لأنهم حسبوا أن ذلك سيعود بالخير العميم عليهم ، فبادر بقوله .. السلام لمن .. إن السلام كالحرب طريقه ليس سهلا .. هكذا يعلق على موضوع كبير بجملته ، وأحيانا ببيت من الشعر ، أو بحكمة قديمة وهكذا .. المهم أمكن للمهندس الكفراوى بأسلوب بارغ أن يقنعه بقبول منصب أمين عام الحزب الوطنى للمحافظة ، ولولا حبه للمهندس الكفراوى ما كان يمكن أن يتم ذلك بسهولة .. وكان ترشيح الدكتور الزيات لهذا العمل يرضى عنه الرئيس حسنى مبارك الذى كان يقدر الرجل ويحترمه ولقد رأينا ذلك ولمسناه ، علاوة على أنه كان يرتبط بعلاقات شخصية بالقوى السياسية المختلفة ، وممثلى الأحزاب على مستوى الجمهورية والمحافظة ..

عند مقابلته للرئيس حسنى مبارك لبحث امكانية اشتراكه فى العمل الشعبى ، حاول الدكتور الزيات أن يعتذر موضحا أنه

لا يستطيع أن يتفرغ كل الوقت في دمياط حيث له ارتباطات خارجية ، وله أيضا ارتباطات بالقاهرة وفي مقدمتها ارتباطاته الأسرية ، يضاف الى ذلك أن دمياط في حاجة الى اصلاحات فورية ولشعبها كثير من المطالب .. قال له الرئيس : نريدك معنا تحمل يدا من القفة التي فيها أحمال البلد كله .. فقبل فوراً ، لكنه طلب بعض المعاونة من الأجهزة التنفيذية ، وتحديث مع الرئيس عن تليفونات دمياط الفاسدة ، والتي لا تمكن أحدا من الاتصال بأي بلد في مصر ، ناهيك عن بلاد العالم الأخرى ، وقد تهالكت أجهزتها تماما ، فأصدر الرئيس توجيهاته بحل عاجل الى أن يتم الحل الشامل والثابت ، وفعلوا وصل الى دمياط بعد توليه أمانة الحزب مباشرة وحدتان في سيارتين لتقوما مقام السنترال القديم ، ووحدة ثالثة لمصيف رأس البر ، وشعر الناس بأن الحال قد تبدل الى حال آخر متطور .. واستمرت جهود الدكتور الزيات لتطوير هذه الخدمة الهامة والحيوية بالنسبة لمحافظة يقوم عملها وحياتها على النشاط الصناعي والتجاري ، فقاد مجموعة أعضاء مجلس الشعب للمحافظة للسعى لدى وزارة النقل والمواصلات الى أن أمكن بناء سنترالين جديدين حديثين لدمياط ورأس البر ودخل الخدمة بأضعاف الطاقة التي كان عليها .

كما وقف الدكتور الزيات الى جانب اتمام ميناء دمياط ، وهو مشروع قومي من جهة ، وفيه احياء لتاريخ دمياط ميناء مصر الأول من جهة أخرى ، كما اهتم بانقاذ مسجد عمرو ابن العاص .. ولقد بقى موضوع اصلاح وترميم هذا المسجد يشغل فكره منذ زمن بعيد ، وسعى في سبيل ذلك بكل ما يملك من قوة ، وهو يذكر دائما أن هذا المسجد هو ثاني مسجد بنى في مصر ، وأنه تحول الى كنيسة ، ثم عاد مسجدا ، ثم تحول الى الكاتدرائية أيام استيلاء جيوش لويس التاسع على دمياط في عام ١٢٤٩ م ، وقد أقيم فيه حفل تعميد ابن ملكة فرنسا زوج لويس التاسع ، وعندما هزمت الحملات الصليبية

وخرجت جيوشها الى لا عودة ، أعيد المبنى مسجدا الى أصله ..
ويذكر سيادته أنه رأى ناقوس الكنيسة الضخم في متحف بهولندا .

ان الدكتور الزييات يعشق التاريخ ، ويهتم كثيرا بتاريخ دمياط ،
وكان يذكر الأسر البارزة في دمياط وقراها ، وكم قابل شخصا من
أحدى قرى دمياط وسأله عن اسمه بالكامل ، ثم بإدره هو نفسه
بتعريف والده وعمله السابق وهكذا ، ثم يتحدث عن القرية التي
كان يعيش فيها هذا الشخص .. وفي المؤتمرات الشعبية كان يذكر
الناس بأن محافظة دمياط لم يكن فيها الا مدرسة ابتدائية واحدة —
على النظام القديم — وأن من كان يريد أن يدرس في المرحلة الثانوية
عليه أن يذهب الى القاهرة أو المنصورة ، ولذلك فقد اهتم بتوسيع
التعليم في المحافظة ، وفاتح الرئيس حسنى مبارك في ذلك غير أن
الرئيس يرى أنه ليس من المصلحة التوسع في الجامعات وانما
الأفضل تحسين الأداء في الجامعات الحالية ، وتدعيمها بالامكانيات
.. ومع ذلك فقد أمكن باتصالاته فتح مجالات جديدة للتعليم العالى
والتوسع في الكليات الموجودة .

الدكتور الزييات خارج مصر

لقد كان الدكتور الزييات شخصية محترمة ، تنال تقدير كل من
أتصل بها أو عمل معه ، وكان ودودا ومجاملا ، كان لشخصيته الدولية
وزنها ، ومن المناسب أن أذكر مواقف سمعتها منه أو رأيها معه ،
وأكتفى بمقتطفات منها ..

بعد أن ترك وزارة الخارجية ، سافر الى أمريكا لالقاء محاضرات
في جامعة كاليفورنيا ، وأراد أن يعرض نفسه على أحد كبار الأطباء
المشاهير .. وبينما هو جالس في انتظار حضور الطبيب ، وحلول
دوره .. مر الطبيب فلمحه .. وبعد دقائق جاءت المريضة لتسأل
عنه ، واصطحبته الى غرفة الطبيب المشهور ، فوقف الرجل على

كرسيه وبادره بالأسف الشديد ، قائلا له : معذرة فان الممرضة ليس لديها وعى عام لأنها لم تعرف شخصية دولية مثلك ، ورد له قيمة الكشف .. وعبثا حاول الدكتور الزيات مكتثيا بهذا الترحيب والتقدير ، وأصر الطبيب قائلا .. دعنا نعبر عن تقديرنا لرجل دولي ..

وعندما انتهت انتخابات مجلس الشعب الأخيرة ، ولم يوفق الدكتور فيها .. استضافة الرئيس بوش في أمريكا لمدة عشرين يوما ، وأدخله المستشفى لاجراء فحوص طبية ليطمئن عليها ، وكأنما قال لقد أخطأ الناس لكننا لا نزال نقدرك .

وفي يوم من أيام رمضان عام ١٩٨٥ دعى الدكتور الزيات مجموعة أعضاء مجلس الشعب عن المحافظة لتناول طعام الافطار في فندق ماريوت بالقاهرة ، على شرف مائدة أقامها أحد كبار الناشرين اللبنانيين ، وحضرها كبار كتاب مصر ، وقد كانت حفاوة الرجل بنا بالغة ، وقد جلس معنا ابنه ليرحب بنا أغلب الوقت ، وكان الرجل في كل مرة يقول : انكم مع عملاق السياسة الخارجية العربية .. الرجل الذي قبل عميد الأدب العربي أن يزوجه ابنته ، وجود الرجل معنا شرف لنا جميعا .

وأعرف أنه من الشخصيات التي كانت تيارا منظمة التحرير الفلسطينية ترحب بالجلوس اليها ، وبمناقشة قضايا الدولة معها ، وأنه لعب كثيرا دور حماسة السلام بين المنظمة وبعض الجهات العربية في أوقات توتر العلاقات بينهما .

في يوم الوفاء والانتفاء(*)

للاراحل الدكتور محمد حسن الزيات

اننى في هذه الذكرى .. وقد تعودت أن أكون عطيا ولكنى
أرى العبارات تتعثر .. وقد تعودت معها أن أكون منطلقا •

ولهذا فكرت قليلا قبل أن أتحدث في دقائق عن الزيات .. ومن
هو الزيات .. يا سادة .. إننى اذا أردت أن أتحدث عن الزيات
أحتاج الى ساعات وساعات في وفائه واخلاصه وبسمته •

إذا أردت أن أتحدث عن العملاق العالم .. الأديب ..
السياسى .. الدبلوماسى عن وعن .. أيها الأخوة أننى أعترف
أمامكم إننى أعجز عن أن أطرق هذا الباب ولكن أقدم شكرى الوفير
للأخ الاستاذ سمير فراج وأقدم الشكر لمديرية الشؤون الاجتماعية
.. التى كان يحبها ويرعى رجالها .. وإن كان لى حديث .. فإننى
أول الأمر • ومع تقديرى كل التقدير لكل من فكر ونفذ فالزيات
أقوى من كل ذلك • ومع تقديرى لأخى وصديقى عميد كلية التربية
الذى قال لى اليوم لقد كان الزيات قدوة فى الجامعة • وهو من
الرجال الذين ساعدوا جامعة دمياط • وأن الجامعة والكلية فى دمياط
إن كانت تكرم أعلام دمياط وقامت بتكريم الزيات من قبل • فالزيات
أفضل وأعلى من كل لقب يعطى له • ولا بد أن يبقى اسم الزيات فى
دمياط .. ليكون أمام شباب دمياط .. نريد لدمياط أن يخرج
منها الزيات والزيات • ويبقى أمامهم مكانا وعنوانا يذكرهم بالزيات •
فيسئلون عنه ويعملون على الدرب الذى سار عليه •

(*) حمزة السنباطى الأمين العام للحزب الوطنى بدمياط •

أريد من المستشار المحافظ .. بل والله لقد أراد هو .. وبذل الكثير لكي يخلد هذا الاسم بعمله وجهده ونشاطه • فهو الذي تخرج من كلية الآداب وكنا نحن بكلية الحقوق ولكن كنا نذهب لكلية الآداب لنرى الزيات .. فهذا هو الزيات .. الذي يستحق لجنة برئاسة المستشار محافظ دمياط لنرى مكتبة لأعلام دمياط .. نبدأها بمكتبة الدكتور الزيات في أحسن مكان بدمياط • نريد أن يكون هناك مكانا كبيرا يطلق عليه اسم الزيات ومنشئة تعليمية جديدة تحمل اسم الزيات ولم تسم من قبل كما أرجو من السيد المستشار تحقيق رغبة الزيات في إقامة كلية للدعوة الإسلامية بجامع عمرو بن العاص • هذا الجامع التاريخي وهو ثاني جامع بنى في مصر بعد الفتح الإسلامي لكي يعلم شباب دمياط أن الدمايطة يستحقون أكثر من ذلك لقد سمعت في حفل التكريم الكثير والكثير عن الزيات يدل على القوة والشجاعة والحكمة •

وأختتم كلمتي .. الى روحه الكريمة .. إننا كنا في مثل هذا اليوم نسعد بلقاءك ونعاهدك أن نكون على الرب سائرين وخدام لدمياط ونعاهدكم أن نسير على نهجه • وأن نقف بمنطقه ورحمة الله عليه ..

لقد حرمنا الله من المحبوب ومن بعده الزيات عوضنا الله عنهما ولتبقى ذكراهما خالدة بيننا ..

* * *

الباب العاشر



الزيات ...
في الصحافة المصرية والعربية والعالمية

مهرجان الوفاء للدكتور الزيات بدمياط

وكتاب جديد عنه(*)

تقرر إقامة المهرجان الخاص بتكريم اسم د. محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر الأسبق وابن دمياط البار وذلك بحديقة الطفل - في عيد دمياط القومى ٨ مايو القادم بمشيئة الله - وذلك من خلال الحلقات الصحفية التى يكتبها الكاتب الصحفى سمير فراج فى جريدة الأنباء الكويتية فى صفحات كاملة والتى سيصدر بعدها كتابه المنتظر د. محمد حسن الزيات - صفحات مضيئة من تاريخ الدبلوماسية العربية - والذى ينتظره العالم العربى ومصر وهو أول كتاب يصدر عن د. الزيات بعد رحيله المفاجئ . أيضا يعرض المهرجان قطوفا من كتاباته المؤلفة المتنوعة ومن المقرر توجيه الدعوة للاستاذ المستشار محمد عبد الرحيم نافع محافظ دمياط لافتتاحه فى إطار الاحتفالات بعيد دمياط القومى .

* * *

(*) أخبار دمياط ، السنة الرابعة والاربعون ، العدد ١٦٠ ،
٢٦ ابريل ١٩٩٣ م .

حفل تأبين لفقييد مصر ودمياط(*)

الدكتور محمد حسن الزييات

أقامت وزارة الخارجية والسفارة الهندية بالقاهرة يوم الأربعاء الماضي حفل تأبين بالنادى الدبلوماسى لفقييد مصر الدكتور محمد حسن الزييات وقد حضر الحفل السفير اسماعيل مبارك مساعد وزير الخارجية نائبا عن السيد وزير الخارجية وتحدث فيه عن دور الفقييد الراحل فى السياسة الخارجية وعن جيل الدبلوماسيين الذين تتلمذوا على يديه وأصبحوا يحتلون أكبر المناصب القيادية فى الدولة كما تحدث الاستاذ محفوظ الأنصارى رئيس تحرير الجمهورية وأشاد بدور الدكتور الزييات فى الصومال وأفريقيا وكيف استطاع أن يكسب قلوب الافريقيين مع مصر فى كل جولاتها كما تحدث أيضا السفير مختار الجمال مدير المعهد الدبلوماسى بوزارة الخارجية والسيدة سفيرة الهند فى القاهرة والسفير على خليل رئيس جمعية الصداقة الهندية المصرية عن دور الزييات فى تقوية العلاقات بين مصر والهند •

وقد حضر الحفل وفد من دمياط برئاسة الاستاذ حمزة السنباطى رئيس المجلس الشعبى المحلى للمحافظة الذى تحدث عن دور الفقييد فى انجازات دمياط وخاصة فى مشروع الميناء وبناء كلية التربية بدمياط وقد قام برعوة الدبلوماسيين لاقامة حفل تأبين للفقييد الراحل فى موطنه الأصلى دمياط •

* * *

(*) اخبار دمياط — العدد المذكور سابقا •

اليوم مهرجان الوفاء والانتماء(*)

وتكريم اسم الدكتور الزيات

تحت رعاية الاستاذ المستشار محمد عبد الرحيم نافع محافظ دمياط يقام اليوم مهرجان الوفاء والانتماء لتكريم اسم راحلنا العزيز الكبير الدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر الأسبق — وفيه يعرض الكاتب والأديب ابن دمياط الاستاذ سمير فراج قطوفا من مقالاته عن الفقيد في جريدة الأنباء الكويتية والعالم العربى بالاضافة الى معرض يضم قطوفا عن حياة د. الزيات ويعقب هذا محاضرة يلقيها الاستاذ سمير فراج مؤلف، هذا الكتاب الأول عن د. الزيات — تحت عنوان د. محمد حسن الزيات وصفحات مضيئة من تاريخ الدبلوماسية العربية — أيضا تكون هناك كلمات مضيئة حافلة بالذكريات من بعض ضيوف دمياط في عيدها القومى ومن أصدقاء الفقيد العزيز .. ومن المنتظر أن يحضر المهرجان اليوم الوزير المهندس حسب الله الكفراوي والسفير المصرى الأسبق فى الولايات المتحدة « عبد الرؤوف الريدى » وبعض الشخصيات الهامة فى مصر والعالم العربى .

جدير بالذكر أن الأوسمة التى حصل عليها راحلنا الكريم عبر مشواره السياسى والدبلوماسى الطويل سوف يتم عرضها فى المهرجان : وذلك بحديقة الطفل — قاعة المؤتمرات فى الساعة السابعة مساء .

* * *

حوار حول حرب الخليج

مع الدكتور الزيـات

الدكتور محمد حسن الزيـات وزير خارجية مصر الأسبق ..
الذى ارتبط اسمه منذ زمن بعيد بقضايا التضامن العربى والتي
أكسبته خبرة كبيرة فى هذا المجال إستمدتها من المناصب المتعددة التى
تولاها بدءا من مندوب مصر الدائم فى الأمم المتحدة حتى منصب
رئيس لجنة العلاقات العربية بالحزب الوطنى ومجلس الشعب
السابق .

تحدث الدكتور الزيـات بكل الصراحة مطللا الموقف بعد مضي
أكثر من ثلاثة شهور على أزمة الخليج موضحا الجوانب التى تكشفت
من الأحداث .

✽ بداية ماذا ترى مستقبل التضامن العربى خلال الفترة القادمة
خاصة بعد ما تعرض له بسبب أحداث أزمة الخليج ؟ !

— تعرض نظامنا العربى الى عقبات عديدة جدا بعد احتلال
العراق للكويت وسياسة الرئيس صدام حسين التى ضربت التضامن
العربى ضربة قاضية لأنه قسم العرب الى قسمين : قسم يقف مع
العدل والحق والشرعية الدولية فى صف الدول التى أدانت عدوان
دولة قوية على دولة ضعيفة ، وقسم آخر ساند العراق بسبب عاطفى
أو لأسباب شخصية .

على كل حال التضامن العربى ضرب فى القلب بسبب أحداث الخليج لدرجة انه يمكن أن يصيب الكثيرين باليأس من جدوى التضامن العربى فى المستقبل .. وهم محقون فهذه الأزمة ردت مسيرة التضامن الى الوراء على الأقل ٢٠ عاما ولكن توجد نفوس لا تعترف باليأس ولا بد من وجود سعى للوصول الى هذا الهدف .

* والعالم يتجه الآن نحو الوحدة ونظام الكيانات الدولية الكبيرة .. ولماذا لا يتوحد العرب رغم انهم أكثر حاجة الى هذه الوحدة ؟ !

— فعلا النهاردة أوروبا كلها بما فيها من دول شرقية وغربية .. وما بينها من خلافات أكبر جدا مما يوجد بين الدول العربية وبعضها ومع ذلك فقد استطاعت هذه الدول أن تبحث عما يجمعها من مصالح العيش .

فلماذا لا يبدأ العرب بذلك ؟ إن هذا أمر محير حقيقة .. هل لأنهم أقل حماسا فى التضامن الذى نتحدث عنه ؟ أم أنهم أقل علما بطرق الوصول لغاياتهم ؟ ! أم أنهم أكثر اهتماما بذواتهم من اهتمامهم بالصالح العام ؟ ! أم هل الغنى فيهم يخشى اذا تضامن مع الفقير أن يقل بعض غناه وأن تزول بعض أمواله ؟ !

التضامن الايجابى لصالح الجميع .. ودع عنك مثلا تضامن الدفاع عن النفس .. وكيف يمكن أن يكون لدولة تعدادها لا يزيد على ١٠ ملايين أو ٥ ملايين أو مليونين الدفاع عن نفسها الا باللجوء لدولة أخرى تعدادها ٥٠ أو ٦٠ مليونا .. وهل الدولة التى تعدادها ٥٠ مليونا ستقوم بهذا الدفاع عبارة عن تبرع تلقائى تدفعه فى سبيل الشهامة .. لا — أبدا — بالطبع !! لأنها ستعلم فى النهاية أن الأمن العربى كل لا يتجزأ .. وأن وجود ثغرة فى الأمن العربى فى البحرين يهدد الأمن العربى فى الجزائر .

* ولكن يؤخذ على العرب — دائما — أنهم لا يفعلون
ما يرددونه .. ؟ !

— هذا صحيح .. ونحن عندما نقول أن مبادئنا هي الخير
والعدل والسلام الى آخره .. هل هذا الكلام مجرد عبارات
محفوظة نردها بغير معنى أم يتم تطبيقه والالتزام به ؟ ! وهل
عندما نقول انه لا يجوز لنا أن نتدخل في شئون الدول الأخرى ..
هل نقول هذا من قبيل ترديد كلام وأقوال حسنة الوقع والسمع أم
عن اقتناع ..

مثلا الخطاب الذى ألقاه الرئيس صدام حسين بنفسه عند
افتتاح مجلس التعاون العربى نص فى الصفحة الثالثة منه يقول :
« انه يجب ألا نتدخل فى شئون الدول الأخرى اطلاقا » ثم بعد
سطور منه يقول : « ويجب اننا نؤمن وأن نلتزم بأن الأرض لا يمكن
أن تغتصب بالقوة » * ثم اتضح انه يردد هذا الكلام لأنه يقع موقعا
حسنا من السمع وليس اقتناعا بعقيدة ثابتة *

* يقال إن هناك العريد من الجوانب التى تكشفت من جراء
أزمة الخليج عربيا ودوليا .. ما هى أبرز هذه الجوانب من وجهة
نظركم ؟ !

— بالفعل كشفت أزمة الخليج عن العديد من أوجه القصور
مثلا أثبتت أن جامعة الدول العربية وكافة التنظيمات العربية
السياسية والاقتصادية والعسكرية غير كافية .. ونحن لدينا معاهدة
دفاع مشترك واتفاقيات للتضامن الاقتصادى والمفروض أن مجلس
الجامعة العربية يختص بمناقشة القضايا السياسية وغيرها من
القضايا المطروحة .. ولكن أزمة الخليج كشفت — بالفعل — عن ثغرات
عديدة لابد من تداركها فى المستقبل *

مثلا لا مفر من انشاء محكمة عدل عربية تتولى الفصل في المنازعات بين الدول العربية وتشتترط أن تقبل الدول المتنازعة قرارها مقدما .. كما ظهر أيضا أن اجتماع القمة أو اجتماع مجلس الجامعة العربية على أكبر مستوى غير ملزم وأن كل دولة تحضر اذا أعجبها الحكم أو القرار تشارك واذا لم يعجبها تنسحب ..

لا بد أن يكون هناك التزام ويجب على كل دولة أن تحترم القرار سواء كان في صالحها أم في غير صالحها لأنه لا يمكن أن يكون القرار مرضيا لجميع الأطراف بالطبع !

ظهر شيء آخر إن صدور قرار بالحرب من جانب احدى الدول مسألة ليست بسيطة وانه في الدول المتقدمة يحتاج ذلك الى موافقة البرلمان واستطلاع رأى الشعب ولكن في حالة العدوان العراقى واضح تماما أن الشعب العراقى لم يؤخذ رأيه في احتلال الكويت .

تكشف — أيضا — أن هناك بعض الدول لا تدرك باحتياجاتها الحقيقية سواء بالنسبة للدفاع أو الحماية .. مثلا لماذا أسقطت الدول العربية ديونها الآن لمصر ؟ ! ولماذا لم تسقطها من قبل ؟ !

واضح بالطبع أن هذه الدول هي في حاجة — فعلا — الى مصر الآن وبالتالي بدأت تساندها — وكان واضحا من قبل — أن مصر قامت بتضحيات عديدة للعرب جميعا وكان من الأولى انهم يساندون مصر على الأقل في ديونها ولكن لم يحدث ذلك !!

* تردد ترشيح اسمكم لمنصب الأمين العام لجامعة الدول العربية ؟

— نعم سمعت ما يتردد حول ذلك بل واستفسر منى البعض حوله ولكن حقيقة لم يعرض أحد على ذلك بالفعل .. وما زلت لا أعلم

شيئاً محدداً — حول هذا الأمر الى أن يعرض ذلك رسمياً ممن رشحنى
اذلك كما نقول !

✳ ونحن نستعد لانتقال الجامعة العربية الى القاهرة .. يدعى
البعض انه ستكون هناك جامعتان للدول العربية إحداهما في تونس
للدول المعارضة لانتقال الجامعة والأخرى في مصر .. هل يمكن أن
يحدث ذلك بالفعل ؟ !

— بالنسبة لانتقال الجامعة العربية الى القاهرة فالأمر لا يحتاج
الى بحث أو مجرد مناقشة لأن ميثاق جامعة الدول العربية نفسه
بما يتضمن في المادة العاشرة منه يؤكد ذلك ولا بد ن تنفيذه سواء
أراد البعض ذلك أم لم يرد ؟ ! فطالما ظل هذا الميثاق قائماً فلا مفر
من ذلك .

أما بالنسبة لوجود مقر آخر لجامعة الدول العربية في تونس
فهذا أمر لا يمكن تصوره لأنه لا يمكن أن توجد جامعتان للدول
العربية .. لأنه لو حدث ذلك فانه يكون تقسيماً وانقساماً كاملاً
للوطن العربى عندئذ يكون من الأفضل إلغاء الجامعة العربية ككل
وأن تعمل كل دولة بمفردها لا داعى اذن لوجود أى تنظيمات عربية
مجتمعة .

✳ يقال إن هناك صلة صداقة تربطك بالرئيس الأمريكى
جورج بوش ..

— نعم تربطنى علاقة صداقة مع الرئيس جورج بوش ..
فقد كنا منذ فترة طويلة زملاء معا في الأمم المتحدة عندما كنت أتولى
منصب مندوب مصر الدائم هناك وكان الرئيس بوش مندوباً للولايات
المتحدة الأمريكية في الأمم المتحدة وكنا دائمي اللقاءات والزيارات
معا .. وفي الشهر الماضى كنت تلقيت دعوة من إحدى الجامعات

الامريكية لكي ألقى بها بعض المحاضرات هناك وانتهزت الفرصة وطلبت لقاء الرئيس الأمريكي الصديق القديم وبالفعل التقيت به بحضور السفير المصري رعوف الريدى •

تحدثت مع الرئيس بوش في العديد من الأمور منها بالطبع أزمة الخليج وموقف مصر منها وطلبت من الرئيس بوش أن يتم تطبيق المبدأ الدولى الذى اتفق على تنفيذه ضد العراق بسبب احتلاله للكويت على إسرائيل بالنسبة لاحتلالها لدولة فلسطين وضرورة أن تعالج مشكلة القضية الفلسطينية على غرار الأسلوب والقرارات التى اتخذتها الأمم المتحدة ومجلس الأمن فى احتلال العراق للكويت •• وقد رحب الرئيس بوش بذلك ووعدنى ببحثه فى المستقبل •

✽ ننتقل الى موضوع آخر خاص بالاستعداد لانتخابات مجلس الشعب •• ما رأيكم فى موقف بعض أحزاب المعارضة من مقاطعة الانتخابات بصفته أحد قيادات الحزب الوطنى ومرشحه عن دائرة دمياط ؟ !

— بالنسبة لانتخابات مجلس الشعب فموقف بعض أحزاب المعارضة غريب بالنسبة لى •• سبق أن طالبوا بالانتخاب الفردى وتم تنفيذ مطلبهم ورغم ذلك يقاطعون الانتخابات •• عامة اذا لم تمثل المعارضة داخل مجلس الشعب وهذا لن يحدث بالطبع فان هناك معارضة سوف يستعان بها من داخل الحزب الوطنى نفسه الآن الحزب يضم قيادات واتجاهات وميولا فكرية وسياسية عديدة ومتنوعة •

أنا مثلا لو اتاحت لى الفرصة فسوف أعارض على سبيل المثال كل مشروعات القروض التى ستقدم بها الحكومة لإقرارها من المجلس لأننى أعتقد انه يكفيننا ما اقترضناه من الخارج ورغم أن هذا ضرر سياسة الحكومة أو الحزب الوطنى ولكننى لست مقتنعا !

شكر صادق

الدكتور محمد حسن الزييات :

يتقدم بأصدق الشكر والعرفان لكل من أولاه ثقته في انتخابات
مجلس الشعب الماضية ويدعو بالتوفيق لكل مسئول عن مسيرة دمياط
القادمة نحو التقدم والتفوق في كل ميدان •

كما يهدي تحياته وأجمل تمنياته لكل مواطنيه من سيدات ورجال
وشباب المحافظة(*) •

* * *

(*) لم يفصل د. الزييات يوما عن مسقط رأسه دمياط ومثلها
كقائب في مجلس الشعب حيث تولى أيضا رئاسة لجنة الثقافة والفكر
والاعلام والشئون العربية ، من أخبار دمياط ، العدد ١٦٣٤ ، ١٩٩١/٢/٤ .

تكریم الراحل د. محمد حسن الزيـات(*)

فی اطار احتفالات دمیاط بالعيد القومی أقيم مهرجان لتكریم اسم د. محمد حسن الزيـات وزیر خارجية مصر سابقا وابن دمیاط وذلك یوم الاثنين ١٠ مايو الحالی بقاعة النشاط الاجتماعی والثقافی بحديقة الطفل تحت رعاية المستشار، محافظ دمیاط وبإشراف مديرية الشؤون الاجتماعیة بدمیاط وعرض صفحات من كتابه « صفحات مضيئة فی تاریخ الدبلوماسية العربیة » أول مؤلف یصدر عن د. الزيـات بعد رحيله تألیف الكاتب الصحفی سمیر فراج وعقدت ندوة مفتوحة للمقریین من فكر وحیة د. الزيـات بعنوان (من رحيق الذكريات) وأقيم معرض خاص بأسم الوفاء والانتماء للبارزین من أبناء دمیاط حضر الاحتفال المستشار، محافظ دمیاط وحمزة السنباطی ، و م. عباس حسن الزيـات نائب وزیر الزراعة سابقا وشقیق الفقید والقیادات الشعبیة والتنفیذیة .

وكلیة تربیة دمیاط تكرم د. الزيـات

أعلن أ. د. عبد الرؤوف أبو السعد، عمید كلیة التربیة بدمیاط بأنه سيعرض على مجلس جامعة المنصورة مقترحا باقامة مؤتمر لتكریم د. محمد حسن الزيـات وزیر الخارجية سابقا وعضو مجلس كلیة التربیة بدمیاط ، ویكون هذا المؤتمر تخلیدا لذكراه ومواقفه المجیدة مع الكلیة وعقد ماحور أدبیة وثقافیة وسیاسیة ودبلوماسیة عن حیاة الفقید ویدعی لهذا المؤتمر أساتذة الأدب والسیاسة والفكر .

(*) الدمیطة ، دیوان عام محافظة دمیاط .

(*) الدمیطة .

قطوف من رحيق الذكريات

بقلم

د. محمد حسن الزييات (**)

جلسنا في شرفة مسكنى بالزمالك نتناول قهوة الصباح صامتين ،
نتأمل أشعة الشمس تضيء غصون الشجر، القائم على جانبي الطريق ،
وقطع (مؤنس) الصمت الطويل بقوله ، كازما كان يناجى نفسه :
« لم يبق منا نحن الأربعة سوى » •

الأربعة هم طه حسين وسوزان ، التى كنا ، أنا ومؤنس ، قد
وارينا جثمانها التراب ظهر اليوم السابق ، وأمينة ابنتهما التى كانت
قد فارقتنا فى العشرين من سبتمبر العام الماضى (*) ، لتلحق بأبيها
الذى لبي نداء ربه فى الثامن والعشرين من أكتوبر عام ١٩٧٣ •
وهكذا لم يبق من الأسرة الصغيرة غير مؤنس •

ولد مؤنس فى القاهرة عام ١٩٢١ ، وبمواده اكتمل عقد تلك
الأسرة قليلة العدد ، ومنذ مولده الى يومى وفاة والديه لم يشغلها
عنه وعن أخته أى شاغل ، لم يهملها الوالد يوما من أيام عمله
الجاد العنيف فى القاهرة ولا يوما من أيام عطلة الصيف حيثما كانت
الأسرة تقضيها •

ما غابت الصبية وما غاب الصبى عن قلب الوالد أو الوالدة
لحظة •

وعندما كان طه حسين يملأ كتاب الأيام فى ظروف قاسية
شديدة القسوة ، لم يختر ختاما لكتابه غير حديث تحدث به الى

(*) عام ١٩٨٨ - ماتت أمينة طه حسين •

(**) من روائع ما كتبه د. محمد حسن الزييات •

ابنته (وهى فى العاشرة من عمرها) حديث أصبح منذ ذلك الوقت من محفوظات الأدب ، لا فى لغته العربية فحسب ، بل وفى عشرات اللغات ، التى حرص أصحابها على أن يترجموا إليها كتاب الأيام .

وقراء ذلك الكتاب لا يزالون يسمعون بتأثر شديد طه حسين وهو يقول لابنته « لقد رأيته ذات يوم جالسة فى حجر أبيك وهو يقص عليك قصة (أوديب ملكا) وقد خرج أوديب من قصره بعد أن فقأ عينيه لا يدرى كيف يسير وأقبلت ابنته (انتجون) فقادته وأرشدته . رأيته فى ذلك اليوم تسمعين هذه القصة مبتهجة من أولها ، ثم أخذ لونك يتغير قليلا قليلا ، وأخذت جبهتك السمحة ترتد شيئا فشيئا ، وما هى إلا أن أجهشت بالبكاء وإنكبت على أبيك لثما وتقبيلا .

وهؤلاء القراء يفعلون بما فى هذه المناجاة من صدق ورقة يرفعونها الى ذرى الأدب العالية ، على أنهم يلاحظون كذلك أنها تصور طه حسين وهو يجلس ابنته فى حجره كان يقص عليها — وهى فى حجره — ألوان القصص وكانت ترتدى عليه وهى فى حجره ضاحكة عندما يضحكها ، باكية عندما يبكيها .

وكذلك كان يفعل مع ابنه ، يقص عليها وعليه بعض القصص العربى وبعض القصص العالمى . وقصصا أخرى كان يخترعها لهما اختراعا ويبتدعها لهما ابتداعا . وكان الطفلان يستمعان لهذه القصص كلها بشغف ، ويطمئنان الى صدقها ويفرحان به . غير أن طه حسين يحكى لنا أن ولده قد رفض ذات مرة تصديق قصة كان قد بالغ فيها وأشتد فى الاغراب . وغضب الوالد لما أظهره الولد من الارتياب والشك ، ولم يعبء الولد بغضب أبيه ، فقامت بينهما خصومة يحكى طه حسين قصتها عندما يخاطب ابنه بقوله : « أتذكر يوم كنا نعبث فيه فى (مدينة) جرانمير وكنت أحدثك بحديث أنكرته

لغرابته واغراقه فى الخيال فأبيت أن تصدقه أو تطمئن اليه ، وألححت عليك فى ذلك فلم يزدك إلا إغراقا فى الانكار ، وخاصمتك حينئذ وأعلنت اليك أننى لن أداعبك بعد اليوم ولن أتحدث اليك إلا جادا ، وأنت صلب الرأى كأبيك ، لا تذعن للأوعيد ولا يخيفك النذير فأعرضت عنى وأعرضت عنك وقضينا فى ذلك يوما وبعض يوم لم أقل لك شيئا ولم تقل لى شيئا ، ولكن أختك أقبلت فأنبأت أمها بأنك ضيق بأعراضى عنك لا تنشط للعب لأننى لا أداعبك ولا أدعوك باسمك الذى كنا نحب أن ندعوك به فتوسطت حينئذ أمك فأصلحت بيننا وأعادت الى ثغرك الابتسام وأعادتك الى ما كنت تحب من لعب ومرح •

سل أمك يابنى فستتبئك بأنى لم أكن أقل منك شقاء بهذا الاعراض وبأنى كنت أشكو اليها بينما كنت تشكو أنت الى أختك •

أتذكر هذه القصة انها تصور ما بينك وبينى من حب قد علمك أن تقبل منى ما كنت أتحدث به اليك بما فيه من خيال وما فيه من أصالة » •

حدثت تلك (الحادثة) أثناء عطلة قضتها الاسرة فى زيارة لاقليم (الألزاس) على حدود ألمانيا ، وهى رحلة يقول طه حسين عنها : « مهما تكن العواطف التى أثارتها فى نفوسنا هذه الرحلة ومهما يكن ما لقينا من خير وشر ، ومن رضى وسخط ، فلن يعدل هذا كله ما حفظته نفس هذا الطفل الصغير (مؤنس) من هذه الرحلة » • فلقد فتن مؤنس أثناء الرحلة بثلاثة أشياء : فتن بالعيون والينابيع والمياه المنحدرة من فوق الجبال ، وفتن بالبيع والعمارات التى جعل يقارن بينها ويبين ما تمتاز به كل منها ، وفتن أخيرا بقطارات السكك الحديدية ، التى جعل يحصى ما تقطع من المسافات وما تقف عنده من المحطات •• يحفظ أسماءها إن استطاع كما يقول والده فإن أعياه ذلك أو فاته اخترع لها الأسماء اختراعا ولعله

يخفظ الاسم على غير وجهه ثم يعيده عليك في شكل بديع مضحك ،
« وهو لا يكتفى بحفظ القطارات ومحطاتها ، ولكنه يقلدها » • فهو
القطار في حركته وصوته يقف ويندفع ثم يقف ويعلن المحطات التي
يقف عندها والتي يقصد اليها •

ولطه حسين ابتسامة حلوة كانت دون شك تضيء وجهه وهو
يملى هذه العبارة : « كانت لذيذة مثيرة للعواطف مرضية للنفس هذه
الرحلة بين هذين الطفلين ، يعيش الطفل في الخيال ، وتتفتح نفس
أخته للحياة ، فإذا هي ترى الأشياء على وجهها أو تريد أن تراها
كذلك ، وإذا هي تتفق جهدا لا حد له لتلائم بين الحياة كما تراها
الآن وبين ما حفظت نفسها الناشئة من خواطر الطفولة وصورها
وأحاديثها » وينتهي طه حسين الى أن السفر يستطيع أن يكون شاقا
متعبا ، وتستطيع الهموم أن تملأ النفس ، ويستطيع العمل أن يكون
مجهدا « فلن يثبت هذا كله أمام هاتين الابتسامتين الحلوتين : ابتسامة
الطفل الذي لا يزال يحلم ، وابتسامة الصبية التي أخذت تضيق » •

ويعود الأربعة في آخر الصيف الى الاسكندرية بالباخرة والى
القاهرة بالقطار ، والى دار الأسرة في مصر الجديدة بالسيارة ،
والصغير (مؤنس) لا يكاد يبلغ الدار حتى يندفع اليها فرحا مرحا وهو
يأبى أن يصعد مع الأسرة الى حيث تزيل عنه عناء السفر الطويل وانما
يندفع الى حديقة الدار •• « يدور فيها دورة أو دورتين ليرى هل نما
الشجر وأورق ، وهل ازدهى الزهر وتألّق ، حتى اذا بلغ من ذلك
ما يريد ، فوجد شيئا وفقد أشياء ، وأحس رضى وأحس سخطا ، صعد
فلم يلتفت الى الأسرة ولم يسأل عما هي فيه وإذا ما أسرع الى حجرته
ليريح فيها دمية على شكل دب كان يحملها طيلة أيام السفر ، يتخذها
صديقا يطمئن الى صداقته ، نجيا لا يمل نجواه ، والأطفال في سن
مؤنس آنذاك يلتصقون بهذه الدمي التصاقا وهم لا ينفكون يتحدثون
اليها ويتصورون أنهم يسمعون عنها ويتخيلون أن لها مثل ما لهم

من الأحاسيس • دخل الطفل الى حجرتة فأراح (الدب) في مضجعه فهو محتاج قطعاً الى الراحة بعد تعب السفر ثم خرج من الغرفة الى حيث كانت الاسرة فيسأله أبوه :

« أتذكر يوم ذهبنا الى (فونتنبلو) لنزور القصر ، وكنت قد اصطحبت دبك هذا فلما بلغنا المحطة تقدمت اليك أمك في أن تدعه مع ما كان معنا من متاع حتى لا نشق عليك ولا يصرفك عن جمال القصر وما فيه فأذعنت كرها ولكنك أظهرت تجلدا واحتمالا لهذا الفراق حتى اذا مضينا وبعدنا عن المحطة أجهشت بالبكاء وأغرقت فيه فلما سألناك عما يبكيك أجبت (أن الدب ان يرى القصر) فعدنا أدراجنا ، وزار الدب معك هذا الأثر العظيم » •

« ها أنت قد أضجعتني في سريرك وأحطتني بما يسع قلبك الصغير القوى من حب وحنان ، ثم أقبلت علينا تشاركنا فيما نحن فيه من عمل وحديث • أنت راض عن هذه الرحلة ، مغتبط بما لقيت فيها من خير وقد نسيت ما احتملت فيها من مشقة • • سينسيك الصبي أحداث الطفولة وينسيك الشباب أحداث الصبا ، وسيلهيك جد الحياة عن عبث الشباب » •

وتمر عشر سنوات :

وفي صيف عام ١٩٣٩ كان عهد الطفولة وعهد الصبا قد انقضيا وكان مؤنس قد بلغ طور الشباب • • كان قد تخرج في الجامعة المصرية وعقد العزم على أن يستكمل دراسته العليا في مدرسة النورمال في باريس • • وهذا هو يودع والديه فيقول له أبوه :

« ها أنت يا بنى تهجر وطنك ومدينتك ودارك ، وتعبر البحر في سنك هذه الصغيرة تطلب العلم وحيدا في باريس ، فدعني أهدي اليك هذا الحديث (عن أيام طلب الوالد العلم في الازهر) لعلك ترتاح

اليه بين حين وحين اذا أجهدك درسك .. هناك ترى لونا لم تعرفه من ألوان الحياة في مصر ، وتذكر شخصا طالما ارتاح الى قربك منه ، وطالما وجد في جدك وهزلك لذة لا تعدلها لذة ، ومتاعا لا يعدله متاع » .

وتنقضي عشر سنوات أخرى ، ويكون وداع آخر . كانت بيبة ١٩٤٨ من أقسى سنوات الفصال في حياة طه حسين . كانت السراى تتهمه بأنه بكتابات عن (المعذبين في الأرض) انما يستهدف نفس أساس المجتمع ونظامه الملكى ، وكانت تسلط على طه حسين ما أسقط عنه من قوى البطش والارهاب والحرمان ، على أن ذلك العام قد عرف يوما سعيدا تم فيه زواج « أمينة » فادخلت السرور على قلب الأسرة كلها ، غير أنها لم تلبث أن فارقت الأسرة مع زوجها أولا الى الإسكندرية ثم الى واشنطن بعد زواجها بعامين .

وهي تقبل على أسرتها تودعها قبل سفرها ويصف ذلك طه حسين بقوله : « ألت فحيت ، ثم قامت فودعت ، فلما همت أن تنصرف ألقته في يدي شيئا صغيرا وتولت وهى تقول : « اجعل هذا وقاء لك من شر من تحصن اليه ونظرت فإذا هو مصحف دقيق . لك العهد يا أبنيتى لا يفارقنى مصحفك هذا الدقيق حيا وميتا ، ولك العهد ألا أتخذة وقاء من أحد ولا وقاء من شيء وإنما أحمله الآن حمله محبب الى » .

أجمل غنارى مصر

هى ليلى حامد العللى ابنة دمياط

ويسأل طه حسين زوج ابنته يوما عن أجمل غنارى مصر من تكون ؟ ويعتذر المسئول بأنه لم يتم بعد دراسة ذلك الموضوع !
وينجيب طه حسين « بل هى ليلى بنت حامد العللى (بلدياتك) من دمياط ، بنت أمينة بنت أحمد شوقى أمير الشعراء » ويتسم المسئول الآن عجائز دمياط كن قد أسررن اليه منذ شهور بأن أسرة العللى تنتظر أن يتقدم الي خطبة صغرى بناتها « الدكتور مؤنس طه حسين » ويتم الخطبة والزواج ، ويكون سكن الأسرة فى طريق الهرم قد تم بناؤه من مسكنين يعيش الدكتور طه وزوجته فى احدهما ويعيش مؤنس فى السكن الثانى ، ويطمئن مؤنس فى عمله مدرسا فى كلية الآداب فترة ، تنتهى بمغادرته مصر مع زوجته وابنته ليعمل فى مقر منظمة اليونسكو فى باريس سنوات طوال .

وتطول غيبة (أمينة) عن أبيها وهى تشارك زوجها حمل هموم أمته والسعى بآمالها فى مختلف العواصم ، وتطول غيبة مؤنس عن أبيه وهو يجاهد فى اليونسكو لنقل آثار العرب وعلماء المسلمين الى لغات الغرب ، ونقل آثار الغرب الى لغة العرب ، وينقضى العهد الذى لم يكن الأربعة يفترقون فيه ، ويصبح اتصالهم الدائم عن طريق التراسل فحسب ، ولا يتاح لهم اللقاء مجتمعين كلهم إلا بين الحين والحين وكان طه حسين قد خاطب ولده بقوله : « لقد تعودت ألا ترانى إلا باسمك لك ولكتك ستتمو وترى أن ابتسام الآباء الأبنائهم الصغار كثيرا ما يخفى اكتئابا وحزنا . . . وستعلم أن ما كنت أملكك من الابتسام والرضى ، وما كنت آتى معك من ضروب اللعب والدعابة لم يكن خالصا كابتسامك ورضاك ولا صفوا كلعبك ودعابتك ، وإنما كان يخفى من ورائه حزنا واكتئابا ما كان لك أن تراهما صبيا ، وما ينبغى أن تجهلها رجلا . »

وما أسعد الأب حين يثق بأن ابنه يحبه محزوناً مظلماً النفس ،
كما يحبه مسروراً مشرق الفؤاد » .

وينتهي (مؤنس) من شرب قهوته فيكرر قوله : « لم يبق منا
نحن الأربعة سوى » ويصمت لحظة يقول بعدها : « عندما كنت
أسارع ما استطعت للحضور الى القاهرة هذه المرة كان معي صديق
يئذل في مساعدتي أقصى جهده » ويقول لى : « يجب أن يكون الولد
الى جانب والدته في ساعاتها هذه الأخيرة » وكنت أقول له : « إن
لها ولداً آخر في القاهرة يرعاها رعاية الولد البار » . لقد كنا أربعة
وكان هو الخامس ثم أصبحنا ستة ثم شاء الله أن يسترد ودائعه
وديعة بعد وديعة » (*) .

* * *

(*) يا شيخنا الله ! هكذا انتهى ذى الزيات موضوعه — والآن
ذهب هو الآخر — استرده الخالق العظيم وديعة أخرى غالية . . . وبارك
الله مهر مؤنس طه حسين آخر الودائع فى الاسرة الكبيرة العريقة .

العمل والأمل :

الولايات المتحدة الأوربية

والولايات المتحدة العربية(*)

بقلم الدكتور

محمد حسن الزيات

وزير الخارجية الأسبق

... في الساعات الأولى من ساعات اليوم الأول من هذا العام الجديد دخلت القارة الأوربية عهدا جديدا من عهودها بقيام السوق الأوربية المشتركة بين ١٢ دولة من دولها تتطلع: دول أخرى إلى الانضمام إليها وبقيام هذه السوق أصبح مواطنو الدول المشتركة فيها يحملون جوازات سفر موحدة يتحركون من دون أى قيد في أراضى هذه الدول كلها • ويقومون من دون أى قيد في أى دولة منها يمارسون فيها مهنتهم المختلفة فلا يمنع مانع الطبيب البريطانى من ممارسة مهنة الطب في ألمانيا ولا مانع يمنع المحامى الفرنسى اذا كانت لديه القدرة اللغوية على ممارسة مهنة المحاماة في ايطاليا والحال كذلك بالنسبة الى المحاسب والتاجر والصانع والزارع • يتم ذلك كله في اطار تنظيم تتوجه به جهود كل المواطنين في هذه الدول الأوربية الى خيرهم المشترك ترتقى به السوق الأوربية لتصبح أكبر أسواق العالم وأقدرها على استيراد المواد الخام وتصدير السلع المصنوعة سوقا مؤهلة وقادرة على منافسة كل أسواق العالم •

(*) آخر مقال كتبه بنفسه د. الزيات في ٨ فبراير ١٩٩٣ في جريدة أخبار الصباح وقبيل زحيله بإيام. حيث انتقل الى جوار ربه في ٢٤ من نفس الشهر • كانت قمة آماله وحده العرب •

ما كان منها ظاهر التفوق الآن مثل السوق الأمريكية وما كان منها يتوقع التفوق في المستقبل مثل سوق دول شرق آسيا .

والمسيرة التي سارتها الدول الأوروبية وانتهت بها الى قيام السوق المشتركة في أول يوم من أيام هذا العام لا تقتضى بوصولها الى هذه المرحلة لأنها عازمة على الاستمرار في مسيرتها حتى تبلغ مرحلة الوحدة الأوروبية السياسية والاقتصادية الكاملة بحيث يتمتع كل مواطنها بشخصية بل قل بجنسية جديدة هي الشخصية أو الجنسية الأوروبية من دون أن يتخلوا عن انتماء كل منهم الى جنسيته الحالية وقد شرح أحد الوزراء البريطانيين ذلك بقوله أن زوجته شديدة الاعتزاز بانتمائها الى اسكتلندا من دون أن يمنعها ذلك من أن تكون الآن شديدة الاعتزاز بانتمائها الى بريطانيا ومن دون أن يمنعها ذلك في المستقبل من أن تكون شديدة الاعتزاز بجنسيتها الأوروبية .

نحن في العالم العربى نشهد هذه المسيرة الأوروبية التي بدأت بخطوة صغيرة تبعتها خطوات مرسومة محسوبة وصلت بها الآن الى مرحلة السوق المشتركة وجواز السفر المشترك ونحن جديرون بأن نتأمل كيف كانت أوروبا قبل قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ . وكيف أصبحت عام ١٩٩٣ لفرى كيف تقوم الآن علاقات التراحم والتلاحم مقام علاقات التحدى والتباغض بين فرنسا وألمانيا على سبيل المثال ونذكر أن ذلك التحدى وما أدى اليه من حروب كان سببه محاولة لكل دولة أن تكسب لمواطنيها من المكاسب المادية ما كانت تتصور أنه لا بد من انتزاعها انتزاعا من يد الآخرين كما نعرف الآن أن أوروبا اقتصت بأن هذه المكاسب يمكن أن تتحقق لدولها جميعا بالتعاون والتضامن والتكافل وأنها بالحروب التي يتاح فيها لبعضها أن ينتصر على البعض الآخر لا يفلت المنتصر من بعض

ما يصيب المهزوم من فقد للأرواح وتدمير الممتلكات ووقف بسيرة التقدم والرقى •

إن أوروبا اليوم تتطلع الى استخدام طاقات أبنائها جميعا لخدمة المجموعة الأوروبية واستغلال مواردها الطبيعية جميعا لخدمة هذه المجموعة • وتعلم أنها بتنظيم هذه الطاقات وهذه الموارد يمكن أن تحقق للمجموعة الأوروبية كلها ولكل دولة من دولها ما لم يمكن تحقيقه بالحروب التي أنهكت أوروبا ونزل بها عن مكانتها السابقة في دنيا الحضارة وجعلها قارة تابعة للقارة الأمريكية أى للولايات المتحدة الأمريكية •

أوروبا اليوم تتطلع الى قيام الولايات المتحدة الأوروبية لتتعاون تعاون الأنداد مع الولايات المتحدة الأمريكية والمسؤولون في عالمنا العربى اليوم من حقهم وواجبهم أن يبحثوا عن طبيعة علاقات الدول العربية اليوم وعن مسيرة كل منها ومسيرتها جميعا نحو المستقبل •

إننا منذ ثمانية وأربعين عاما قد سبقنا الدول الأوروبية الى إقامة منظمة جامعة الدول العربية وأدرجنا في ميثاقها نصا يتطلع الى قيام علاقات أوثق وتعاون أكبر بين دولها لكننا لم نتقدم كثيرا منذ أنشأنا جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ بل تعرضنا لنكسات تركت آثارها فى أنفسنا وسقطنا فى خلافات وصراعات روعنا منها هجوم احدى دولنا على دولة أخرى أصغر منها كما روعا تدهور العلاقات بين بعض دول الجامعة وبعضها الآخر وتبادل الاتهامات بأن بعض الدول تكيد لبعض آخر وتضمهر له الشر •

ويبدو للمتأمل فى أحوال الدول العربية أننا قد تقهقروا بدلا من أن نتقدم فى علاقاتنا العربية منذ أنشأنا جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ اتفقنا على ميثاق للدفاع المشترك وبدلا من ذلك اسمحنا

بوقوع الحروب من بعض دولنا وبعضها الآخر اتفقنا على ميثاق للتعاون الاقتصادي وبدلاً من ذلك تبادلنا الاتهامات بأن بعضنا يتعرض للاستغلال الاقتصادي من البعض الآخر مددنا أذرعتنا لتعاون تعاوننا وثيقاً بين بعض دولنا والبعض الآخر ثم تراخيت الأذرع وحل التشابك محل التعانق لم يتح لنا أن نحسب الحساب الذي حسبته دول أوروبا وانتهت به إلى أن التعاون والتكامل والتضامن جدرة بأن تتقدم بوحدات المجموعة الغربية نحو السلام والرخاء المنشود لكل شعب من شعوبها •

وفي زمن قريب من الزمن الذي أمضته دول أوروبا في مسعاها نحو قيام السوق المشتركة هذا العام وعملها على بلوغ مرحلة الوحدة السياسية في مستقبل غير بعيد في زمن مماثل لزمن المسيرة الأوروبية تراجعنا في مسيرتنا العربية تراجعاً يأسف له الجيل الحاضر أشد الأسف ويجب أن يتأمل الجيل المقبل ليخطط لنفسه خطة التصحيح للمسيرة •

أليس من الضروري لشباب العالم العربي اليوم أن يفكر في المنهج والطريق الذي يمكن أن يؤدي إلى تمتع العرب جميعاً بالشخصية العربية إلى جانب تمتع كل منهم بشخصيته القطرية الحالية إذا كانت السيدة الاسكوتلندية لا نجد في اعترازها بانتمائها الاسكوتلندي أن تجمع من اعترازها اليوم بجنسيتها البريطانية واعترازها غداً بجنسيتها الأوروبية مع ما هو معروف من اختلاف دول أوروبا في اللغة والعادات والتقاليد بل والدين أليس من الممكن للشباب اللبناني والشباب المصري والشباب المغربي ولكل شباب العرب أن يتطلع إلى يوم يضيف فيه إلى اعترازه بجنسيته الحالية اعترازاً أقوى بالجنسية العربية •

آلا نبغى لشباب العرب اذا تعذر ذلك على رجال العرب أن يرسموا لأنفسهم الطريق الذى يؤدى الى خطوة مثل خطوة انشاء السوق الأوروبية المشتركة وينتهى الى قيام الولايات المتحدة العربية كما ستقوم الولايات المتحدة الأوروبية •

آلا ينبغى على شباب العرب اليوم أن يتحتقوا من أن بلادهم بالتعاون والتضامن والتكافل ستستعيد حتما ما كان لها من صدارة فى مسيرة الحضارة العالمية وستحتل مكانها اللائق لها فى العالم الجديد الذى تتضامن فيه دول أوروبا وتتعاون وتمد الولايات المتحدة الأمريكية فيه يدها الى دول القارتين الأوربيتين طالبا لمزيد من التعاون وتهب فيه رياح التعاون على دول شرق آسيا على رغم ما هو معروف بين كل هذه الدول من خلافات وعداوات •

نحن رجال هذا الجيل من أجيال العرب الذى تخلصت أجزاءه من سيطرة الأجنبى وتعددت أعلامه فرحة باستقلالها معتزة بهذا الاستقلال نتطلع الى أبنائنا راجين أن يوفقوا الى تعزيز الاستقلال بالوحدة الى قيام الولايات العربية المتحدة الى جانب قيام وحداتها الحالية المستقلة •

* * *

(خـبـر)

وفاة الدكتور الزيات

وزير الخارجية الأسبق (*)

توفي أمس الدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية والاعلام الأسبق عن عمر يناهز ٧٨ عاما ، وقد شيعت جنازته عقب صلاة العصر أمس من مسجد عمر مكرم .

منح الفقيه وسام الجمهورية من الطبقة الثانية عام ١٩٦٤ ، ونجمة الصومال عام ٦٧ ، ووشاح النيل عام ٧٥ ، وسام الاستحقاق .

وكان قد تخرج من كلية الآداب ، وكان تلميذا لعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين ، وقد تزوج من كريمته زميلته في كلية الآداب عام ٤٨ ، وحصل على الدكتوراه من جامعة اكسفورد في « تأثير السياسة الإيرانية في الأدب السياسي العربي في القرون الثلاثة الأولى في الاسلام » .

وقد عين الفقيه في عام ٧٢ وزيرا للاعلام ، ثم وزيرا للخارجية ، ثم مستشارا لرئيس الجمهورية بعد حرب أكتوبر ٧٣ ، حتى بلغ سن التقاعد ، كما شغل — قبل ذلك — عددا من المناصب الهامة منها رئيس لهيئة الاستعلامات ، ورئيس وفد مصر لدى الامم المتحدة ، وسفير في الهندونيبال ، ونائب لرئيس لجنة التعاون الدولي التابعة للامم المتحدة ، ومثل مصر في محادثات نزع السلاح في جنيف .

(*) الاهرام ، الخميس ٤ رمضان ١٤١٣ هـ — ٢٥ فبراير (شباط)

كما تولى رئاسة لجان الشؤون العربية ، والثقافة ، والاعلام ،
والسياحة بمجلس الشعب ، والثقافة ، والاعلام في برلمان وادي
النيل •

وقد عاد الى العمل الاكاديمي بعد سن المعاش ، وعمل أستاذا
للادب العربي في الجامعات المصرية ، والعالمية ، واختير عضوا بالمجمع
العلمي المصري ، وقد ألف كتاب « ما بعد الأيام » كما شارك في لجنة
التحكيم لجائزة انديرا غاندي •

* * *

خانمہ الکتاب

* وفي خاتمة هذا الكتاب .. أترك سطورها عامدا متعمدا الى شقيق د. الزيات نفسه وهو المهندس عباس حسن الزيات نائب وزير الصناعة الأسبق ، وذلك لعدة أسباب أوردها فيما يلي :

* أولا : أنه الشقيق الوحيد الباقي على قيد الحياة من أشقاء د. الزيات الذكور .

* ثانيا : انه آخر البشر الذين التقى بهم فقيدنا الراحل قبيل الوفاة بساعات .

* ثالثا : اننى أردت التأريخ لكل شىء فى حياة د. الزيات — الانسان — والعملاق .

وقد أطلعت فى « رأس البر » المهندس عباس الزيات على ملخص ومضمون لفصول وأبواب هذا الكتاب ، وجلسنا سويا نستعيد الذكريات معا وكلها عن د. الزيات وقال لى الوالد المهندس عباس الزيات الكثير والكثير عن شقيقه قطب السياسة والدبلوماسية والثقافة والأدب والفكر والانسان وهذا لا يتوفر عند البعض أو كثيرين ، فإن قطوفا من رحيق الذكريات اذا نطق بها شقيق قريب جدا لشقيقه الراحل لا شك تكون أكثر مصداقية وموضوعية خاصة فى دائرة القراءة والحياة الخاصة ، وهذا طلبته تحديدا من المهندس عباس حسن الزيات ورغم أننى كنت أرى وأحس تماما وبنفسى مدى الآلام العظيمة والاحساس بالفراق المهيّب والفراغ الهائل لدى المهندس عباس الزيات بعد رحيل شقيقه د. الزيات ، لكن هذا لم يمنعنى ورغم قسوة الموقف أن أحصل على قطوف من رحيق الذكريات من المهندس عباس الزيات خاصة بالدكتور محمد حسن الزيات ، والحقيقة رأيت الرجل فى غاية الحماس لذلك .. شديد الوفاء والتقدير والعرفان لماثر د. الزيات

عليه وعلى أسرته وقد ألح الى ذلك فيما ذكره ، أيضا أراد أن
يضيف للكتاب ما أسميه أنا مسك الختام بكل الوفاء والانتماء •

* كتب المهندس عباس حسن الزييات يقول : إذا أردت أن
أتحدث عن شقيقى د. محمد حسن الزييات فى سطور ضمن كتاب
الأخ العزيز الكاتب صاحب الوفاء والانتماء الإستاذ سمير فراج
الصديق الصدوق ، أجد نفسى فى حيرة من أمرى لتعدد زواياه •• !

هل أكتب عن د. الزييات الفارس الذى أحب مصر واغترب من
أجلها ومدافعا عنها فى كل أرجاء العالم ، فى السلم والحرب ، وفى
أرفع المجالات العالمية الدبلوماسية •• أم أتحدث عن د. الزييات
العلاق الذى ضال وجال فى أرقى وأهم المنتديات يحارب من أجل
نصرة وطنه المصرى والعربى فى كرامة وعزة وابناء وقوة وشمم ،
ليجعل من هذا الوطن باستمرار صاحب المكانة الرفيعة أمام العالم
كله ويقوده أو يشارك فى قيادة سفينته السياسية والدبلوماسية ويحقق
العديد من الانتصارات والانجازات الكبرى لصالح الانسان العربى
عامة الذى كان يشغله دائما ويسعى بكل الاصرار ليجعله موجودا فى
المكان اللائق به وهذا كله ليس بغريب أو غير معروف لكل ركاب
السفينة وربانها ومن قرأ عن الدبلوماسية العالمية لابد وأن يعرف أن
د. الزييات مارسها فكان أحد فرسانها ونجومها وعماقتها العالمين ••
فقد عاش الدكتور الزييات بالصيت المدوى لرجل تمتع بالثقافة والذكاء
وبعد النظر ، وكان قادرا باستمرار على تصور المواقف المستقبلية
سياسيا ولديه قدرة غير عادية على التنبؤ بالأحداث السياسية وكان
يحدد مواقفه على أساسها •

* * *

الزيات الانسان والشقيق

✽ وأرجو أن أتكم عن د. الزيات الانسان والشقيق .. شقيقى الذى لم تقف علاقته بنى على أساس علاقة الشقيق بالشقيق فقط ولكن كانت علاقة والد بابنه ، الاستاذ بتلميذه .. تعلمت منه الكثير وأدركت منذ زمان طويل .. طويل كيف كان د. الزيات هو الابن أيضا الذى يجمع بين حب الوالدن واحترامهما وطاعتهما وينتبهز بين الحين والحين وسط مسئولياته ومشاغله الدائمة وسفرياته الى العالم فى مختلف عواصمه وبلدانه .. لينعم ويسعد برؤية الوالدين وبحبهما الجارف له .. كان أيضا نحنونا على إخوته ذكورا وإناثا يحترمهم جميعا وهم يبادلونه الحب بالحب الأعظم والتقدير العميق كان يتمتع بمكانة خاصة عندنا فردا فردا حتى من هم أكبر منه سنا كان يكبره المرحوم المستشار شقيقنا ابراهيم حسن الزيات مدير عام ادارة التشريع بوزارة العدل وعبد حسن الزيات الذى جمع بين السياسة والصحافة والأدب والقانون ، فكان رئيسا لتحرير جريدة كوكب الشرق ثم «الوادى» ثم محاميا فى النقض والابرام وكان أول من كان له صلة بعجميد الأدب العربى الدكتور طه حسين « صهر » شقيقنا الغالى د. مجيد حسن الزيات زوج ابنته السيدة أمينة .

* * *

الزيات المؤمن الشجاع

✽ ولعلنى أيضا أتحدث عن شقيقى د. الزيات المؤمن الشجاع كان ايمانه رحمه الله بالدين الحنيف من أبرز صفاته وكتاب الله الكريم هو مرآته التى يسترشد بها ويعتبر — فى كل المجالات والمحافل العالمية التى تحتاج الى تفسيرات حضارية وقيم اجتماعية ودينية راسخة .. كل شئ كما يقول يجده فى القرآن .

على صبرى ود • الزيات

* لم أنس يوم طلبه «على صبرى» وقال له يا دكتور «زيات»
اننا فى حاجة اليك لتذهب الى الصومال رئيسا للمجلس الاستشارى
للأمم المتحدة «هناك» وأخبرنى الرئيس جمال عبد الناصر بضرورة
الاستفسار عن رأيك أولا فى قبول ذلك — فما رأيك ؟

وأضاف على صبرى رحمه الله يقول : وأخبرك أن الأمم المتحدة
تركبك فى هذا المنصب ولا تريد غيرك •

— فقال له شقيقى د • الزيات : قل للرئيس عبد الناصر اننى
ذاهب إن شاء الله للصومال ••

وبعد أن علمت بذلك قلت له : أليس هذا الموضوع يا أخى فى
حاجة الى اغادة تفكير وتروى خاصة أن مندوب مصر هناك فى الصومال
قد «استشهد» وهناك مخاطر عديدة بعد ذلك فقال أخى د • الزيات :
انى لم ولن أتخلى عن حب وخدمة وطنى مصر والتضحية واجبة فى
سبيل ذلك مهما كانت المخاطر «يا عباس» ان كنت تقصد بما تقول
استشهد زميلى السابق فاعلم أننى مؤمن بالله وبالقضاء والقدر ،
والأعمار كلها بيد الله ••

* وسافر أخى د • الزيات بالفعل ونجح فى مهمته تماما ، ومنحته
الصومال أرفع نياشينها «نجمة الصومال» لكفاحه ونجاحه فى ازاحة
الاستعمار عنها •• وكان بعد ذلك المواطن الأول فى الصومال وقد
منحه هذا اللقب الرئيس الصومالى الجديد •

وكانت فترة الصومال تلك من الفقرات التى أخبرنى عنها بأنها
من أروع أيام حياته •• وأنه سعيد بتحقيق الاستقلال لها •• وأخذ

يذكرنى بخوفى عليه وهو ذاهب اليها فى البداية ، فأى نموذج كنت يا أخى الوطنى الغيور على استقلال الأوطان الحريص على ذلك مهما كانت التضحيات والمخاطر .. انها على كل حال شجاعتك وجرائتك المعروفة وايمانك بالله عز وجل وقدره .

لقد كان شقيقى د. الزيات جامعة فى الدبلوماسية والسياسة والأدب والثقافة ، وكان أيضا هذا المتواضع الجهم الدمث الخلق الشديد الطيبة .

* * *

د. الزيات بعيدا عن المناصب الرسمية

* وهل أتكلم عن د. الزيات بعيدا عن الزيات الوزير والزيات السفير والزيات الدبلوماسى والزيات الاعلامى والزيات المتحدث الرسمى باسم مصر .

أريد أن أتحدث عن الزيات مجردا من مناصبه ، الزيات الرجل موضع الاحترام والتقدير فى عالمه العربى وكذلك فى العالم أجمع ، الزيات العضو فى الجماعات العالمية رفيعة القدر والمستوى والتي تضم أعلام العالم وقد بقى عضوا بها حتى بعد اعتزال الخدمة والعمل الرسمى وهو دون نفوذه من هذه الهيئات الرفيعة العالمية .

* مثل فى الهند : لجنة جائزة انديرا غاندى للسلام العالمى .

* وفى المغرب : لجنة الملك الحسن ملك المغرب للارتفاع بمستوى

شعوب دول العالم الثالث .

* وفى فرنسا : لجنة اليونسكو لجائزة السلام العالمى .

* وفى سويسرا : كان عضوا فى لجنة نزع السلاح بجنيف .

* وفي الولايات المتحدة الامريكية : الاستاذ الزائر في
« جامعة كولومبيا » بنيويورك •

* وفي بريطانيا : عضو لجنة اليونيسف للثقافة •

وترأس جمعية الصداقة المصرية الهندية بالقاهرة وقد عشقته
شعوبا بأكملها وأحبت فيه الانسان ، وتجسد ذلك في « الهند » الذي
بادلها عشقا بعشق وكذلك لم يكن شعب الصومال أقل من الهند حبا
له وتقديرا واحتراما وعشقا لما في شخصيته من سحر •

د • الزيات دمياطيا

* وهل أتكلم عن د • الزيات « أخى » العزيز الغالى — وعلاقته
بمسقط الرأس الكريم « دمياط » الذى ظل متعلقا بحبه لها الذى
فاق الوصف حتى لفظ أنفاسه الأخيرة وصعدت روحه الطاهرة الى
بارئها راضية مرضية • • قبيل الرحيل بساعات ، بالتحديد فى ساعات
الليل المتأخرة تحدث الى وكنا فى « شهر رمضان المكرم » وقال لى ،
سأمر عليك صباحا بإذن الله لنذهب سويا الى دمياط • • الأنى أريد
« يا عباس » أن أقضى شهر رمضان كله هناك — فيها بين أهل
بلدى واستعيد فيها رحيق الذكريات • • إننى يا عباس أشعر براحة
كبرى وسعادة بالغة فى « دمياط » أتذكر فيها ذكريات الأمس والماضى
البعيد • • أستعيدها بعذوبة شبابى وأحلامى • • أستدعى كل ذلك
على مسرح الحياة الآن •

د • الزييات جثمان مسجى على فراش الموت

* وتشاء إرادة الله سبحانه وتعالى ولا راد لقضائه ، أن تكون اللحظة التى قرر فيها أخى د • الزييات أن يأتى فيها عندى فى مصر الجديدة لنذهب سويا الى معشوقتنا معا دمياط نقضى فيها البقية الباقية من أيام شهر الصوم المبارك يأتينى هاتف سريع بشئ ما قد حدث !

وفى الجانب الآخر يدق هاتف منزلى بشكل متواصل فى الصباح ، فأرفع السماعة وأنا مرتبك ، لم أكن سوى هذا الانسان الذى يحس بصدق بأن خبرا ما سوف أرتعد عند سماعه !

أحسست أن السماء ملبدة بالغيوم ••

وأن العواصف والرياح كثيرة ستعكر من صفو الحياة وأن البركان قادم والزلازل يتهيا للحدوث •• كانت بالفعل احساسات غريبة وقصيرة •• عشت فيها فى ثوان وأنا ذاهب لأرفع سماعة الهاتف فى منزلى •• !

كان الصوت الذى حدثنى هو الدكتور مهندس حسن محمد حسن الزييات ابن أخى د • الزييات •• ومن خلاله أدركت أن فى الأمر شيئا مهيبا وأبلغنى بصعوبة النبأ الأليم !

لقد مات والدى فجأة وهو الآن جثمان مسجى على فراشه ، عيناه الى السماء •• ونفسه هادئة وروحه سعدت الى خالقها فى امتثال وقبول •

* سألت واستغفر الله : كيف ؟

إنه على موعد معى الآن للذهاب الى دمياط !
لقد قال لى ذلك منذ ساعات مضت فى الليل !

— قال الابن الغالى : هذا قضاء الله .. الحمد لله على ذلك ..
لقد مات على سريريه ولم يتعرض الأدنى مضايقات أو آلام .. ومات
فى شهر رمضان المبارك بكل ما فيه من نفحات الهدى والايمان فى دين
الحق والنور والهداية « الاسلام » ..

وكننت استمع والدموع تترقرق فى عينى ولم أكن بقادر على
مواجهة الموقف وغير مصدق لما حدث !

يا سبحان الله .. يا سبحان الله .. لقد رحل دون وداع وفجأة
هكذا وبينما أنا أنتظره للذهاب الى دمياط وبفضل الله استعدت توازنى
وأسرعت الى منزله وأنا متقبل لقضاء الله واستعيد قوله الكريم :
« فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » ..

دلفت مسرعا الى غرفة نومه وألقيت نظرة عليه وجدته راضيا
مرضيا .. وقد أسلم روحه الى بارئها .. تأملته ومن قسمات وجهه
لاحظت راحته الكبرى لقد أدى رسالته فى الحياة كإنسان وكمسئول
له وزنه فى العالم كله على خير ما يرام وكان نعم الأخ والصديق
والزميل لكل من فى دائرة عائلته أو عمله وحياته فقط لم تتحقق آخر
أمنيته فى أن يذهب الى معشوقته دمياط فى آخر لحظة من حياته —
وهو الذى كانت تتحقق له معظم أمنيته .. لكنها ارادة الله وقدره ..

* * *

أقزام يتناولون على عمالقة

* وسيبقى دء الزيات دائما هو هذا النجم والكوكب الناطع
فى سماء الحياة السياسية والدبلوماسية والأدبية والثقافية والاجتماعية
.. كان فارسا نبيلًا من فرسان المبادئ وأصحاب العقيدة التى
لا تتزعزع أو تلين كان صلبا فى التمسك بما زاه هو حق ويدرك أنه
الحق .. مهما كلفه ذلك من بزيق يفقده أو منصب يتركه كان يعيش

حياته في إطار « الحق والخير والجمال » .. لم ينفصل يوما عن هذه المعانى الكريمة الخالدة في وجدانه ومن اقترب منه كان ينبغي عليه أن يتفهم كل ذلك فيه .. أما الذين لم يتفهموا ذلك فهم غير أمناء على الاطلاق ويوم طلب منه الرئيس مبارك أن يعود لدمياط مسقط رأسه التى يحبها ويعشقها أمينا عاما للحزب الوطنى للمحافظة — وذلك بعد أن اعتزل عمله الدبلوماسى والسياسى فى الخارجية المصرية .. لم يمانع الرجل ورحب أيضا بذلك ..

* وكان على كل دمياطى أن يتفهم معنى وجود الزيات ابن دمياط البار على رأس الحزب الوطنى .. فهذا قصد به صالح دمياط .. لأن المنصب يعتبر تكريما لدمياط .

فالزيات كان وزيرا للخارجية وكان من الممكن جدا أن يكون سكرتيرا عاما للأمم المتحدة أو الأمين العام لجامعة الدول العربية ، أو نائبا لرئيس الجمهورية أو رئيسا للوزراء أو غير ذلك من المناصب الرفيعة .

* وعندما خاض د. الزيات انتخابات مجلس الشعب الأخيرة ممثلا للحزب الوطنى كان بدافع خدمة دمياط أكثر وأكثر .. واسم الزيات يفوز بالضربة القاضية فى الهند والصومال وحتى الولايات المتحدة الامريكية .

اسم الزيات له وزنه وقيمه وأهميته .. لكن هناك معايير أخرى وحسابات أخرى فى لعبة الانتخابات لا يجيدها د. الزيات « الشخصية الدمياطية المصرية العربية العالمية » ..

* والزيات كان يستطيع الاطاحة بخصوم كثيرين لو أنه لم يكن مع الديموقراطية ومع حرية الرأى ، وفى إطار ذلك سعى لتأكيد وترسيخ الديموقراطية دون التعرض لها بما يحدث الخلل ا

وفي انتخابات مجلس الشعب التي جرت في دمياط ولم يحقق
د. الزيات فيها الفوز .. فإن هذا لا يجب أن ينظر إليه إلا بنظرة
انتصاره للديمقراطية ولو على حساب مكسبه الشخصي ..

* على كل حال كان اسم د. الزيات هو الضحية .. لكنه
كان سعيدا رحمه الله بالديموقراطية وبالممارسة الواعية لأبناء الشعب
في دمياط — ولأنه شديد الثقة في نفسه ويعيش بكل الزهد في أي
منصب ..

لقد تولى أرفع المناصب في مصر والعالم العربي ومن تلاميذه
كبار رجالات السياسة والدبلوماسية الآن في مصر والعالم العربي
ومعظمهم من الوزراء والذين يتولون أرفع المناصب السياسية في
الشئون الغربية ..

* يبقى لي أن أقول كلمة في ختام هذا الكتاب أنه لن يستطيع
أقزام صغار لا وزن لهم ولا قيمة الاساءة لشخص ابن دمياط البار
وابن مصر الغالي وابن الأمة العربية المنتمى بصدق .. وابن العالم
الذي عشق فيه الصدق والموضوعية والامانة د. محمد حسن الزيات ،
انهم أقزام يتناولون على العمالقة ، جهلاء ، هم يرتمون دائما في
أحضان الأمية والجهل رغم التأكيد من البعض منهم بأنهم من مؤرخي
دمياط !!

* * *

دعوة لحافظ دميّاط

بإعادة صياغة التاريخ في دميّاط

✽ وأنتهز الفرصة في هذا الكتاب الأول من سلسلة كتب أعلام دميّاط إن شاء الله الذي يبدأ بالدكتور محمد حسن الزيات أن أدعو محافظ دميّاط الأديب الكبير والمثقف الواعي الاستاذ المستشار محمد عبد الرحيم نافع للنظر بسرعة في ضرورة إعادة صياغة التاريخ في دميّاط الحافلة بحياتها في الماضي البعيد وحتى الآن .. بتقديم أطايب الوجبات الأدبية والثقافية والفلسفية والتاريخية والدينية والاجتماعية عبر تاريخها الطويل عن طريق نجومها وكواكبها من المشاهير أمثال الدكتور على مصطفى مشرفة ، والدكتور زكي نجيب محمود والدكتور شوقي ضيف والدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت شاطيء دميّاط » وحتى « رأفت الهجان » أو رفعت على سليمان الجمال .. اسطورة البطولة التي عرفناها ويجب أن نبدأ من الآن في إخراج هذه الموسوعة الهامة عن أعلام دميّاط ولا نترك فرصة لادعاء الأدب والثقافة ، والتأريخ للعب بكرة الجهل في ساحة التاريخ .

الكفراوى الانسان والأرض والحلم

✽ وليكن الكتاب الثانى هو « الكفراوى الانسان والأرض والحلم » أقصد الوزير المهندس حسب الله الكفراوى البطل الذى يعيش حياة الانسان العادية ويرتبط بالأرض في زيف دميّاط ويحلم لمصر والعالم العربى كله ..

ان الكفراوى « ملحمة » بطولة على أرض الحق والخير والجمال .

الدب الذى قتل صاحبه .. !

* ولى كلمة أخيرة للرد على الاستفسارات الكثيرة التى سمعتها من أهل دمياط والبعض فى القاهرة على ما قاله مسئول اعلامى فى دمياط عن « البطارخ » التى كانت ترسل للوزراء فى حكومة د. عزيز صدقى عن طريق ابن دمياط الكريم د. الزيات .. وباصرار منه .. هو أراد أن يبين الكرم الدمياطى — فكان مثل الدب الذى قتل صاحبه .. !

لم يكن يقصد الاساءة للدكتور الزيات فهو الذى ساندته وعمل على تقويته وهو بعد نبات لين لكن البعض حينما يتحدث أمام ميكرفون يتلخبط وهذا المسئول الاعلامى من هذا النوع .. والمسألة لا تستحق أكثر من ذلك .. فقط أقول أن د. الزيات لم يكن يريد عن طريق هذه البطارخ شيئاً لدمياط لأنه ليس فى حاجة لوساطة من أحد .. والأأنه كان وزيراً كبيراً وعلى المستوى الرفيع .. وعن طريقه يمكن حل جميع مشاكل دمياط عن طريق الاتصال برئيس الجمهورية مباشرة .. فالزيات بالذات يتمتع بحب واحترام وتقدير جميع رؤساء وملوك دول العالم .

وهذا المسئول الاعلامى دمث الخلق طيب جدا ولم يكن يقصد سوى تأكيد كرم الدمايطة وعلى رأسهم د. الزيات فى محاولة لابعاد اتهام دائم عن الدمايطة بأنهم قوم بخلاء .. !

تكريم د. الزيات فى مهرجان الوفاء والانتماء

* ولم يكن المهرجان الأول للوفاء والانتماء الذى دعوت اليه فى دمياط مسقط رأس د. الزيات لتكريم اسمه الا محاولة بالتقدير والعرفان لرجل من أغلى الرجال جاء من الزمن الماضى الجميل ليعيش معنا حتى هذا الزمن الرديء الحزين .. حيث تغيرت الدنيا تماماً .. !

وقد حقق المهرجان هدفه النبيل وشرفه محافظ دمياط المستشار
محمد عبد الرحيم نافع بكل الوفاء والانتماء لذكرى الزيـات
ونحن دائماً أحوج ما نكون الى تأكيد وترسيخ مثل هذه المعانى
النبيلة على الشاطئ الديمياطى الطهور *

* * *

المؤلف

سمير فـراج

مصر الجديدة .. القاهرة

١٥ / ٧ / ١٩٩٣

العنوان البريدى :

القاهرة ص. ب ٢٠١ الدواوين

ملحق
بالوثائق والصور

SAN GIOVANNI
Hotel - Casino - Rest. - Bar
205, El Guiccho - Stanley
Alex. - Egypt
Tel. : 40984 - 48178
R. Com. 69477



سان جيوفاني
لبنان - كازينو - مطعم - بار
٢٠٥ طابق الجبل - ستانلي
الاسكندرية - ٤٠٩٨٤ - ٤٨١٧٨
ص.ت. ٦٩٤٧٧

عزيزي القارئ

كتابي هذا هو القصة التي، فاعلم انك ستعرفها

وقد انقضى نصف وقتها فليدرك القارئ انما هو استعداداً ليعتق من جديد به انه
يصلح ما انقضى نصفه ويستعد لمستم الثمار، والجزم مع ذلك حين رتبته
في اسر دوره لم تكن فيه كتابه، والمخرج الذي يتركه وكذا رايه لاشبه
رشيقة كذا قدح ميمون والرجل... لا من يبيع روميه يجر روميه يجره فوميه
هذا المرح الذي يمدد، الصنف مريح يشيب.

انتم ترون انكم ترون الجرم والجرم والجرم والجرم! هناك
قصة يا ايها المعروف من جرمي فتن، يروى سكرها ويروي صميمها ويروي
القائل، كذا هو صير القصة كذا كذا رآها هر، وما اوده الزميمة والواجب
والواجب، وما احبه احاسر القائل جلت بالاساءه هذا يرا ان الصنف فتن
له صوره المتخذ...

لماذا انتم الذين يرا، وقد اخذتم انتم لوكن سطورا
اشبه به قبل فته به الذي، رصته، ثم انك قد سققت واحصلت في الاثر
ليها فترت سلا ما لم تكن فترت... وبالطبع ما لا فترت... ثم الذي له
به اقله انه نصف فترت فترت به لا فترت... هو الذي هو الراجح
ان يستبقا الكار... هو تارا فترت يراجهنا من الكون مع الجار والجار
والعرب وسكانه والاله... تنقل اناس من مكانه الى مكانه بالسرور والرجح
فترت يرا القائل يركب الاله... كذا فترت... يستعدوا الى مكانه وتغير الذي صرح
افداخا صنف شيئا فترت به فترت فترت... والاهل هم يمدوا فترت
يحييه والوجه 2 هذا اوه راجحه انتم من ماريه الى اوره الى اس... فترت
تعمل...

بسم الله الرحمن الرحيم

مديرية الشؤون الاجتماعية بدبي

مكتب / المدير العام

السيد الأستاذ / المستشار محمد عبد الرحيم تافع محافظ دبي

بعد التحية :-

تشرف مديرية الشؤون الاجتماعية بدبي بتوجيه الدعوة لسيادتك
لعضد العففس الخاص بهرجان الانتماء والوفاء للخالدين من انتماء
دمياط البارزين وفي ههنا المهرجان الذي يقام في اطار احتفالات المحافظة
بعيد ههنا القومى يتم اقامة معرس خاص بهقالات ودراسات الكاتيب العففسى
الدماطى الاسناد / سفير سراج التى نشرها في جريدة الانباء الكويتية
والعالم العربى في حلقات وأبصا مناقشة لكاتبه (د . محمد حسن الزيات
ومفحات مضية من تاريخ الدبلوماسية العربية) ومعرس المهرجان لاحاديث
ضوية للدكتور الزيات مع مؤلف الكتاب الاسناد / سفير سراج -

ههنا وتدير مناقشة طامة حول الوفاء والانتماء لاي من انتماء
دمياط الابرار وهود . الزيات وزير خارجية مصر الاسبق الذى عساه
بكل الوفاء والانتماء لمسط رأسه الكرم دماط .

وتفضلوا سيادتك بقبول وانسرا الاحترام والتقدير

مدير عام الشؤون الاجتماعية بدبي

(فساوق أحمد هلال)



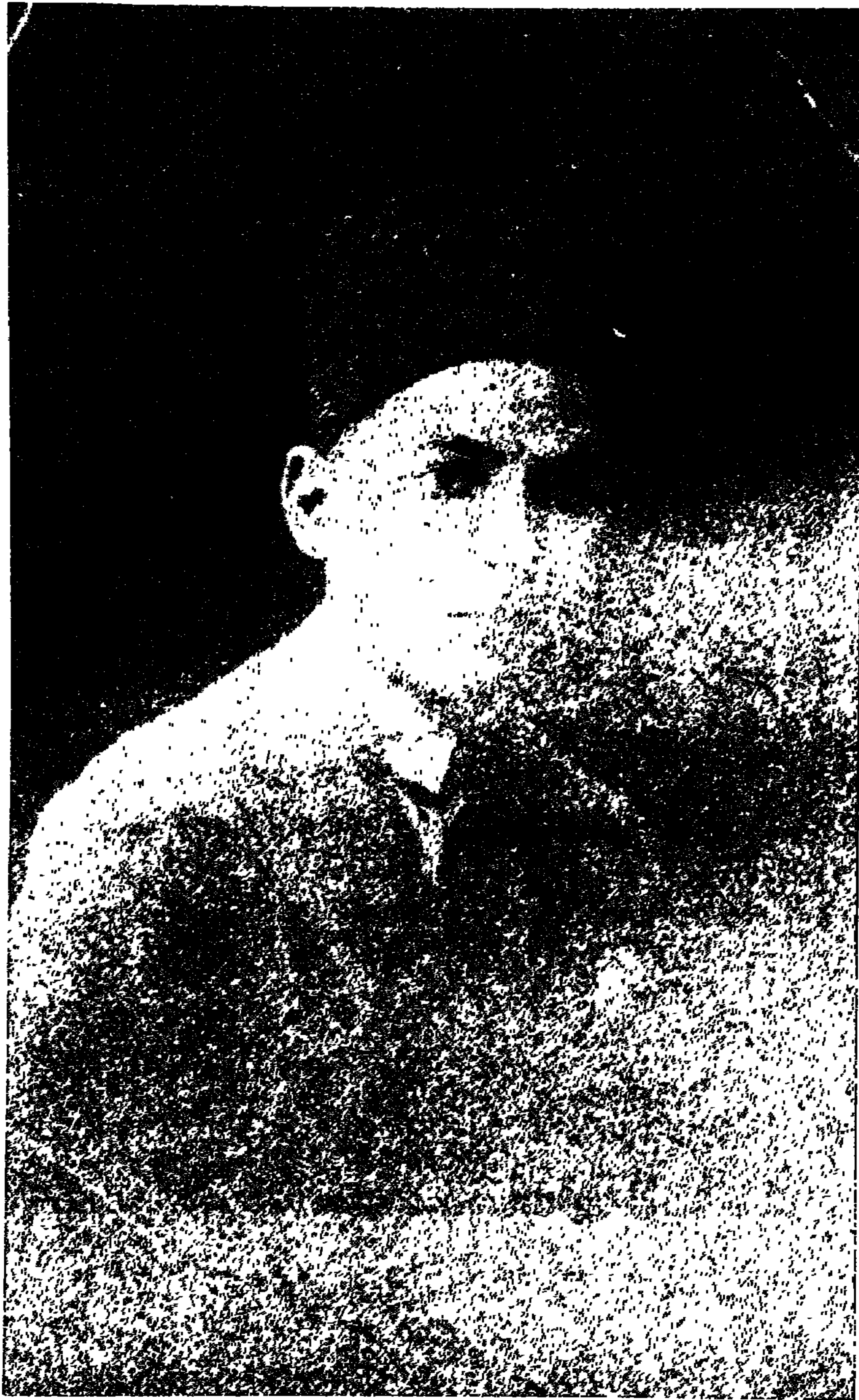
في : ٢٢ / ٤ / ١٩٩٣ م

ملاحظة :

يقام المهرجان في حديقة الطفل بدبي



د. الزيـات في مطلع شبابه أثناء مناقشة رسالة الدكتوراه

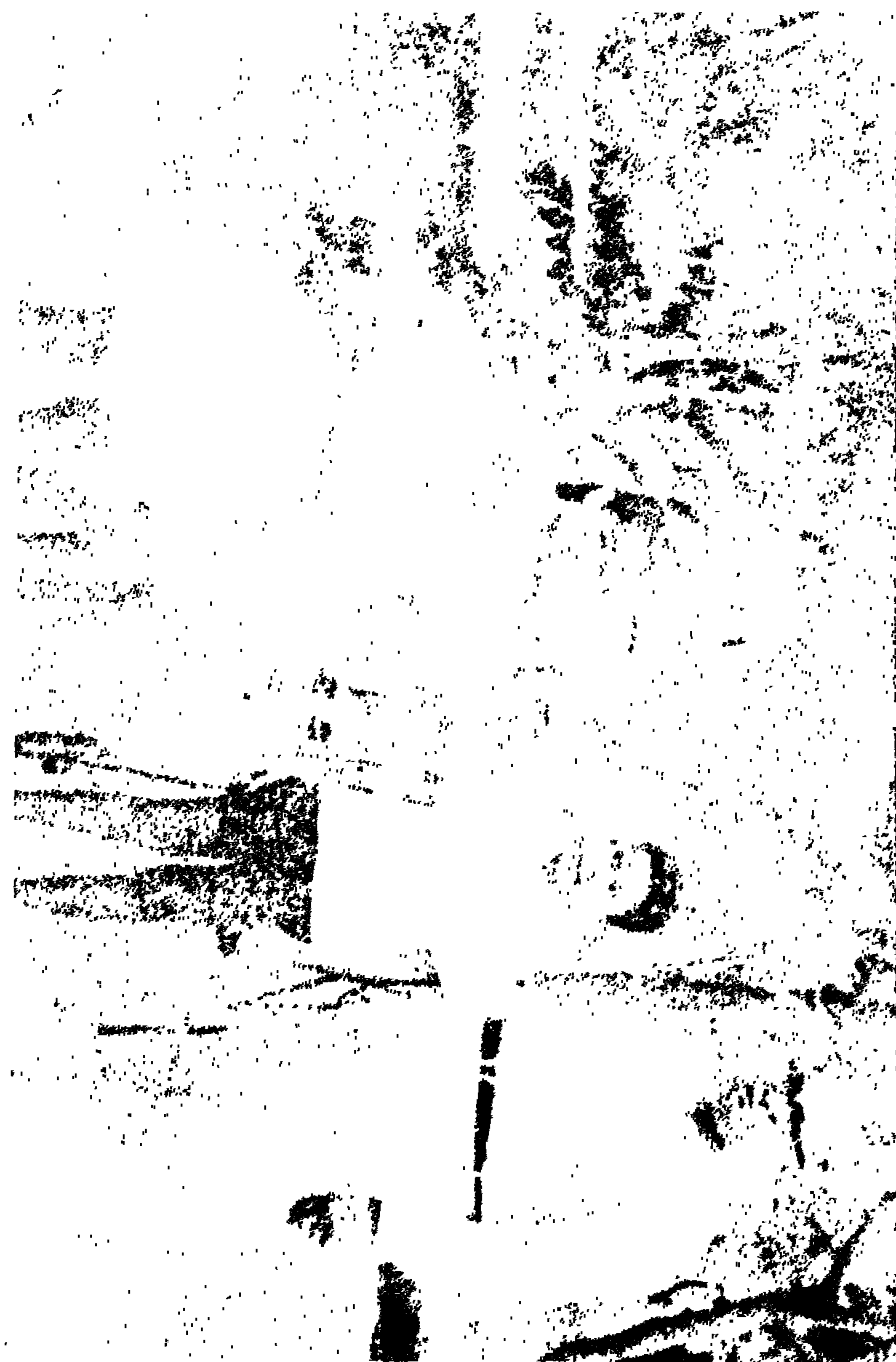


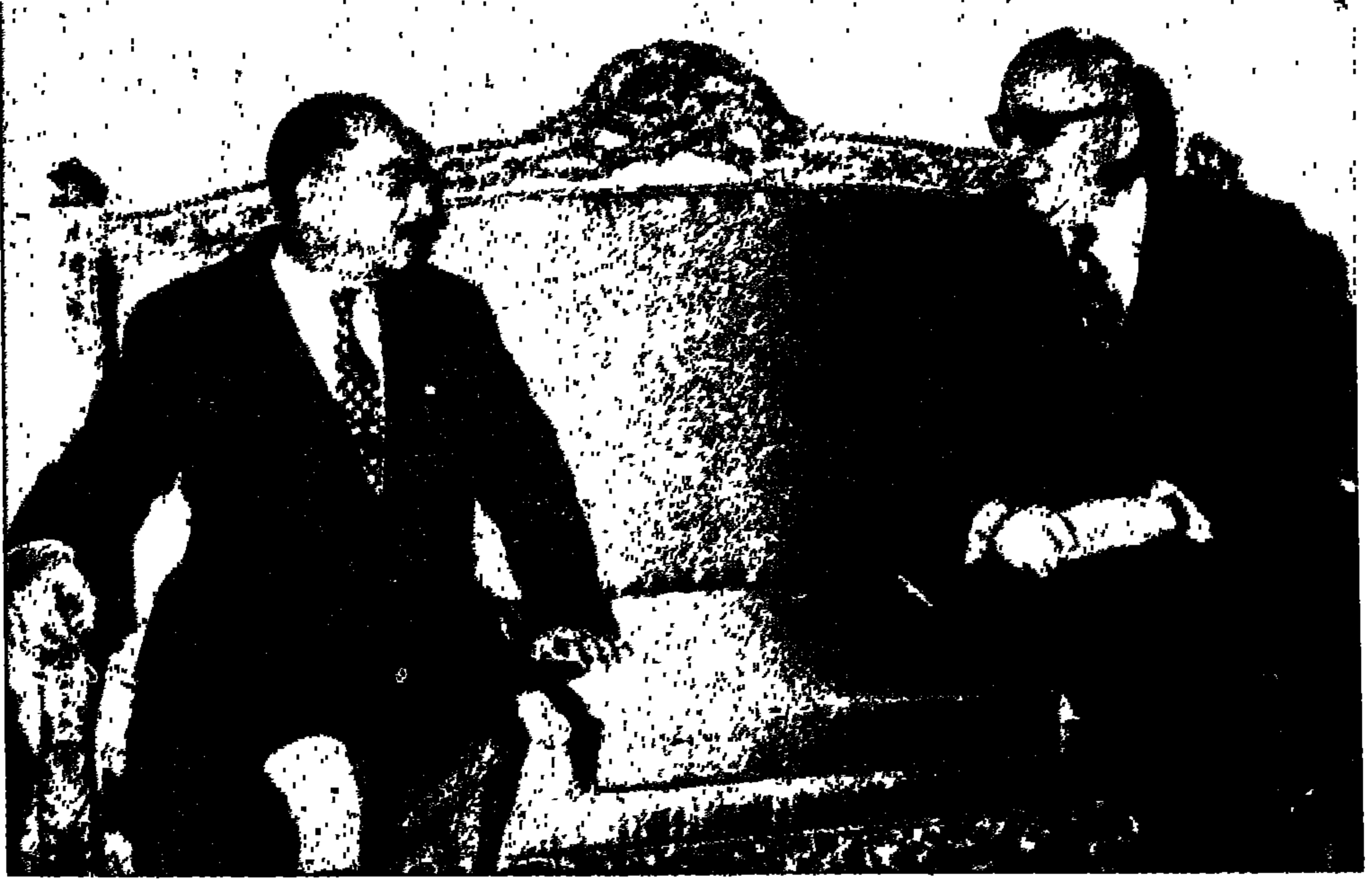
د. الزيات - وهو فتى صغير بدمياط



د. محمد حسن الزيات وزوجته كريمة عميد الأدب العربي
السيدة الفضلى أمينة

د. الزيات وصورة عائلية مع زوجته وأولادهما





الزيات مع الرئيس العراقي السابق أحمد حسن البكر

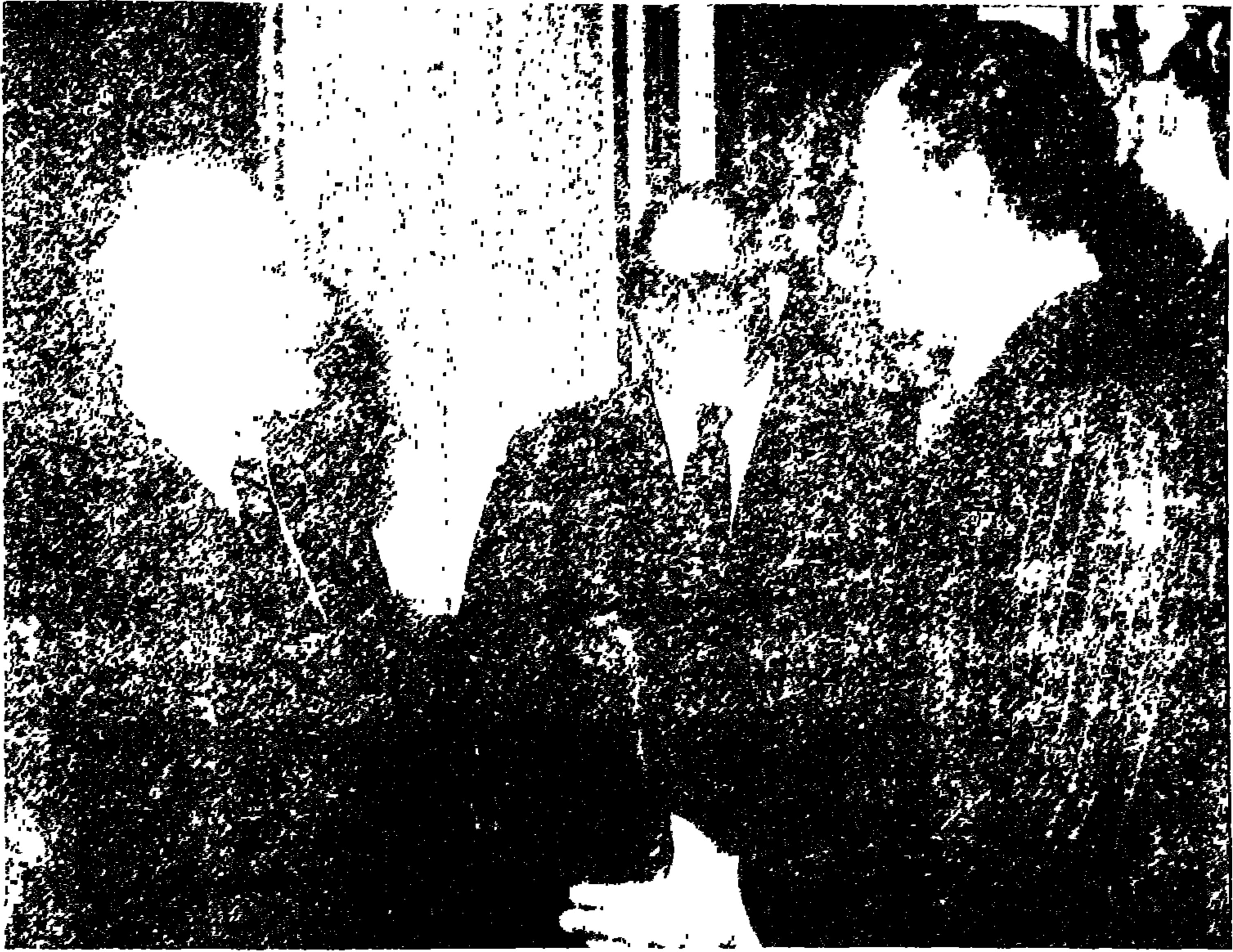


د. الزيات وجوناريانج ٢٥ أغسطس ١٩٧٠



د. الزيـات في أثناء ترأسه لأحد اجتماعات جامعة الدول العربية باسم مصر





د. الزياد بين الرئيس السادات والوزير الإيراني خلعتدي





مع وزير خارجية إيطاليا مديتشي



الزيات ووزير خارجية المغرب بن هيمه



د. الزيات وبجواره وزير الخارجية الأسبق في العراق

مرتضى سعيد عبد الباقي



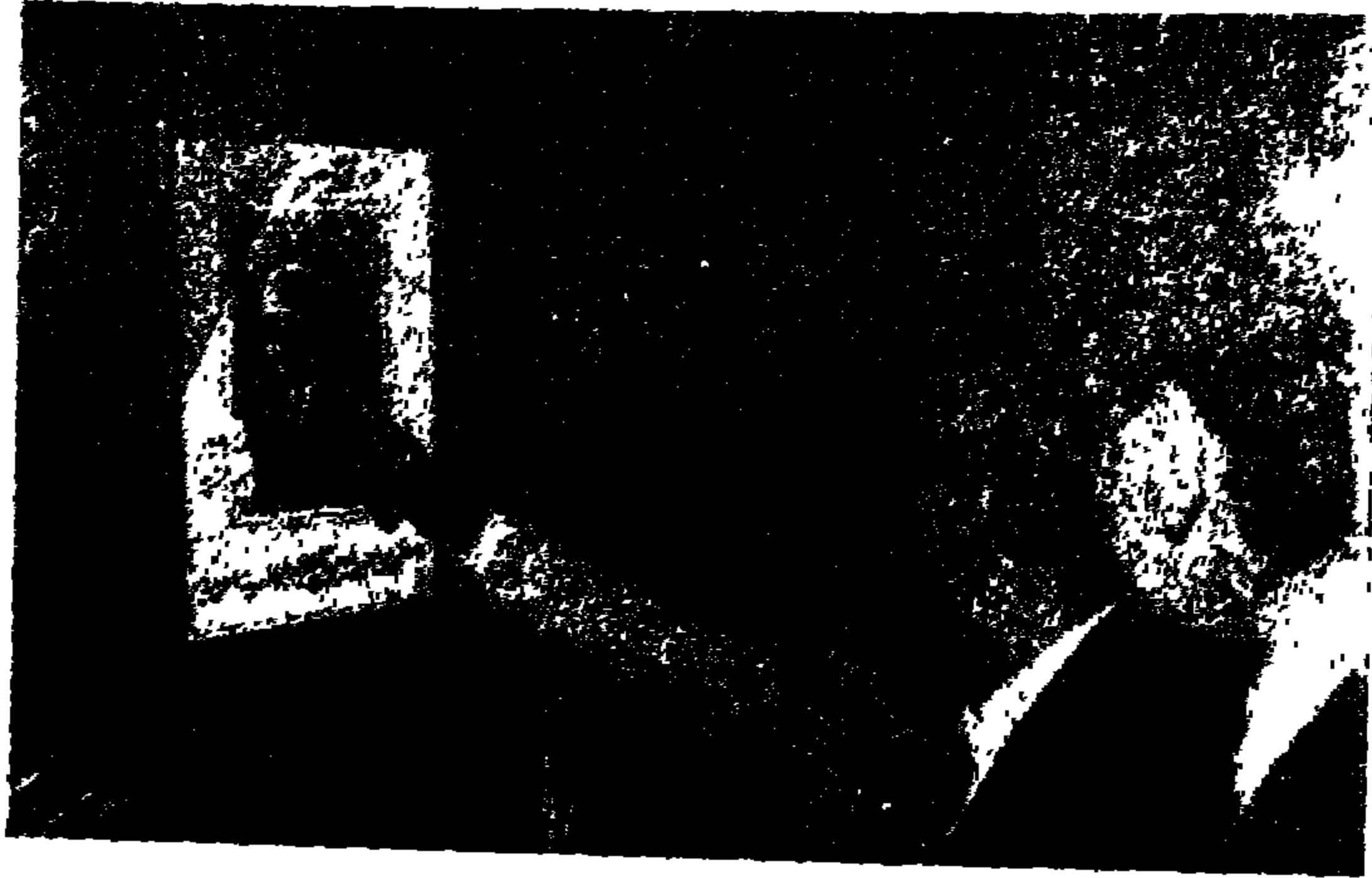
د. الزييات في غاية السعادة في مسقط رأسه دمياط بين مواطنيه
وفي الصورة إلى جواره د. أحمد جويلي محافظ دمياط الأسبق



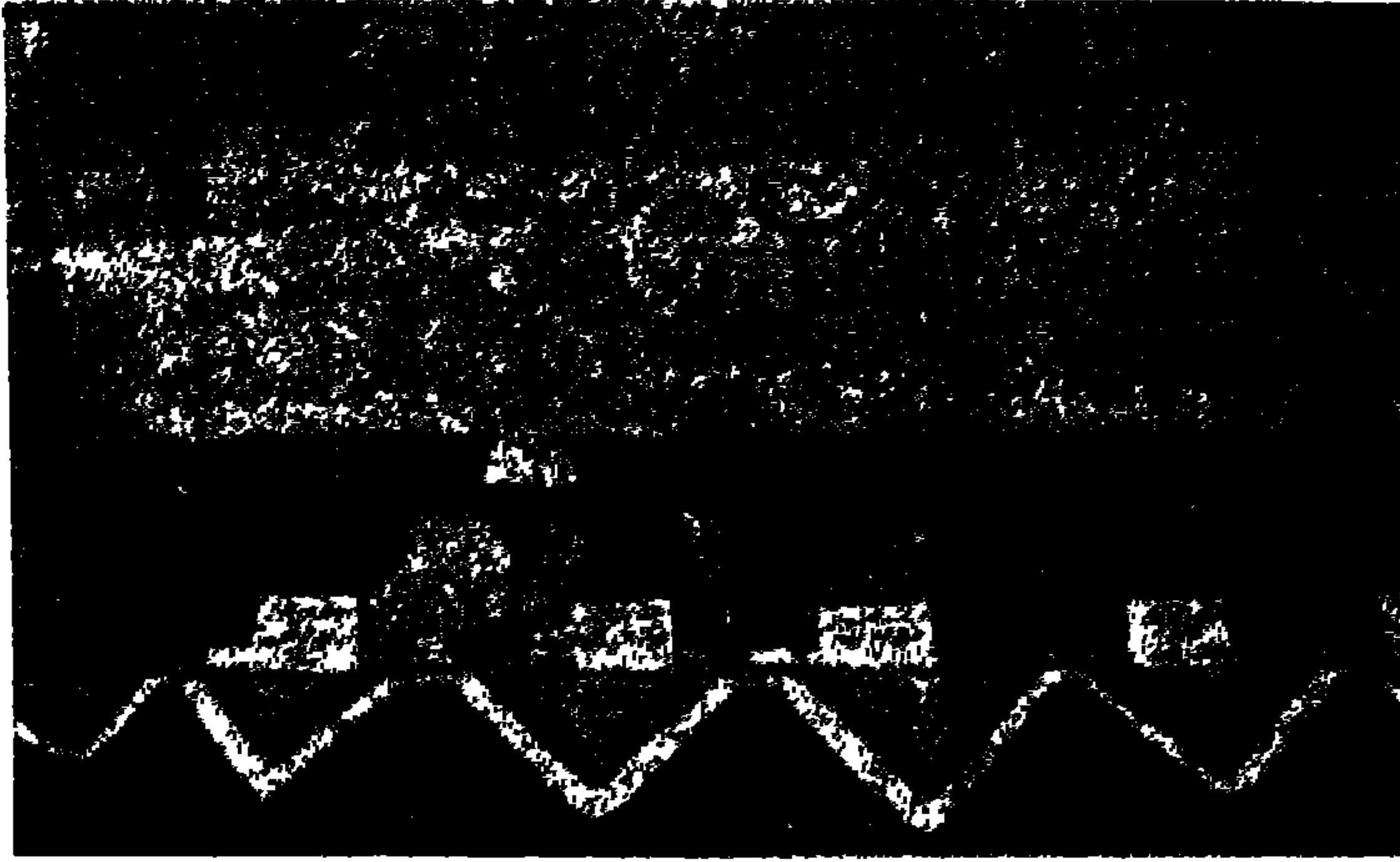
د. الزييات والمحافظ صلاح مجاهد وعبد الوهاب شبانه
في مؤتمر من مؤتمرات الاتحاد الاشتراكي بدمياط



المستشار محمد عبد الرحيم نافع محافظ دمياط والأستاذ حمزة السنياطي أمين
عام الحزب الوطنى يفتتحان مهرجان الوفاء والانتماء لتكريم د. الزيات بعد
رحيله وهى الصورة قيادات المحافظة والشئون الاجتماعية - ومؤلف الكتاب
الأستاذ سمير فراج



المستشار محمد عبد الرحيم نافع محافظ دمياط يستمع لشرح مؤلف الكتاب
سمير فراج فى مهرجان الوفاء والانتماء للدكتور الزيات الذى أقامته مديرية
الشئون الاجتماعية فى ذكرى انتصارات دمياط والاحتفال بعيدها القومى
عام ١٩٩٢



حديث بين المستشار محمد عبد الرحيم نافع محافظ دمياط والمهندس عباس
حسن الزيات نائب وزير الصناعة الأسبق وشقيق الراحل د. الزيات ومؤلف
الكتاب الأستاذ سمير فراج وعلى المنصة الأستاذ حمزة السنباطي الأمين العام
للحزب الوطني بدمياط والصورة في مهرجان تكريم اسم د. الزيات



الراحل الأستاذ طاهر محمد فراج والد المؤلف
والذي كان على صلة وثيقة بالمستشار إبراهيم الزيات

فهرس

الصفحة

٧	• • • • •	الإهداء
٩	• • • • •	كلمة الناشر
١١	• • • • •	مقدمة

الباب الأول :

٣٣	• • •	دمياط •• مسقط رأس ده الزييات
----	-------	------------------------------

الباب الثاني :

٤٣	• • • • •	الزييات وطه حسين
٥٣	• • • • •	— طه حسين وزيراً
٦٢	• • • • •	— قيام الثورة
٦٦	• • • • •	— إعلان الجمهورية
٨٣	• • • • •	— « رامتان » •• !!

الباب الثالث :

١٠٩	• • • • •	الزييات •• دبلوماسياً
		— قائماً بأعمال السفارة في طهران
١١٣	• • • • •	والعدوان الثلاثي على مصر
١١٤	• • • • •	— حلف بغداد

الصفحة

- ١١٨ — الصومال •• ومشاكل الإستقلال • • •
- ١٢٤ — كارثة ١٩٦٧ • • • • •
- ١٢٦ — الهيئة العامة للإستعلامات • • • • •

الباب الرابع •

- ١٣٣ — الزيات وزيراً للخارجية والتمهيد لحرب العبور ١٩٧٣
- ١٤٠ — في بغداد !! • • • • •
- ١٤٤ — المشكلة الكويتية العراقية • • • • •
- ١٤٥ — في لبنان •• بلامحصول سنة !! • • • • •
- ١٤٩ — برج العرب • • • • •
- ١٥٩ — مع السادات • • • • •

الباب الخامس •

- ١٦٣ — الزيات والقرار ٢٤٢ •• وكشف دهاء كيسنجر •

الباب السادس :

- ١٧٧ — أسرار إستقالة د • الزيات من وزارة الخارجية • •

الباب السابع :

- ١٩٣ — آراء د • محمد حسن الزيات في الفن والثقافة والأدب

الباب الثامن :

- ٢١١ — الزيات يدافع عن د • طه حسين • • • • •

الصفحة

الباب التاسع :

قالوا .. في ده محمد حسن الزييات . . . ٢٤١

الباب العاشر :

الزييات في الصحافة المصرية والعربية والعالمية . ٢٧٣

— حوار حول حرب الخليج ٢٧٨

خاتمة الكتاب ٣٠١

ملحق الوثائق والصور ٣١٧

* * *

رقم الايداع بدار الكتب

٧٩٠٦ / ١٩٩٣

ترقيم دولي I. S. B. N.

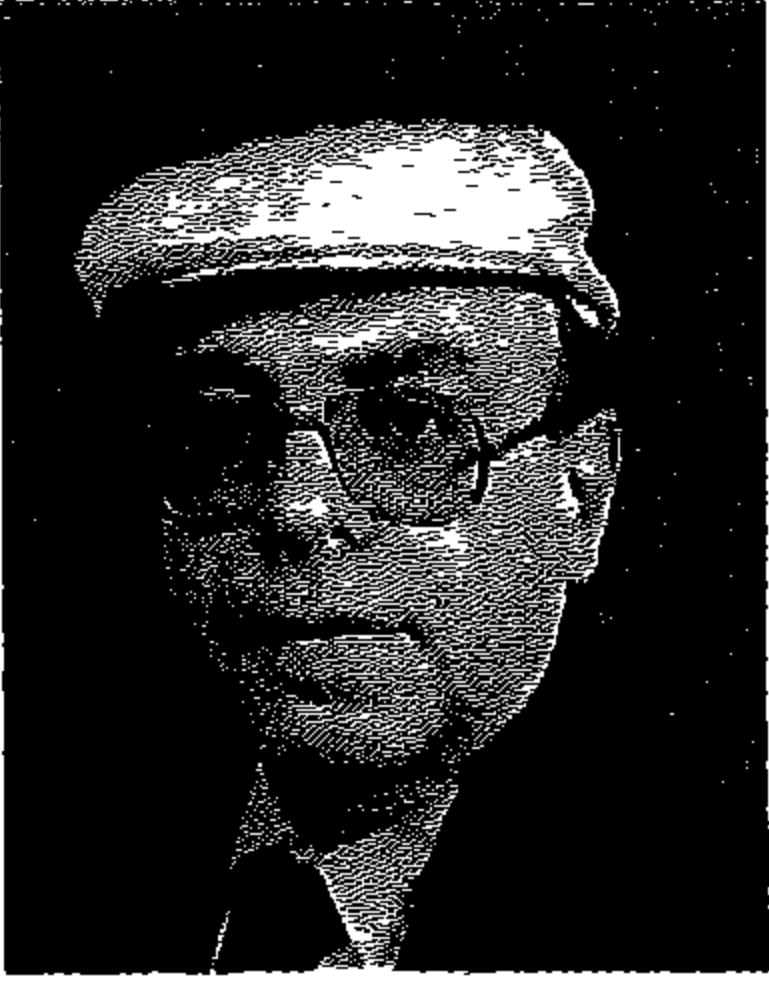
977 — 5034 — 08 — 6



المطبعة الاسلامية الحديثة

٤٢ (١) شارع دار السعادة — الزيتون

القاهرة — تليفون ٢٤٠٨٥٥٨



المؤلف في سطور : من مواليد دمياط ، حصل على ليسانس الآداب واجازة الدراسات الخاصة بعلوم الإتصال من الجامعة الأمريكية - له العديد من المقالات والتحقيقات الصحفية الهامة وقد صدر له أكثر من كتاب لاقى ثناء المثقفين والنقاد، فحصل على العديد من الجوائز وشهادات التقدير، كما أنه مرشح للحصول على جائزة الدولة التشجيعية ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى لعام ١٩٩٢.

فهذا الكتاب

- السادات يتحدى مانير في مفكرة السفير يارنج فتسحب كلدها عن السلام .
- لماذا عرضت إيران على الزيات منحه اللجوء السياسى لها ؟
- الرئيس العراقى يقول للزيات قبل حرب أكتوبر :
- ستحاربون وحدكم فجيش العراق فرق كشافة !!
- السادات والنزاع الحدودى بين الكويت والعراق عام ١٩٧٢ .
- كيف تم الإعداد سياسياً لحرب أكتوبر ؟
- السادات رفض الحل المنفرد مع إسرائيل قبل حرب أكتوبر وبعدها .
- عندما هتفت جماهير الصومال «الله أكبر . الله أكبر» .
- الزيات يكشف أسرار سياسة «كيسنجر» ونظرية «الإهمال الذكى» .